فوق العادي

الحياة التي خُلِقت لكي تحياها

جون بيفير

مؤلف كتاب «فخ إبليس» الذي حقق أفضل المبيعات

فوق العادي

الحياة التي خُلِقت لكي تحياها

جون بيفير

أهدي هذا الكتاب إلى ابني ...

أوستن مايكل بيفير

لقد باركك الله.

أنت أمين ومخلص وجدير بالثقة.

وأنت قوي وذكي ومبدع.

كانت تربيتك مصدر بهجة لي.

وأنا أفرح إذ أرى حياتك فوق العادية وهي تتكشف.

سوف أحبك إلى الأبد، يا ابني ...

قالوا عن هذا الكتاب

"أنا مثال حي على أنه أياً كان الموضع الذي أتيت منه أو ما مررت به في حياتك، فإن الله يشتاق أن يفعل معك ولأجلك أشياء تفوق العادة. لقد اختار جون موضوع الساعة لأننا إذا أردنا أن نحقق كل ما خططه الله لهذا الجيل، فيجب أن نعرف أن الله يريد الكثير جداً لنا. اسمح لمعرفة جون الفائقة للكتاب المقدس أن تقودك من خلال اكتشاف الحياة فوق العادية التي أعدها الله لك!"

– جويس ماير، معلمة للكتاب المقدس ومؤلفة لبعض أكثر الكتب مبيعاً.

"في كتاب فوق العادة يقوم جون بيفير بمهمة رائعة يبين لنا من خلالها ما خلقنا الله لأجله وكيف ينطبق هذا على كل مجالات حياتنا. وبما أنني رياضي محترف، فأنا أواجه باستمرار ضرورة الموازنة بين أن أكون فوق العادة لأجل الله، كما في مهنتي أيضاً. وقد أوضح لي هذا الكتاب أنه لا يوجد انفصال بين حياتنا الروحية وحياتنا اليومية. لقد دعانا الله لكي نعيش حياة فوق العادة، كل دقيقة من كل يوم. يجب على كل من يبحثون عن الحياة المنغمسة في عظمة يسوع أن يقرأوا هذا الكتاب!"

– كيرت وارنر، لاعب مدافع في الاتحاد القومي لكرة القدم وحاصل مرتين على لقب أفضل لاعب.

"جون بيفير هو أحد أكثر الناس الذين أعرفهم شغفاً، وأنا أرى أنه قد توصل بالفعل إلى معنى (يوحنا ١٠: ١٠) "أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل". في كتاب فوق العادة يغوص جون في الكلمة لكي يرينا معنى أن نرضي الله ونستخدم الوزنات التي منحها هو لنا. يدفع جون المؤمنين إلى الحافة لكي ينطلقوا إلى العمق. إنه يعيش الحياة بملئها، ومن خلال هذه الصفحات سوف يشجعك على أن تختبر فرحة خدمة المسيح بشغف".

– جيمس روبنسون، مؤسسة لايف الكرازية الدولية.

"هذه الرسالة فريدة من نوعها! ففي هذا التوجه غير المسبوق، يقدم جون بيفير كتاباً سوف يكشف أمامك كل ما هو فوق العادة بداخلك. أصلي أن ينفتح قلبك وتكون مستعداً لاستقبال كتاب فوق العادة".

– دارلين تشيك.

"مرة أخرى تشرق بصيرة جون بيفير الثاقبة والعملية تجاه ما يجعل الحياة ناجحة من خلال هذه الصفحات. ففي العصر الذي يطلب الناس فيه علاجات سريعة بدلاً من حلول الحياة، وملاحظات مختصرة بدلاً من الحكمة، هناك احتياج لهذا النوع من الصدق فيما يتعلق بمتطلبات بناء الحياة. ويرينا جون أن الحياة التي تفوق العادة هي في متناول كل شخص، ولكن ليس بشروط عادية".
– الدكتور جاك و. هايفورد، رئيس جامعة كينج، والراعي المؤسس لكنيسة "ذا تشيرش أون ذا واي".

"يبين لنا كتاب فوق العادة تلك البقعة على الأفق، أو الموضع الذي يمكن أن يكون لنا لنحيا فيه. ففي هذا الكتاب يعطينا جون لمحة عمّا أعده الله لنا في ذلك الموضع، حتى يمكننا أن نسعى وراه ونسمح لروح الله أن يأخذنا إليه".
– كريس تواملين، قائد التسبيح بكنيسة باشون سيتي بأتلانتا، والفنان بشركة سيكس ستبس ريكوردز للتسجيلات.

"يقدم لنا جون بيفير لمحة فريدة عن رغباتنا البشرية الطبيعية لحياة فوق العادة، كما يقدم مناقشة صريحة ونزيهة ودقيقة عن لماذا نقبل السير وسط الدجاج كمصير مطلق لنا في الحياة، بينما نتوق إلى التحليق مثل النسور القوية. يرينا كتاب جون كيفية الوصول إلى هذا الشخص فوق العادي الذي يسكن بداخل كل منا".
– الأسقف تي دي جيكس، الراعي الأكبر بمؤسسة بيت الفخاري بدالاس.

"في كتاب فوق العادة يقود صديقي جون بيفير القراء في رحلة نحو اكتشاف حياة المزيد – المزيد من الفهم، المزيد من النجاح، المزيد من الإثارة. كما يبين لنا ما الذي يلزمنا لكي نتحرك إلى ما وراء الوجود العادي والإمساك بالحياة التي تفوق العادة!"
– إد يونج، الراعي الأكبر لكنيسة فيلوشيب، ومؤلف كتاب الفرح الفائق المُعدي.

"أكثر شيء أفضله في كتب جون بيفير هي أنها زاخرة بالمقاطع الكتابية، التي تدعوك أن تنمو بصورة أعمق في مسيرتك مع يسوع. وكتاب فوق العادة لا يختلف عن هذا. يتعمق جون في الكتاب المقدس ويفتح عينيك على رغبة الله الشديدة في

أن يبعدك عمَّا هو عادي ويوصلك إلى ما هو فوق العاي. فاستعد للتحدي والتغيير وأنت تقرأ".
– آرون رادلي، لاعب جولف معتمد في جمعية لاعبي الجولف المحترفين بسكوتسديل بأريزونا.

"بالنعمة والشجاعة، يدعونا جون بيفير أن نحيا حياة أعظم في الله ؟ الحياة التي خلقنا لكي نعيشها. وفي هذا الكتاب الجديد القوي، يرينا جون كيف يمكن لنعمة الله أن تصبح هي نقطة الانطلاق نحو حياة أكثر من عادية".
– مات ريدمان، مؤلف ترانيم.

"يبين لنا جون بيفير من كلمة الله أن كل من يريد، يمكنه أن يحيا حياة ذات تأثير. هذا الكتاب يصيب الهدف بالحق. فلا داعي للمزيد من الحياة الروحية المملة الهابطة الضعيفة لجسد المسيح. دعونا نفعل ذلك! يمكننا أن نطلق كل قوة لله ونفعل ما يفوق العادة!"
– شون ألكسندر، لاعب كرة قدم سابق وحاصل على لقب أفضل لاعب.

"في كتاب فوق العادة، يفحص جون بيفير القلب ويشجعه على أن يدرك أن الله قد دعانا كلنا للحياة الفيَّاضة. كل منا يعرف أننا قد خُلقنا لما هو أكثر مما نحن عليه. وهذا الكتاب سوف يساعدك على أن تترك الحياة المتوسطة وتستمتع بالمغامرات العظيمة التي أعدها الله لك".
– تومي بارنيت، راعي الكنيسة الرسولية الأولى بفينكس ومراكز الأحلام بفينكس، لوس أنجيلوس، نيويورك.

"المراهقون والكبار يقضون وقتاً طويلاً جداً في البحث بدون جدوى عن قيمة أو شيء يستحق العمل لأجله. وفي هذا الكتاب يقدم لنا جون بيفير التحدي بالإجابة البسيطة للأسئلة المتعلقة بالمعنى في الحياة. من هم على استعداد أن يجروا التغييرات هم فقط المسموح لهم بالقراءة!"
– رون لوس، رئيس ومؤسس خدمات تين مانيا.

"يتكلم جون بيفير ويكتب بدافع الاشتياق العظيم أن يرى الناس يصبحون كل ما أراده الله لهم. وكتاب فوق العادة هو خطوة قوية أخرى في هذه العملية،

ويدعونا إلى كل العظمة التي تسمح لنا أن نضاعف إمكانيات حياتنا المسيحية ونعيش الحياة التي ترضي من أعطانا هذه الحياة في المقام الأول".

– لوي جيليو، مؤتمرات باشون / كنيسة باشون سيتي.

المحتويات

شكر وتقدير ١٠
الفصل الأول: فوق العادة ١١
الفصل الثاني: أنت محبوب ١٧
الفصل الثالث: إرضاء الله ٢٣
الفصل الرابع: لابد أننا جميعاً نُظهَر ٣٣
الفصل الخامس: يمكنك أن تفعل هذا! ٤٥
الفصل السادس: القدرة على الإرضاء ٥١
الفصل السابع: النعمة والحق ٦٥
الفصل الثامن: جِدَّةُ الحياة ٧٩
الفصل التاسع: القداسة ٩١
الفصل العاشر: إياك أن تخيب ١٠٣
الفصل الحادي عشر: الملكوت الذي بداخلنا ١١١
الفصل الثاني عشر: الدخول ١٢٧
الفصل الثالث عشر: فوق الإدراك ١٤١
الفصل الرابع عشر: الإيمان الحقيقي لا يلين ١٦١
الفصل الخامس عشر: ما الذي تصغي إليه؟ ١٧٩
الفصل السادس عشر: الجسد ١٩٩
الفصل السابع عشر: حكم الله الملكي ٢١٩
ملحق ٢٣١

شكر وتقدير

خالص تقديري لكل من ...

ليزا. زوجتي الرائعة، وأفضل أصدقائي، وحبيبتي، والأم الرائعة، والسند الأمين، وشريكتي في الخدمة. أنتِ حقاً هدية الله لي ولكنيسته المحبوبة. أحبكِ وأقدركِ وأعتز بكِ.

أولادي الأربعة. أديسون وأوستن وألكسندر وآردن. كل واحد منكم يجلب سروراً عظيماً لحياتي. أنتم كنز خاص. أشكركم ليس فقط لأجل تشجيعكم، بل أيضاً لأجل مشاركتكم. أجركم كثير جداً!

فريق عمل وأعضاء مجلس إدارة مؤسسة "ماسنجر الدولية". أشكركم لأجل دعمكم الثابت وأمانتكم. يسرني العمل مع كل منكم ويشرفني أن نخدم الله معاً. أنا وليزا نحب كل واحد منكم.

أصدقائي الكثيرين في الخدمة في كل أنحاء العالم. هذا الحيز الصغير لا يسمح لي بأن أكتب أسماءكم جميعكم. أشكركم لأجل دعوات الخدمة وشرف التحدث والخدمة في كنائسكم ومؤتمراتكم. أحبكم أيها الرعاة والخدام يا من تخدمون الله بأمانة.

توم وينتر وستيف كوب. أشكركما لأجل تشجيعكما وإيمانكما برسالة الله التي تشتعل في قلبي.

بروس نايجرين. أشكرك لأجل مهاراتك التحريرية في هذا المشروع. لكن أكثر من أي شيء آخر، شكراً لك على مساندتك لي.

كل فريق عمل "ووتربوك مالتنوما". شكراً لأجل مساندتكم لهذه الرسالة ولأجل مساعدتكم المتميزة والمُحبة. أنتم مجموعة رائعة يحلو العمل معها.

والأهم من الجميع، أعبر عن امتناني الصادق لربي. كيف يمكن للكلمات أن توفي كل ما فعلته لي ولشعبك؟ أحبك محبة عميقة، أكثر مما يمكن للكلمات أن تعبر عنها.

الفصل الأول
فوق العادة

"مالم ترعين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعده الله للذين يحبونه"
(كورنثوس٢: ٩).

هذه الكلمات ترسم صورة لوجود غير عادي لا يمكن تخيله، وجود يفوق ما عرفه أو اختبره أي إنسان عادي. ربما سبق لك أن سمعت هذه الكلمات من قبل وربطتها بأمجاد السماء. لكن في الحقيقة، كان المقصود بهذه الكلمات هنا والآن! لأن الرسول بولس الذي كتب هذه الكلمات يواصل الحديث فيقول: **"فأعلنه الله لنا نحن بروحه"**. (الآية ١٠).

بولس الذي كان يعيش وقت بداية الكنيسة، دفعه الله إلى أن يكشف ما كان مخفياً من قبل عن أعيننا وآذاننا وتصورنا. وقد كتب أيضاً ما يلي لكي يصف التكليف الموضوع على حياته:

"وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح. لكي يعرّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوعة"
(أفسس ٣: ٩ ـ ١٠).

وقد جاءت في إحدى الترجمات بمعنى "مهمتي أن أكشف وأوضح ما كان الله، خالق كل هذه الأشياء، يفعله في السر وخلف الستار طوال الوقت. فعن طريق أتباع يسوع أمثالكم الذين يجتمعون في الكنائس، تصير خطة الله فوق العادية هذه معروفة حتى بين الملائكة ويتحدثون عنها!"

يوجد شخص واحد فقط يريد لك أكثر من أي شخص آخر أن تعيش حياة تفوق الحياة العادية، إنه الآب الذي يُسر مثل أي أب صالح بإنجازات أولاده وسعادتهم. واسمه الله! ولا يسره شيء أكثر من أن يراك تصل إلى أقصى ما يمكنك الوصول إليه.

وتستعلن خطة الله فوق العادية عندما نعيش بطريقة تفوق ما هو عادي. فلنقدم معاً للملائكة شيئاً يتحدثون عنه!

فوق العادي

فوق العادي. مجرد الاستماع إلى هذه الكلمة المذهلة يثير الرغبة في تخطي المعتاد، والانفلات من الوضع الراهن. وتعريف هذه العبارة هو "ما يفوق المعتاد، ما هو استثنائي، ما يتخطى المقاييس الشائعة". كما تأتي ضمن المرادفات لهذه العبارة عبارات مثل "جدير بالملاحظة، مذهل، مدهش، يفوق الخيال". ولكي نفهم المعنى الكامل لهذه الكلمة المؤثرة بشكل أفضل، يمكننا أن ننظر إلى الكلمات المضادة وهي "عادي، طبيعي، مألوف أو معتاد".

تأمل في هذا للحظة واحدة: الكلمة المضادة لعبارة "فوق العادة" هي "طبيعي"! إن تأملنا في أنفسنا بصدق، فسنجد أننا كلنا نريد لحياتنا أن تكون أكثر من مجرد ما عرفناه ورأيناه من قبل، فهناك رغبة فطرية بداخل كل منا تجعلنا نريد أن نتخطى ما هو عادي. صحيح أن هناك من يقمعون هذه الرغبة، لكننا كلنا نتوق إلى ما هو فوق العادة.

أشهر الأفلام السينمائية التي أحبها للناس هي التي أسرت قلوبهم وجذبت انتباههم لأنها تشتمل على قوى غير عادية. ومن بينها "الرجل العنكبوت"، و"سوبرمان"، و"الرجل الأخضر"، ومجموعة "حرب النجوم"، وثلاثية "سيد الخواتم"، و"حكايات نارنيا"، و"ماتريكس"، و"الأربعة الخياليون"، و"الرائعون"، و"الرجال الغامضون"، و"هاري بوتر"، و"قراصنة الكاريبي"، وما هذه إلا مجموعة قليلة منها فقط. وأضف إلى هذا الخليط الأفلام التي تظهر أبطالاً غير عاديين يقومون بأعمال بطولية مذهلة ويعيشون حياة استثنائية. شخصيات مثل "الرجل الوطواط"، و"الرجل الحديدي"، و"إنديانا جونز"، و"زورو"، و"ويليام والاس"، و"روبين هود"، و"سبارتاكوس"، و"سيرجنت يورك"، وما هم إلا قليلون من بين الكثيرين. بل إنه في عام ٢٠٠٩ كان هناك سبعة عشر فيلماً من بين الخمسة والعشرين فيلماً التي تعتبر قنابل في عالم السينما تندرج تحت هذه النوعية، وهي نسبة تمثل حوالي ٧٠ بالمائة. وإذا نظرنا إلى الخمسين فيلماً الأولى في السينما سنجد نفس النسبة تقريباً.

ومن المثير للانتباه ألا تكون معظم الأفلام الشهيرة على مدار التاريخ هي القصص الرومانسية أو ألغاز القتل أو مغامرات الجاسوسية أو أفلام الحروب أو القصص الواقعية أو السينما الرياضية أو أفلام الغرب أو القصص البوليسية أو دراما الصداقة أو الأسرة أو الحياة بوجه عام. كلا، بل على قمة إيرادات الأفلام تجد

الأفلام التي تركز على الشخصيات فوق العادية التي تقوم بأعمال بطولية مذهلة، وعدد كبير منهم يمتلكون قدرات أو قوى فائقة للبشر. لماذا؟ لأن "ما فوق العادة" هو ما خلقنا لنحياه. لقد كانت هذه هي خطة الله منذ البداية.

صورة المسيحية

للأسف فإن خطة الله وتطبيق الإنسان كثيراً ما لا يتوافقان. إن أحد الأسباب الرئيسية التي جعلتني أتجنب المسيحية لسنوات كثيرة كانت هي صورتها، فقد كنت، مثل الكثيرين غيري، أرى رجال الله على أنهم جلادون ينتقدون غيرهم ويطلقون الأحكام سريعاً على أخطاء الآخرين، مستخدمين الكتاب المقدس. أو أنهم كانوا سلبيين ومتخلفين وجهلاء. ففكرة أن المسيحيين كانوا رواداً يعيشون ويفكرون بطرق مبتكرة ويتصرفون بطرق فوق العادية، لم تخطر على بالي قط. أما فكرتي عن المرأة المسيحية، فقد كانت أسوأ من ذلك. كنت أرى أنها ليس لها رأي في الأمور المهمة، وترتدي ثياباً لا تتماشى مع العصر، وتهمل مظهرها. فليس مقبولاً بالنسبة للمرأة التقية أن تدخل إلى أي مجال يتخطى واجباتها المنزلية، وبالتأكيد لم أسمع مطلقاً عنها أنها تحتل موقع القيادة بأي شكل من الأشكال. وكشاب لم أكن أريد أن يُحظَر على زوجتي التفكير أو أن تُمنَع من الاشتراك في مغامرات الحياة. لم أكن أريد امرأة مكبوتة ؟ كنت أريد امرأة مليئة بالحياة!

كنت أرى المسيحية على أنها بلا حياة، فالإيمان كان يعني بالنسبة لي أن أفقد الفردية وأتخلى عن الابتكار والتفوق والشغف والقدرة على النجاح في سوق العمل والرياضة والسياسة والتعليم وغيرها من مجالات الحياة. ما لم أكن أعرفه وقتها أن نظرتي هذه كانت منافية لما خلقنا الله لنعيشه، لأنه هو الشخص الذي نفخ فينا الرغبة في ما يفوق العادي. استمع إلى الله نفسه:

"وقال الله: « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا،
فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم،
وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض».
فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه.
ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم:
«أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها»". (تكوين ١: ٢٦ ـ ٢٨)

لقد خُلقنا لنعكس طبيعة الله، فقد تكلم الله إلى الرجال والنساء أيضاً قائلاً:

"أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها". قام آدم، الإنسان الأول، بتسمية كل فصائل الحيوانات على وجه الأرض (وأنا واثق أن زوجته كانت ستشترك معه، لكنها لم تكن قد خُلقت بعد!) أحضر الله الحيوانات إلى آدم وأوكله مسئولية تسميتها. هناك أكثر من مليون فصيلة من الحيوانات على الأرض. لم يكن آدم يمتلك فقط القدرة الإبداعية التي تجعله يسميها كلها، بل أيضاً القدرة على تذكر كل منها. كان هذا شخصاً غير عادي يقوم بعمل بطولي مذهل!

ربما تتساءل قائلاً: "ولكن منذ سقط آدم، ألم تُفقد مثل هذه القدرات نتيجة عصيانه؟" كلا، فقد أصلح يسوع ما أفسده آدم للبشرية. كتب بولس يقول: "فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة". (رومية ٥: ١٨). كلمة الحياة لا تصف مجرد الطريقة التي سنحيا بها في السماء، لكنها تعني أيضاً "هنا والآن". لم يسترد يسوع ما خسره آدم فقط، لكنه أيضاً قدم المزيد، إذ قدم إمكانية الحياة فوق العادية!

الحقيقة هي أن الله لا يريدك فقط أن تعيش حياة فوق العادة، بل لقد أهّلك أيضاً لتفعل هذا. إياك أن تنسى هذه الكلمات، بل انقشها على لوح قلبك. الحياة المذهلة المدهشة فوق العادية ليست حكراً على أفراد معينين أو مهن معينة. فليس المهم هو من أنت أو كيف تخدم في الحياة. لا يهم إن كنت معلماً في مدرسة أو صاحب أعمال أو قائداً حكومياً أو ربة منزل أو رياضياً أو عاملاً في مصنع أو مصفف شعر أو طالباً أو قسيساً (والقائمة لا نهائية)، لأنك خُلقت لكي تحقق إنجازات تفوق ما هو معتاد في هذا الدور، فالقدرة على تحقيق بطولات مذهلة وعيش حياة استثنائية لا يرتبط بمهنة محددة بل باتجاه القلب. ليست هذه إرادة الله فقط، بل إنها مسرته العظمى.

لقد أصبحت لنا صورة محدودة مشوهة عن شعب الله نتيجة لما صورته لنا هوليوود ورجال الدين وثقافتنا. لماذا حدث هذا التشويه؟ لأن هناك عدو مشترك لله ولك ولي وهو إبليس الذي يسمى "رئيس هذا العالم" و "رئيس سلطان الهواء" و "إله هذا الدهر". وهو يسيطر على أنظمة العالم ويؤثر على أذهان من لا ينتمون لله. ولديه البلايين من الملائكة الساقطين والشياطين الذين ينفذون استراتيجيته الكبرى. والحقيقة المحزنة هي أنه كثيراً جداً ما قلصت الكنيسة استراتيجية إبليس الرئيسية إلى سلوكيات محددة، مثل محاولة جعل الناس يدمنون الكحوليات أو يشاهدون مشاهد الجنس القذرة في الأفلام. لكن إبليس أبرع من هذا بكثير

ويستخدم نطاقاً واسعاً من الشراك والملهيات. ولم نعد منتبهين للغرض الرئيسي لديه، لأن ما يخشاه أكثر من أي شيء آخر هو أن يكتشف المسيحيون ما خلقهم الله ليكونوا عليه، أي ليكونوا أناساً فوق العادة لديهم قدرات لتحقيق بطولات مذهلة وغير معتادة. يجب أن تكون هذه هي الصورة التي يتلقاها المجتمع عن المسيحيين.

وعلى عكس ما يعرف حالياً عن المسيحيين، فقد كان أحد الصراعات الكبرى التي واجهتها الكنيسة الأولى هو إقناع الناس أن المؤمنين لم يكونوا أبطالاً خارقين أو آلهة. فقد انحنى كرنيليوس، الذي كان قائداً في أقوى جيش في العالم وقتئذ، وسجد لبطرس ورفاقه. اندهش بطرس من هذا التصرف ورد على الفور قائلاً: "**قم. أنا أيضاً إنسان**". (**أعمال** ١٠: ٢٦).

وفي مدينة تدعى لسترة، نجد أن الجموع "**رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين: «إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا»**". فصحح بولس فكرتهم بحدة قائلاً: "**لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضاً بشر**" (**أعمال** ١٤: ١١ ، ١٥). عندما كان بولس في مالطة يجمع الحطب للنار، لدغته حية سامة، فنفضها عنه وتوقع السكان موته. "**فإذ انتظروا كثيراً ورأوا أنه لم يعرض له شيء مضرّ تغيّروا وقالوا هو إله**". (**أعمال**٢٨:٦).

قال غير المؤمنين عن الكنيسة الأولى: "**إن هؤلاء الذين فتنوا المسكونة حضروا إلى ههنا أيضاً**". (**أعمال** ١٧: ٦). كان المجتمع يقدر المسيحيين كثيراً. فمكتوب أن موقف مدينة أورشليم كلها من نحو الكنيسة هو "**كان الشعب يعظمهم**" (**أعمال** ٥: ١٣). ليتنا نحيا في جيلنا بالطريقة التي نسترد بها هذا النوع من الاحترام للكنيسة.

رحلة

في الصفحات التالية، سوف نبدأ رحلة تجعلنا ننال فهماً كاملاً للطريقة فوق العادية التي يريدنا الله أن نحيا بها. أشجعك على ألا تختصر المادة المقدمة أو تتخطى أجزاء منها لأن كل فصل مبني على ما سبقه.

لا أريدك أن تختبر ما اختبرته أنا مرات عديدة أثناء حياتي، فكثيراً ما كنت أعود للبيت متأخراً على فيلم كانت الأسرة كلها تشاهده. في إحدى الأمسيات دخلت إلى غرفة التليفزيون عند نهاية أحد الأفلام. كان البطل يحتضر ويقول كلماته الأخيرة التي تمثل ذروة الفيلم. كانت أمي وأبي وأخواتي وأنا نشاهد هذا المشهد معاً، لكن

تأثيره عليّ كان مختلفاً تماماً. لم أستطع أن أفهم لماذا كانت أمي وأخواتي تبكين. حتى أبي كان صامتاً وحزيناً. لكن بما أنني وصلت متأخراً، فقد كنت أقول لنفسي لماذا كل هذا؟ فنفس المشهد الذي أسر انتباه والديّ وأخواتي لم يكن له أي تأثير عليّ لأنني لم أقطع الرحلة معهم طوال الفيلم بأكمله.

لا أريد أن يحدث معك نفس الشيء في رسالة هذا الكتاب، لإنه إعلان تدريجي له القدرة على أن يغير حياتك بالكامل فتصبح فوق العادة. وأنا أتكلم عن اختبار، لأنني بينما كنت أطلب الله وأبحث وأكتب وأصلي لأجل هذا الكتاب، تغيرت بشكل قاطع!

وبينما تقطع هذه الرحلة معي، لن تدرك فقط أنك خلقت لما هو فوق العادي، لكنك في الحقيقة ستفهم أيضاً كيف تعيش هذا. وقبل أن نبدأ، دعونا نصلي معاً حتى يكشف الله لنا رغبته ويحرك فيك رغبتك.

يا رب، أسألك وأنا أقرأ هذا الكتاب أن يعلمني روحك القدوس. أصلي أن أعرف ما هو غنى وعظمة الدعوة التي وضعتها على حياتي. كما أريد أيضاً أن أعرف القوة التي وضعتها بداخلي لتحقيق هذه الدعوة وللإتيان بالمجد لاسمك وبالفرح لقلبك. لقد وضعتني هنا لوقت مثل هذا. أصلي أن تؤهلني هذه الرسالة لإتمام كل الأعمال الرائعة التي خططتها لي لكي أتممها على هذه الأرض. في اسم يسوع المسيح أقدم هذه الطلبة. آمين.

الفصل الثاني
أنت محبوب

أنا وزوجتي "ليزا" لدينا أربعة أولاد في وقت كتابة هذا الكتاب، تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة عشرة والثانية والعشرين. منذ بضع سنوات، بينما كنا نستمتع بتناول الطعام معاً، قلت هذا التصريح: "يا شباب، لا يمكنكم أن تفعلوا أي شيء يجعلني أنا أو أمكم نحبكم بمقدار أكثر مما نحبكم به بالفعل. والعكس صحيح. لا يمكنكم أن تفعلوا أي شيء يجعلني أنا أو أمكم نحبكم بمقدار أقل مما نحبكم به".

استطعت أن أرى كيف أسعدتهم كلماتي وعززت من مشاعر الأمان لديهم. فمن منا لا يريد أن يشعر أنه محبوب من أمه وأبيه؟ لكن ما قلته بعد ذلك جعلهم يتنبهون. "لكن يا أولاد، أنتم مسئولون عن مقدار رضاي أنا وأمكم عنكم". اختفت ابتساماتهم وحلت محلها تعبيرات أكثر جدية، فقد أدركوا أن رضانا عنهم لم يكن غير مشروط مثل محبتنا، بل كان مبنياً على سلوكهم.

أعرف أن هذا قد يمثل صدمة للبعض، لكن هذا الأمر حقيقي أيضاً في علاقتنا مع الله. لا يمكننا أن نفعل شيئاً واحداً يجعل الله يحبنا أكثر مما يحبنا بالفعل، والعكس صحيح، إذ لا يمكننا أن نجعله يحبنا أقل. لكن ما مقدار رضاه عنا؟ هذه قصة أخرى.

في السنوات الأخيرة سمعنا الكثير عن محبة الله غير المشروطة لنا – وهو حديث في غاية الضرورة ويساعدنا كثيراً في حياتنا. لكن الكثيرين استنتجوا بدون تفكير أنه بما أن الله يحبهم، فهو أيضاً راضٍ عنهم. لكن هذا ليس صحيحاً.

ما الذي ينطوي عليه إذاً رضا الله؟ أؤمن أننا كلنا نتوق إلى أن نرضي الله، بنفس الطريقة التي يشتاق فيها الأولاد أن يرضوا والديهم. ظللت لعشرات السنوات أصلي بحراراة قائلاً: "أيها الآب، أريد أن أرضيك بأفضل طريقة يمكن بها للإنسان أن يرضيك". هذه الصلاة تتفق مع ما كتبه الرسول بولس لكل مؤمن عندما قال: "**لذلك نحترس أيضاً مستوطنين كنا أو متغربين أن نكون مرضيين عنده**". (٢ كو٥: ٩).

العبارة المفتاحية هي "مرضيين عنده". كيف يمكن ألا نرضيه فقط بل نكون أيضاً "مرضيين" عنده؟ وكيف يتجاوب الله عندما نرضيه بهذه الطريقة؟

سوف أصرف الكثير من مادة هذا الكتاب في شرح الإجابة. لكن أولاً دعونا نتأكد من أننا نفهم العمق المذهل لمحبة الله لنا.

سوف أشرح الأمر.

محبة الله غير المشروطة لكل منا

إن محبة الله لنا غير مشروطة وغير متغيرة. ونرى هذا بوضوح في كلمات صلاة يسوع في الليلة السابقة لصلبه: "**ليعلم العالم أنك** (الله الآب) **أرسلتني** (يسوع المسيح) **وأحببتهم كما أحببتني**". (يوحنا ١٧: ٢٣).

هل تفهم هذا؟ إن الله يحبك بمقدار ما يحب يسوع! هذا أكبر بكثير من استيعابنا.

ربما تفكر قائلاً: "لابد أن يسوع كان يقصد فقط التلاميذ الذين كانوا يجلسون حول المائدة في العشاء الأخير، لأنهم هم الذين نشروا الإنجيل إلى العالم المعروف وكلهم، ما عدا واحداً، استشهدوا لأجل إيمانهم". إذا كنت تفكر هكذا، فأنت بذلك تستخدم سلوك الأشخاص كأساس لمحبة الله. وهذا ليس صحيحاً، فمحبته لنا غير مرتبطة بما نفعله لأجله.

اعتراض آخر على هذه المحبة العميقة يمكن أن يأتي في هذه الصورة: "كان هؤلاء مجموعة خاصة من الرجال الذين اختارهم الله ووضعهم على الأرض في ذلك الوقت لكي يحبهم أكثر من بقية الجنس البشري". وهذا بالتأكيد ليس صحيحاً، لأنه في هذه الصلاة نفسها قال يسوع أيضاً: "**ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم**". (يوحنا ١٧: ٢٠). إذا كنت تؤمن بيسوع المسيح، فأنت تؤمن بسبب كلام هؤلاء التلاميذ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. هؤلاء الرجال هم الذين كتبوا بأيديهم كلمات العهد الجديد، الذي قرأته أنت بنفسك أو سمعته من شخص آخر شاركك بالإنجيل. فلم تكن لتؤمن بيسوع المسيح لولا كلامهم وشهادتهم.

اعتراض شائع آخر على عظمة هذه المحبة هو: "أجل، يمكنني أن أؤمن أن الله

ربما أحبني ذات مرة بهذه الطريقة غير المشروطة، لكنني أسأت التصرف بطريقة مريعة منذ ذلك الحين، فبالتأكيد لا يمكنه أن يحبني الآن كما أحبني في البداية".

هذه كذبة أخرى! الكتاب المقدس يقرر أن محبة الله "**تصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء** (**بدون أن تضعف**). **المحبة لا تسقط أبداً** (**لا تخبو أبداً أو تشيخ أو تنتهي**)." (١ كورنثوس ١٣: ٧ـ٨). إن محبة الله لك لا يمكن أبداً أن تضعف أو تشيخ. مستحيل أن يحدث هذا، لأن محبته لك ليست مبنية على سلوكك بل على شخصيته وأمانته.

إن محبة الله لنا تشمل الكل لدرجة أننا ببساطة لا يمكننا أن ندرك نطاقها. دعونا نقرر بعض الحقائق عن محبته. لقد أرسل الله ابنه لكي يموت عنا ونحن بعد خطاة (انظر رومية ٥: ١٠). كتب يوحنا الرسول يقول: "**لأنه هكذا أحب الله العالم** (**أنت وأنا**) **حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**" (يوحنا٣:١٦). لماذا بذل الله يسوع؟ والإجابة بسيطة: لكي يفتدينا. أبونا آدم أسلم نفسه وبالتالي كل ذريته (بما في ذلك أنت وأنا) إلى سيد جديد عندما أصغى لكلمات إبليس في جنة عدن. لقد عصى آدم الله بصورة صارخة وفصل نفسه وأبناءه عن خالقهم.

لكن بما أن الله كان يحب الجنس البشري كثيراً، فلم يرض أن يوقع علينا نفس المصير الذي ناله إبليس وملائكته (جهنم وبحيرة النار الأبدية). كان الله بحاجة إلى خطة مبتكرة لكي يشتري حريتنا. وقد فعل ذلك بأن أرسل يسوع المسيح، الأقنوم الثاني في اللاهوت، الذي حُبل به بالروح القدس وولد من عذراء. كان يسوع إنساناً كاملاً والله الكامل في الوقت نفسه وعاش حياة كاملة (فهو الإنسان الوحيد على وجه الأرض الذي بدون خطية). فذهب إلى الصليب وسدد ثمن عصياننا لله. أخذ عقابنا حتى يمكننا نحن أن ننجو من العقاب.

لم يمكن لأي شيء آخر أن يشترينا ، لأن الله يقول: "**الذين يتكلون على ثروتهم وبكثرة غناهم يفتخرون. الأخ لن يفدي الإنسان فداء ولا يعطي الله كفارة عنه. وكريمة هي فدية نفوسهم**" (مزمور ٤٩: ٦ـ٨). إن ثمن نفوسنا كبير جداً لدرجة أنه لم يمكن لأي شيء آخر أن يفتدينا سوى يسوع نفسه. يقول الكتاب المقدس إن الله قد اشترانا بثمن كريم (١كورنثوس ٦: ٢٠). ويقول أيضاً إن الله الآب بحسب غنى نعمته اشترى حريتنا بدم ابنه (أفسس ١: ٧).

لا يوجد شخص أو شيء أثمن عند الله من يسوع، ومع ذلك رأى الله أن قيمتنا تساوي قيمة أغلى شخص لديه. والآن إليك هذه الحقيقة المذهلة: إذا كانت قيمتك وقيمتي أقل لدى الله بقرش واحد من قيمة يسوع، ما كان قد اشترانا، لأن الله لم يكن ليدخل في صفقة غير مربحة. الله لا يشتري شيئاً خاسراً (تذكر الجزء الكتابي السابق "قد اشتريتم بثمن"). يخسر الشخص عندما يقدم قيمة كبيرة في مقابل شيء ذي قيمة قليلة. لكن الله يرى أن قيمة يسوع هي نفس قيمتك أنت!

هل ترى مدى أهميتك لدى الله؟ ولهذا صلى يسوع قائلاً: "أحببتَهم كما أحببتني" (يوحنا ١٧: ٢٣). هذه محبة غير عادية!

محبة يسوع لك

بعد أن سلمت حياتي للمسيح بوقت قليل، كان لي حديث مفاجئ وجذاب مع الرب. لم أسمع صوتاً بأذني لكنني شعرت برسالة تغمرني وتسود على قلبي قال لي فيها: هل تعلم أنني أقدرك أكثر من نفسي؟

يمكنك أن تتخيل كم نبهتني هذه الكلمات. هل كان هذا صوت العدو الذي يحاول أن يزرع أفكار تجديف أو كبرياء في ذهني؟ كيف يمكن لله الذي صنع الكون وكل ما فيه أن يقول لي، أنا الحقير، إنه يعتبرني ذا قيمة أكبر من نفسه؟ وكدت أقول: "اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي!" لكن في عمق روحي كنت أعلم أن هذا هو صوت يسوع. لكنني كنت أحتاج إلى أن أتأكد، لأنني بالرغم من حداثتي في الإيمان كنت أعلم جيداً أن الكتاب المقدس يقول لنا "امتحنوا الأرواح" (١ يوحنا ٤: ١).

وبهذا التفكير قلت للرب: "يا رب، لا يمكنني أن أصدق هذا ما لم تعطني ثلاثة أجزاء كتابية من العهد الجديد كبراهين للتأكيد على هذا الكلام". هذا الرد الذي قلته لله جعلني أرتعد، لكنني كنت أعلم أن هذا هو ما يجب عمله. وسرعان ما شعرت في قلبي أن الله ليست لديه مشكلة في طلبتي هذه. في الحقيقة، شعرت أنه مسرور لأني طلبت منه ذلك.

وقد أجابني على الفور قائلاً: ماذا يقول فيلبي ٢: ٣؟

كنت أعرف هذه الآية عن ظهر قلب، ولذلك استرجعتها من الذاكرة:

"لا شيئاً بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم".

وقال الرب: هذا هو الجزء الكتابي الأول.
لكنني قاومت بسرعة قائلاً: "لا يا رب. بولس لم يكن يتحدث عنك! بل كان يعلّم مؤمني فيلبي أن يحسبوا بعضهم البعض أفضل من أنفسهم. لم يكن يناقش مسألة كيف تتعامل أنت معي وتقدرني".
وأتتني الإجابة على الفور: أنا لا أقول لأولادي أن يفعلوا شيئاً لا أفعله أنا نفسي.
أووه. شعرت بالمفاجأة. لكن الرب كان لديه المزيد.

واستمر الرب ليقول: هذه هي الصعوبة التي تواجهها الكثير من العائلات، فالآباء والأمهات يقولون لأولادهم أن يفعلوا أشياء هم أنفسهم لا يفعلونها، أو يخبرونهم ألا يفعلوا أشياء هم أنفسهم يفعلونها. الكثيرون من الآباء والأمهات يقولون لأولادهم ألا يتشاجروا، ومع ذلك هم أنفسهم يتشاجرون دائماً أمامهم. وبعد هذا يتساءلون لماذا يتشاجر أولادهم. لكنني لا أفعل هذا، أنا أفعل ما أقول لأولادي أن يفعلوه.

حاولت أن أتصرف بمكر، فقلت: "حسناً. هذا جزء واحد. لا زلت أحتاج إلى جزئين آخرين!"
ثم سمعته يتحدث في قلبي قائلاً: من الذي علق على الصليب؟ أنت أم أنا؟
فاندهشت.
لقد علقتُ على الصليب، حاملاً خطاياك، وأمراضك، وأتعابك، وفقرك، ودينونتك، ومتُّ في النهاية لأنني أقدرك أكثر من نفسي.

وتذكرت كلمات بطرس: "**الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة**". (١**بطرس**٢: ٢٤). وأدركت عندها أنني سمعت الرب بالتأكيد. لقد كان يقدرني أكثر من نفسه. وإلا ما كان قد أخذ دينونتي ومات بدلاً عني.

وعرفت أن التأكيد الأخير كان في طريقة إليّ. وبدون أن أضطر للطلب، سمعت في قلبي الجزء الكتابي الثالث وهو: "**وادّين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية. مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة**". (**رومية** ١٢: ١٠). **أنا البكر بين إخوة كثيرين** (**انظر رومية** ٨: ٢٩)، وأنا أفضّل إخوتي وأخواتي في المحبة أكثر من نفسي". كانت هذه هي كلمات الرب الأخيرة.

بالطبع تنطبق هذه المعلومة التي نلتها على كل ابن لله، ولذلك فالأمر حقيقي بالنسبة لك أيضاً. إن الله يقدر كل واحد منا أكثر من نفسه بكل معنى الكلمة! هذه

محبة غير عادية وأروع بكثير من أن ندركها. لذلك فإن الله الآب لا يحبك فقط كما يحب يسوع، بل إن يسوع أيضاً يحبك كما يحب نفسه، بل وأكثر من نفسه!

الروح القدس

كما أن الأقنوم الثالث في اللاهوت، أي الروح القدس، يحبك بنفس هذه المحبة أيضاً. لأنه هو الأقنوم الذي سكب محبة الله في قلبك عندما سلمت حياتك ليسوع المسيح (انظر رومية ٥: ٥). ولهذا يقول بولس: "**فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح**" (رومية ١٥: ٣٠). لاحظ أن محبة الروح القدس لنا واضحة في الكتاب المقدس. ولهذا سوف يسكن فينا إلى الأبد. إن محبته لنا هي التي تجعله يمكث معنا. إنه روح المحبة، لأن الله محبة.

محبة الله لك ولي في الحقيقة غير مشروطة، وغير متغيرة، وباقية إلى الأبد. إنه يحب كل واحد منا على حدة تماماً كما يحب يسوع المسيح. هذا الأمر رائع جداً لدرجة أننا لا يمكن أن نفهمه. لكنه حقيقي، لأن الله لا يمكن أن يكذب. في أي وقت تشعر فيه أنك غير محبوب، عرِّف هذا الشعور أو هذا الفكر على أنه كذب وارفضه، وذكر نفسك بالثمن الفائق المدفوع لكي يعيدك مرة أخرى إلى أحضان الآب. إنه يشتاق إليك بمحبة لا تنتهي.

لا أريدك أن تنسى أبداً محبة الله لك أو تتشكك فيها. إنها غير مشروطة، فهي لا تعتمد على أدائك أو مقدار صلاحك. إنها محبة ثابتة لا تخبو أو تنتهي. يجب أن تكون هي أساس حياتك في المسيح.

تأملات لرحلة فوق العادة

هل تؤمن حقاً أن الله يحبك محبة غير مشروطة؟ لماذا؟ أو لماذا لا؟

إذا كنت لا تؤمن بهذا، فهل اعتقادك مبني على المشاعر أم على ما تكلم الله به؟ إذا كان مبنياً على مشاعرك، فهل تؤمن أن مشاعرك قد تكون غير دقيقة؟

خذ قراراً حاسماً أن تصدق كلمة الله وليس ما تشعر به. سبح الله واشكره الآن على محبته الرائعة!

الفصل الثالث
إرضاء الله

بعد أن وضعنا محبة الله أساساً لنا، دعونا الآن نتقدم ونناقش إرضاء الله. وكما قلت سابقاً، فإننا لا يمكننا أن نفعل شيئاً واحداً يجعل الله يحبنا أكثر أو أقل. لكن كما قلت لأولادي الأربعة، نحن مسئولون عن مقدار رضا الله عنا. إن رضاه عنا مبني على اختياراتنا في الحياة. ولهذا كتب بولس بكلمات شديدة الوضوح قائلاً: "**لذلك نحترس أيضاً... أن نكون مرضين عنده**". (٢ كورنثوس ٥: ٩).

دعونا نفحص كلمات بولس عن قرب. كلمة نحترس تعني ببساطة أن يكون هذا هدفنا. في الحقيقة بعض الترجمات توردها هكذا: "لذلك نجعل هدفنا ...". إن هدف حياتنا كأولاد الله هو أن نكون مصدر فرح لأبينا!

كلمة مرضيين تأتي من الكلمة اليونانية euarestos. يورد فهرس سترونج تعريف هذه الكلمة على أنها "الإرضاء الكثير". فالكلمة التي استخدمها بولس لا تعني فقط أن نرضي الله، بل أن نرضيه كثيراً. لا يجب أن يكون "المستوى المتوسط" هو الهدف الذي نرمي إليه في جلب السرور لله. يجب أن نكون شغوفين في سعينا لنكون مرضين بالتمام له.

وإذا نظرنا إلى كلمات بولس في ترجمة الرسالة الإنجليزية سنجدها: "إن إرضاء الله بسرور هو الشيء الأساسي، وهذا هو ما نهدف إلى فعله، بغض النظر عن أحوالنا". أنا أحب عبارة الشيء الأساسي. يجب أن يكون هذا هو الدافع المحرك في حياة كل منا. لا يجب لأي شيء آخر أن يأخذ الأولوية على هذا الغرض. إذا عشنا بهذا الهدف الأسمى على أنه معيار حياتنا، فسوف يحدث شيئان: الفرح الغامر والإشباع التام.

كلنا كبشر لدينا رغبة فطرية في أن نرضي آباءنا وأمهاتنا. وهذا مجرد انعكاس لرغبتنا الأصدق والتي هي أن نرضي أبانا السماوي. إن دافعنا الأساسي لإرضاء الله نابع من محبتنا له. فنحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً وملأ قلوبنا بمحبته!

وبوصفك ابناً حقيقياً لله، يكون أكثر ما يشبعك هو أن تعرف أن الله راضٍ عنك. إذا سلكنا في هذه المعرفة، فسيكون لنا فرح لا يمكن أن يضاهيه شيء آخر.

الفائدة الثانية للسعي وراء هذا الهدف السامي هو أننا سوف ننال أجرة عظيمة. هل يبدو هذا موضع شك بالنسبة لك – أو ربما يبدو أنانياً؟ إن نوال الأجرة العظيمة هو السبب الذي لأجله يحرضنا بولس على أن نرضي الله، ويشرح هذا الأمر في الآية التالية. لكن قبل أن ننظر إليها، دعونا أولاً نعود إلى الآية السابقة حتى نعرف لمن كان بولس يكتب هذه الكلمات:

"فنثق ونسرّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب". (٢ كورنثوس ٥:٨).

نعرف من هذا الجزء أن بولس لم يكن يتحدث إلى البشر كلهم، بل إلى المؤمنين بيسوع المسيح فقط. لأنه عندما ينفصل الشخص الذي لم يدخل في علاقة مع الرب يسوع المسيح عن هذا العالم بالموت الجسدي، فلن يكون في محضر الرب بل في الجحيم. إن كلمة الله واضحة: هناك مكانان فقط يمكن للإنسان أن يتواجد فيهما بعد الرحيل عن هذا الجسد – إما السماء أو الجحيم. هناك فقط سماء حقيقية أو جحيم حقيقي.

أنا لا أعني بهذا أن أكون قاسياً أو ناقداً، لكنني أقرر الحقائق. يجب أن نتذكر أن يسوع قال: "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلّص به العالم". لأن العالم "قد دين" (يوحنا ٣: ١٧ ـ ١٨). شكراً لله! لقد أخرجنا يسوع مما حكمنا على أنفسنا به.

أعرف أن هذا السؤال يؤرق الكثيرين: "لماذا يلقي الله المحب برجل أو امرأة في الجحيم؟" وهناك عدة أوجه للإجابة. أولاً يجب أن تنتبه إلى أن الجحيم لم يُخلق للرجال والنساء بل لإبليس وجماعته. وقد أوضح يسوع هذا عندما قال لمن لم يعيشوا لأجله: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته". (متى ٢٥: ٤١). هذه الحقيقة المهمة توضح لماذا كان على الله أن يشترينا مرة أخرى. فالله في حقيقته "محبة"، لكنه أيضاً عادل. فهو لا يكذب أبداً أو يحرف القوانين. فلو فعل ذلك، لن يكون هو الله، لأن الله "منزه عن الكذب" (تيطس ١: ٢).

كان الإنسان محكوماً عليه بالجحيم لأنه أسلم نفسه إلى رب الخطية الذي هو إبليس في جنة عدن. وبمجرد أن فعل هذا، أصبح عبداً للخطية ومستحقاً لعواقبها،

وهو نفس مصير سيده الجديد. لو كان الله قد خفف عقاب الخطية على الإنسان، كان هذا سيجعله غير عادل بالنسبة لإبليس. وكان سيحق لإبليس أن يتهم الله بأنه يحرف القوانين لأجل الجنس البشري، أي أنه يتصرف بصورة غير عادلة. لا يمكن لله أن يكون متحيزاً في الحكم لأن طبيعته هي أساس شخصه. ونتيجة لذلك، كان على الجنس البشري أن ينال نفس الحكم الذي ناله إبليس وملائكته تماماً.

ولهذا السبب، كان على الله أن يضع خطة لخلاص البشر مما جلبوه على أنفسهم وعلى أولادهم، ولذا كان على يسوع أن يموت عنا. ولد يسوع وهو الله بنسبة مائة بالمائة، واستطاع أن يدفع ثمن أعظم خطية للإنسان ضد الله. لم يكن باستطاعتنا أن نخلص إلا عندما يخلصنا إنسان آخر من الدينونة التي جلبناها على أنفسنا. ولهذا السبب، فإنه عندما أصبح يسوع خطية لأجلنا على الصليب ، صرخ "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (متى ٢٧: ٤٦). لقد أخذ عقابنا، أخذ مكاننا من جهة الحكم.

وهكذا فإنه بإنسان واحد الذي هو آدم، دخلت الخطية إلى كل البشر. لكن بإنسان واحد الذي هو يسوع المسيح، أصبح الخلاص من الموت متاحاً للجميع. والكتاب المقدس يقول هذا بوضوح:

"فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة". (رومية ٥: ١٨).

ولهذا فإنه عندما يسلم أي إنسان قلبه وحياته لسيادة يسوع، تنكسر السيادة الشرعية لإبليس، ويصير الحكم الواقع عليه من قبل الله هو التبرير الكامل. يستطيع الله الآب أن يضمن لنا الدخول إلى ملكوته بعدل بدون أن يتنافى هذا مع استقامته. يا لها من خطة غير عادية أعدها لنا إلهنا الرائع!

هل سلمت حياتك ليسوع المسيح ليكون هو سيدك؟ إن لم تكن قد فعلت هذا، وترغب في أن تفعله الآن، أرجوك أن تتوجه إلى الملحق الموجود في نهاية هذا الكتاب لتجد إرشادات عن كيفية اتخاذ هذا القرار ؟ والذي هو أهم التزام سوف تقوم به في حياتك.

الحكم على المؤمن

لنتحول الآن إلى مناقشة السبب الذي لأجله يحثنا الكتاب المقدس أن نكون مرضيين لله. نعلم من كلمات بولس أنه يخاطب من صاروا أولاداً لله بالإيمان بيسوع المسيح، وليس كل البشر. فهو يقول:

"لذلك نحترس أيضاً مستوطنين كنا أو متغربين أن نكون مرضيين عنده. لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً".
(٢ كورنثوس ٥: ٩ ـ ١٠)

إن بولس ينصحنا أن نرضي الله لأننا في يوم ما سوف نقف للمحاسبة. ربما تقول: "ولكنني كنت أعتقد أن يسوع خلصنا من هذا". أجل، إذا كنت قد قبلته كالرب، فهو قد خلصك. لكنك في يوم ما سوف تقف أمامه ويكون هو الديّان.

كثيرون لا يعلمون أنه في يوم ما في المستقبل سوف يقف كل مؤمن بمفرده أمام كرسي المسيح وسوف تُمنح الأجرة بناء على ما تم فعله في وقتنا القصير الذي قضيناه على الأرض. كل واحد سوف ينال ما يستحقه.

لن يتم الحكم على خطايانا، لأن دم يسوع محا العقاب الأبدي للخطية. بل سوف ننال الأجرة، أو نتحمل الخسارة، على عملنا كمؤمنين في المسيح يسوع. ويوضح بولس هذا في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس: **"فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح"**. (١ كورنثوس ٣: ١١). مرة أخرى أقول إنه يتحدث هنا فقط إلى من أصبحوا أولاد الله، لأن الأساس الكامل لحياة المؤمن هو يسوع المسيح. ويكتب بولس في رسالة ثانية قائلاً: **" فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه متأصلين ومبنيين فيه وموطدين في الإيمان كما علّمتم متفاضلين فيه بالشكر"**. (كولوسي٢: ٦ ـ ٧). يجب أن نبني حياتنا على يسوع.

بعد أن فهمنا هذا، لنواصل القراءة:

"ولكن إن كان أحد يبني على هذا الأساس ذهباً فضة حجارة كريمة خشباً عشباً قشاً"
(١ كورنثوس ٣: ١٢).

الذهب والفضة والحجارة الكريمة تمثل الأشياء التي لها قيمة أبدية. أما الخشب والعشب والقش فتمثل الأشياء الوقتية التي لا تدوم. أمامك اختيار، يوماً بيوم،

وساعة بعد ساعة، ولحظة بعد لحظة: يمكنك إما أن تبني حياتك على ما هو أبدي، أو تبني حياتك على ما هو وقتي، والأمر راجع لك. ويستمر هذا الجزء ليقول:

"فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم (يوم المسيح) سيبيّنه. لأنه بنار يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو". (ع ١٣)

عندما تضع ناراً تحت الخشب أو العشب أو القش، سوف تلتهمها ولن توجد فيما بعد. لكن إذا وضعت ناراً تحت الذهب أو الفضة أو الحجارة الكريمة، فسوف تتنقى وتبقى. وهناك المزيد:

"إن بقي عمل أحد قد بناه عليه (أية نتيجة لمجهوده أياً كانت) فسيأخذ أجرة. إن احترق عمل أحد (بفعل الامتحان) فسيخسر (كل شيء، وسيخسر الأجرة) وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار". (ع ١٤ ـ ١٥)

لاحظ كلمتي أجرة ويخسر. أتذكر أنني في أول مرة قرأت فيها هذا الجزء شعرت بالصدمة، فهذا المفهوم لم يكن يتماشى مع ما قاله الآخرون لي. كنت أعتقد أننا كلنا سوف نذهب إلى السماء وسننال أجرة متساوية بسبب ما فعله يسوع لأجلنا. لم أكن قد سمعت أن أجرة المؤمن مبنية على أدائه.

لقد تربيت في طائفة كان الكثيرون فيها يعتقدون أن أعمالنا الصالحة هي التي تخلصنا. لقد خلصت فقط بفعل دم يسوع المسفوك. كان الخلاص هو عطية الله ولم يكن مبنياً على أعمالي أو على حفاظي على قوانين الله.

لكنني كنت أخلط بين الخلاص والأجرة الأبدية أو الخسارة الأبدية. فقد جمعت الاثنين معاً بينما كانت الكلمة المقدسة تظهر شيئاً مختلفاً تماماً. لاحظ أن بولس يكتب أنه سيكون هناك أناس مخلَّصون حقاً بنعمة الله لأنهم قبلوا يسوع المسيح رباً ومخلصاً لهم. ومع ذلك سوف يقفون أمم كرسي المسيح ويفقدون كل المكافآت التي كان الله يريدها لهم. هؤلاء القديسون لن يخسروا السماء، لكنهم سيخسرون أجرتهم. لماذا؟ الجواب الذي يقدمه الكتاب المقدس هو لأنهم ببساطة لم يفعلوا ما يرضي الله.

كما يوضح الكتاب المقدس أيضاً أن هناك من سوف ينالون أجرة عظيمة بسبب الكيفية التي بنوا بها حياتهم على يسوع المسيح وفعلوا بها ما يرضي الله. هؤلاء

سوف ينالون التعويض إلى درجة المُلك بجوار يسوع المسيح إلى أبد الآبدين. يا له من أمر مذهل!

والأحكام التي سوف يصدرها يسوع على حياتنا في يوم الحكم تسمى "الدينونة الأبدية" (انظر عبرانيين ٦: ١ ـ ٢)، مما يعني أنه لن تكون هناك مراجعة أو تبديلات أو تعديلات أو تغييرات فيها. سوف تدوم أحكامه للأبد! توقف وتأمل في هذا: النتيجة البسيطة والحقيقية هي أن رد فعلنا تجاه الصليب يحدد أين سنقضي الأبدية. لكن الطريقة التي نعيش بها كمؤمنين تحدد كيف سنقضيها.

عندما أتحدث إلى الكنائس في مختلف أنحاء العالم، أندهش – خاصة في الثقافات الغربية – من كم المؤمنين الذين يجهلون هذه الحقائق، بالرغم من أن هذه المعرفة توصف على أنها "بداءة" تعليم المسيح (انظر عبرانيين ٦: ١–٢).

تأمل قليلاً في كلمة بداءة. يأتي تعريفها على أنها "إدخال أو احتواء أبسط الحقائق أو المبادئ الأساسية فقط". تعريف آخر يقدمه المعجم هو "ما يرتبط بالمدرسة الابتدائية". ما الذي تحصل عليه في المدرسة الابتدائية؟ تحصل على الأساس لبقية تعليمك، مثل كيفية القراءة والكتابة والجمع والطرح وهكذا. هل يمكنك أن تتخيل أن تحاول أن تبني تعليمك في المدرسة الثانوية أو الجامعة بدون أن تعرف كيف تقرأ وتكتب، أو تجمع وتطرح؟ سيكون هذا مستحيلاً. ومع هذا فإن الكثيرين من المؤمنين يحاولون أن يبنوا حياتهم المسيحية بدون هذه المعرفة الابتدائية أو الأساسية عن المسيح. ولذا فلا عجب أن مظهر الكنيسة اليوم يبعد عن الكنيسة التي نراها في سفر أعمال الرسل. لا عجب أننا لا نعيش حياة فوق العادة.

أجرة أولادنا

لقد اكتشفت أن الكثيرين من المؤمنين لديهم تواضع زائف فيما يتعلق بالأجرة الأبدية. فموقفهم هو الامتنان على أنهم نالوا الخلاص، وهو أمر جيد وصحيح. لكن فكرة العمل للحصول على أجرة من الله تبدو لهم فكرة وقحة. وهذا بعيد عن الحقيقة. اقرأ ما قاله الرسول يوحنا حول هذا الموضوع – مع الأخذ في الاعتبار أن الله هو الذي يتكلم من خلاله إلينا: "انظروا إلى أنفسكم لئلا نضيّع ما عملناه بل ننال أجراً تاماً". (٢ يوحنا١: ٨).

الله لا يريدنا فقط أن ننال أجراً، بل "أجراً تاماً"! أحياناً كنا أنا وليزا نضع تحدياً أمام أولادنا الأربعة ونعدهم بأجرة أو مكافآت جميلة لعملهم. كان يسرني كثيراً أن يقوموا بالمهمة ويتمموا ما طلبته منهم. ثم أسر كثيراً أن أكافئهم على عملهم. لكن في بعض الأحيان، كنت أشعر بخيبة الأمل لأنهم لم يفعلوا ما طلبته منهم وبالتالي لم أستطع أن أكافئ عملهم. كنت أريد ذلك، لكني لم أستطع. لأن الأب الذي يكافئ الأولاد عندما لا يكونون مستحقين فهو بذلك يبطل مبدأ الحافز، والحافز شيء جيد.

تخرج ابني الأكبر أديسون من المدرسة الثانوية بمرتبة الشرف وتم قبوله في إحدى أفضل الجامعات الأمريكية. وقد أذهلني قبل أن يترك المدرسة ببضعة أسابيع عندما سألني: "أبي، هل يجب عليّ أن أذهب للكلية الشهر القادم؟"

في الحقيقة لم أعلم ماذا يجب علي أن أقول سوى: "ولماذا لا تذهب؟"
فأجابني: "يا أبي، أنا أريد حقاً أن أتفرغ للخدمة وأساعدك أنت وأمي في توصيل الكلمة التي ائتمنكما الله عليها".
ماذا يمكنني أن أقول؟ أجبته" "بالتأكيد يا ابني".

التحق أديسون بوظيفة في المستوى الأول، وبعد حوالي ستة أشهر استدعاني مدير العاملين وطلب أن تتم ترقية أديسون إلى منصب مدير لإحدى الإدارات المهمة.

شعرت ببعض الريبة فسألته: "هل هو قادر على ذلك، أم إنك تفعل هذا لأنه ابننا؟"
فأجابني قائلاً: "يا جون، إن ابنك قائد".

بعد أن تولى أديسون مسئوليات الإدارة، بدأ في ابتكار طرق جديدة لتحفيز فريقه ولزيادة فعالية حملاتهم الكرازية. وفي أحد الأيام من شهر يناير، احتجزني في المكتب وسألني: "يا أبي، ماذا ستفعل إذا ضاعفنا إنتاجيتنا عن العام الماضي؟"

كدت أضحك من تفكيره المثالي هذا، لكن لحسن الحظ استطعت أن أتمالك نفسي. في العام السابق قام هذا الفريق بعمل مدهش، ولذلك كانت توقعات أديسون عالية جداً. وقد أعجبني هذا، لكن هدفه كان يبدو غير واقعي بدرجة كبيرة. وبما أن طلبه كان "صعب المنال"، فبدون تفكير وضعت أجراً كبيراً كنت أعرف أنني لن أضطر

إلى تقديمه. فقلت بكل ثقة: "يا ابني، اذا حققت هذا الهدف، سوف آخذك أنت والفريق كله في رحلة بحرية لمدة سبعة أيام".

فابتسم أديسون وقال: "عظيم يا أبي." ثم تركني ومضى.

ما لم أدركه هو أن رؤيته وإيمانه في هذه المنطقة كانا أكبر بكثير من رؤيتي وإيماني. في تلك السنة كان يتصل بي كثيراً طالباً الصلاة حتى يتمكن فريقه من تحقيق أهداف شهرية محددة. وهكذا كنا أنا وهو نصلي معاً، كما لاحظت أيضاً أن فريقه يتكاثر بشكل سريع. وبعد ستة أشهر، أدركت أنهم ربما يحققون الهدف. شعرت بالذهول (والحزن من جهتي).

وبعد كل ما تم من قول أو فعل، وبعد اثني عشر شهراً، حقق جهد إدارة أديسون نتائج تصل تقريباً إلى ثلاثة أضعاف ما تم تحقيقه في السنة السابقة. كنت متعجباً مما فعله الله، فقد كان أداؤهم يفوق العادة.

أخذنا أنا وليزا الفريق بأكمله في رحلة بحرية في نهاية العام. وقد فرحت كثيراً بتقديم الأجرة لأديسون وكل عضو من إدارته على عملهم المجتهد. كان هذا موقفاً يكسب فيه الطرفان. وكان المكسب الأول والأهم هو مئات الآلاف من الناس الذين سمعوا كلمة الله. كم من النفوس خلصت، وكم من الزيجات أُصلحت، وكم من الكنائس تشددت، وكم من الناس تم شفاؤهم. لم تكن كلمة الله وقوته لتلمس هؤلاء لولا سعي أديسون وفريقه لتحقيق الهدف. والمكسب الثاني هو أن أديسون وفريقه استمتعوا بإحساس الإشباع نتيجة أن مجهوداتهم ساهمت في تغيير إلهي وثمار أبدية في حياة الكثيرين. كما استفادوا أيضاً بوقت عظيم قضوه معاً كمجموعة واحدة لأن فترة الرحلة البحرية كانت ممتعة ومليئة بالضحك، وبالتأكيد كانت لها ذكريات رائعة. والمكسب الثالث كان هو أنني سررت بأن أكافئهم. أنا وليزا فرحنا كثيراً بمشاهدتهم وهم يستمتعون بثمار عملهم. ظل أعضاء الفريق يقولون بعضهم لبعض: "هل تدرك كم من الناس سمعوا كلمة الله بسبب إيماننا وعملنا؟" وقد ذهلت من درجة نضوجهم. فقد استمتعوا بالرحلة البحرية لكنهم لم يفقدوا تركيزهم على ما يهم.

والآن وبعد مرور عدة سنوات، لم يفقدوا شغفهم، ولازالوا يطلبون مني أهدافاً

عالية ويسعون وراءها بكل قلوبهم. فهم يعرفون أنه كلما زاد نجاحهم، زاد عدد الناس الذين يتغيرون إلى الأبد. وهذا بالنسبة لنا كلنا هو أعظم أجر ومكافأة.

أهداف الله لحياتك

كيف ينطبق هذا على علاقتك بأبيك السماوي؟ لقد وضع الله أهدافاً لكل واحد منا. في الحقيقة، لقد سجل الله هذه الأهداف في سفر قبل بدء الزمان. فداود يقول:

"رأت عيناك أعضائي وفي سِفرك كلها (كل أيامي ولحظاتي) كتبت يوم تصورت إذ لم يكن واحد منها". (مزمور ١٣٩: ١٦).

هذا أمر مذهل! هل كنت تعلم أنه يوجد سِفر مكتوب لك؟ الأشخاص المشهورون ليسوا هم فقط الذين تكتب لهم السيرة الذاتية. فإن قصتك أنت أيضاً في سِفر، والكاتب هو الله وليس سواه. لقد كتب ذلك السِفر قبل أن توجد في بطن أمك. يا لَها من فكرة مذهلة. كل يوم من أيام حياتك مسجَل في هذا السِفر. بل الأروع من هذا هو حقيقة أنه ليس كل يوم فقط، بل كل لحظة أيضاً.

وكما سعى ابني الأكبر وراء مهمة محددة وافقت عليها، هكذا صمم الله بعض الإنجازات لك في سِفرك. أجل، لقد وضع الله أهدافاً لك. كما يكشف الرسول بولس أيضاً كيف أن العملَ المطلوب كان مسجلاً من قبل:

"لأننا نحن عمله (الله) مخلوقين في المسيح يسوع (مولودين من جديد) لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها (خططها مسبقاً) لكي نسلك (نسير فيما أعده قبل الأزمنة) فيها (نعيش الحياة الصالحة التي رتبها من قبل وجهزها لنا لكي نعيشها)". (أفسس ٢: ١٠).

لقد خطط الله طرقك مسبقاً. لكن لاحظ أن بولس يقول "لكي نسلك فيها". إن الروح القدس لم يقل من خلال بولس إننا سوف نسلك فيها حتمياً، بل قال إنه "ينبغي أن نسلك فيها". والفارق بين الاثنين كبير. الإرادة الحرة تظهر هنا، لأن تتميم هذه المهام لا يأتي تلقائياً. يجب أن نتعاون في عملها. لقد وضع الله أهدافاً، لكن علينا أن نكتشف من خلال الصلاة وقراءة كلمة الله ووسائل روحية أخرى ما تم تدوينه لحياتنا. ثم بنعمة الله يمكننا أن نتممه، ولهذا يصلي بولس قائلاً:

"من أجل ذلك نحن أيضاً منذ يوم سمعنا لم نزل مصلّين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضى مثمرين في كل عمل صالح ونامين في معرفة الله". (كولوسي ١: ٩ ـ ١٠).

إن معرفة مشيئة الله لحياتنا تمنحنا القدرة على إرضائه دائماً. لكن الأمر ليس حتمياً، فقد وضع الله أهدافاً غير عادية لنا، ولن تتحقق بدون الصلاة والإيمان والعمل الجاد. ولهذا السبب يسمينا الكتاب المقدس عاملين مع الله (١كورنثوس٣:٩). يجب أن نفحص تكليفاتنا الشخصية ونتحرك نحوها، تماماً كما فعل أديسون وفريقه. لو لم يصلّوا ويؤمنوا ويعملوا باجتهاد، ما كان الفريق قد وصل إلى هدفه.

بعض الناس قد لا يسرون بالسماع عن أهداف الله، فتصورهم عن الحياة المسيحية هو "تعامل معها كما تأتي، وعشها بأفضل ما يمكن"، بدلاً من السعي وراء تتميم خطط الله المحددة لحياتهم. فهم يفكرون قائلين: "بعد أن تولد ثانية، تحضر الكنيسة، وتعامل الناس حسناً، وتعمل في وظيفة، وتتقاعد، وتموت نتيجة الشيخوخة أو مرض ما، وتذهب إلى السماء". بهذه العقلية، ما الذي يغفله هؤلاء القديسون؟ يا له من أمر محزن أن نقايض المستقبل المحدد من قبل السماء بمثل هذا الوجود الأرضي!

الكتاب المقدس يوضح أن كل لحظة من حياتنا مخططة. ماذا كان سيحدث لو أن ابني تعامل مع الحياة كما تتكشف له فقط؟ لم يكن للفريق أن يختبروا فرح الوصول إلى هدف سامٍ كهذا. إن أبانا السماوي يقول بتحديد: "**لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب أفكار سلام لا شر لأعطيكم آخرة ورجاء**". (إرميا ٢٩: ١١). الله يتوقع منا أن نطلب مشيئته لحياتنا ونكتشفها. يقول بولس الرسول: "**من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب**". (أفسس ٥: ١٧).

أليس عظيماً أن نعلم أن الله لم يخطط فقط لحياة "بيلي جراهام" و"أورال روبرتس" و"أبراهام لينكولن" و"كوري تن بوم"، وغيرهم من المشاهير؟ لقد خطط لحياتك أنت أيضاً – كل يوم، وكل ساعة، وكل لحظة – وكتبها في سِفر. إن حياتك فريدة، وخاصة، ولم تكن بأي حال من الأحوال صدفة أو ضائعةً بين الخضم الهائل من التفاصيل في حياة "الأشخاص العاديين" الآخرين. لا يوجد شخص عادي أو حقير؛ فلقد خُلِقنا كلنا لنسير في طريق فريد يفوق العادة.

تأملات لرحلة فوق العادة

في حياتك الآن، كيف ترضي الله؟ كيف يمكنك أن ترضيه أكثر؟
ما الذي تعتبره خطط خاصة لك من الله؟

الفصل الرابع
لابد أننا جميعاً نُظهَر

أمام كرسي المسيح، لن يمتحن يسوع عملنا وأفعالنا وكلماتنا المنطوقة فقط، بل سوف يجري فحصاً شاملاً لجوهر كياننا لكي يشمل أيضاً أفكارنا ودوافعنا وأغراضنا ونوايانا الداخلية. ففي عمق دواخلنا يجب أولاً وقبل كل شيء أن نرضي الله، وكما سنكتشف في فصول لاحقة فإن كياننا الداخلي هو الذي تبدأ فيه الحياة التي فوق العادة.

الكتاب المقدس يقول عن المؤمنين: "**حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر** آراء **القلوب**". (١ كورنثوس ٤: ٥). تأمل في كلمات خفايا الظلام وآراء القلوب. إن الأمر واضح – كل الأشياء المخفية سوف تعلن. وبعد أن عرفنا هذا، دعونا نستمع مرة أخرى إلى كلمة الله فيما يخص الحكم على المؤمنين:

"**لذلك نحترس أيضاً مستوطنين كنا أو متغربين أن نكون مرضيين عنده. لأنه لا بد أننا جميعاً نُظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد** (جزاءه) **ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً** (بالنظر إلى دوافعه وأغراضه، وما حققه، وما كان منشغلاً به، وما قدم نفسه وانتباهه لتحقيقه)". (٢ كورنثوس ٥: ٩ ـ ١٠).

لاحظ كلمة "نُظهر". كل البشر لهم ثلاث صور: صورتهم الظاهرة، وصورتهم المدركة، وبالطبع صورتهم الحقيقية. صورتك الظاهرة هي الطريقة التي تريد أن يراك الآخرون بها. صورتك المدركة هي كيف يراك الآخرون. وصورتك الحقيقية هي ما أنت عليه حقاً.

لنفكر في يسوع، فقد رفضه الكثيرون، وافترى عليه أصحاب النفوذ، وكذب عليه الحكام، وكان النظام الديني ينظر إليه على أنه مهرطق بل وأيضاً به شيطان. لم تكن صورته المدركة محببة في عيون الكثيرين، خاصة أصحاب المكانة العالية. لكن صورته الحقيقية كانت مختلفة، لأن الكتاب المقدس يقرر أنه هو رسم صورة الآب (انظر عبرانيين ١: ٣). وقد قال بشكل محدد في العشاء الأخير: "**الذي رآني فقد رأى الآب**". (يوحنا ١٤: ٩).

الكثيرون من أصحاب الصيت أو النفوذ ركزوا على ما لهم من صورة مدركة عن يسوع، بينما كان الله يرى فقط صورته الحقيقية. ولهذا السبب فقد تحدث الله القدير أكثر من مرة بصوت مسموع قائلاً: "**هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت**". (**متى**٣:١٧ ، ١٧: ٥ ، **٢ بطرس** ١: ١٧).

إن مسرة الله في الحادثة الأولى هنا لم تكن مبنية على إنجازات يسوع لأنه لم يكن قد أجرى ولا فعل خدمة واحد (انظر متى ٣: ١٧). كانت عبارة الآب نابعة من حقيقة أن يسوع ظل على حقيقته بدلاً من أن يستسلم لإغراء الرغبة في أن يكون "شخصاً مهماً". فكر في هذا: ربما كان أقرباء يسوع يعلمون جيداً من هو حتى قبل أن يستعلن بقوة أثناء المعمودية. أمه وزوج أمه استقبلا زيارات ملائكية وربما شاركا هذه القصص مع بقية العائلة. أنا متأكد أن يسوع ربما كان يتعرض لبعض الاستفزاز من أقربائه: "هيا يا يسوع، اصنع شيئاً مذهلاً!" حتى بعد معمودية يسوع، كان أخوته يدفعونه إلى أن يعيش صورة ظاهرة: "**انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية لكي يرى تلاميذك أيضاً أعمالك التي تعمل. لأنه ليس أحد يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد أن يكون علانية. إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم**". (**يوحنا**١٧:٣ ــ ٤). إذا كانوا وهم كبار يحثونه بهذه الطريقة، فهل يمكنك أن تتخيل الطريقة التي كانوا هم وجيرانه والآخرون يعاملونه بها قبل انطلاقه للخدمة في سن الثلاثين؟

لم تكن صورة يسوع المدركة هي التي يؤكد عليها الكتاب المقدس، بل مَنْ هو في حقيقته. إذا رأيت يسوع، فقد رأيت الآب. ولهذا قال يسوع لفيلبس: "**أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟**" (**يوحنا** ١٤: ٩). كان يسوع شخصاً مستقيماً. كان يظهر للناس الذين يقابلهم تماماً كما كان يظهر لأبيه. لم يحاول أن يصنع صيتاً لنفسه ولم يطلب مدح الناس أو موافقتهم. كان يهتم فقط بما كان مهماً لأبيه. ونحن يجب ألا نختلف عن هذا! يجب أن نكون تماماً مثل يسوع. هذا هو هدف أبينا لنا، ويجب أن يكون هو هدفنا نحن أيضاً.

لكن بالنسبة لكثير من المسيحيين، فإن صورتهم المدركة هي ما يهم، أي أن سمعتهم ببساطة لها أهمية أعظم من الدوافع الحقيقية لقلوبهم. وهذا يجعلهم يقدمون أنفسهم بالطريقة التي يرغبون أن يراهم الناس بها. فيركزون مجهوداتهم على المظاهر والمناصب والألقاب والكرامة وهكذا. لكننا يجب أن نتذكر أن صورتنا الظاهرة أو المدركة ليست هي ما سوف يُظهر أمام حشود السماء كلها، بل

صورتنا الحقيقية، أي الدوافع والنوايا الحقيقية لقلوبنا. أكرر مرة أخرى كلمات بولس الرسول: "**لأنه لا بد أننا جميعاً نُظهر أمام كرسي المسيح**". (**٢ كورنثوس ٥: ١٠**).

سوف تخدم من تخافه

ولهذا السبب، فبعد أن أخبرنا بولس بكرسي المسيح مباشرة، قال:
"**فإذ نحن عالمون مخافة الرب نقنع الناس**". (**٢ كورنثوس ٥: ١١**).

لاحظ كلمات بولس – "مخافة الرب". إن مخافة الرب تحفظنا متلامسين مع صورتنا الحقيقية. والعكس صحيح أيضاً: كلما نقصت مخافة الرب لدينا، زاد اعتمادنا على صورتنا الظاهرة.

سوف تخدم من تخافه. إذا كنت تخاف الله، فسوف تطيعه. وإذا كنت تخاف الإنسان، فسوف تطيع في النهاية رغبات الإنسان. كثيراً ما يكون الأصعب علينا أن نغضب الشخص الذي ننظر إليه، خاصة إذ كنا نرغب في محبته أو صداقته، من أن نغضب الله الذي لا ننظره.

كان الرسول بولس يخاف الله، ولذلك كان مهتماً بالأكثر بصورته الحقيقية التي يراها الله، وليست صورته الظاهرة. وهذا أبقاه في طاعة للمسيح، حتى عندما كان يتعرض لخيبة الأمل أو الرفض أو عدم الرضا من الآخرين. كتب بولس يقول: "**أفأستعطف الآن الناس أم الله؟ أم أطلب أن أرضي الناس؟ فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح**". (**غلاطية ١: ١٠**).

أنا متأكد أن نار بولس لكتابة هذه الكلمات كان وقودها هو ما اضطر أن يواجهه قبل ذلك مباشرة، لأنه في الأصحاح الثاني من هذه الرسالة ذكر مواجهته مع بطرس وبعض الرسل الآخرين:

"**ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً. لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم. ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان. وراءى معه باقي اليهود أيضاً، حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم! لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع: «إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً فلماذا تلزم الأمم أن يتهوّدوا؟»**" (**غلاطية ٢: ١١ ــ ١٤**).

تذكر أنك سوف تخدم من تخافه. كان بطرس خائفاً من أصدقائه المحافظين من أورشليم. كان يرغب بشدة في رضا يعقوب والقادة الآخرين، مما أدى به إلى السلوك المرائي. كان مركزاً على صورته الظاهرة لأنه كان يرغب بشدة في أن تكون صورتهم المدركة عنه صورة محببة. ولهذا السبب يقول سفر الأمثال: "**خشية الإنسان تضع شركاً والمتكل على الرب يُرفع**". (أمثال ٢٩: ٢٥).

رأى بولس المشكلة وكانت لديه الشجاعة أن يوبخ بطرس وجهاً لوجه، مع برنابا والآخرين الذين رضخوا لضغط الجماعة. قال بولس لبطرس إنه ظل يعيش في الحق، بصورته الحقيقية، طوال الفترة التي لم يكن فيها قادة اليهود المتحفظين موجودين. ولذلك كان بطرس مؤهلاً أن يكون ممثلاً حقيقياً ليسوع المسيح عن طريق قبول المؤمنين الجدد من الأمم ومحبتهم والتمتع بالشركة معهم. لكن بمجرد أن ظهر الرجال الذين كان بطرس يريد أن يثير إعجابهم، تحول إلى الحياة بدافع الصورة المدركة. ومثل هذا السلوك كان قدوة سيئة للمؤمنين الجدد من الأمم، ولم يكن الله مسروراً به.

نحن نعرف أن بطرس كان قديساً عظيماً، وهو الآن في السماء. لكن هذه هي نوعية الدافع والسلوك السيئ الذي سوف يُمتحن عند كرسي المسيح. سوف يكون على بطرس أن يجيب على هذه الحادثة، كما سيتحتم علينا أن نجيب عن كل المرات التي اخترنا فيها أن نسير بحسب الكيفية التي نريد أن يرانا الآخرون بها.

والآن اقرأ بعناية هذه الكلمات من الرسالة إلى العبرانيين:
"**لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته. وليس خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا**". (عبرانيين ٤: ١٢ ـ ١٣)

يا لمجموعة الكلمات الواردة في هذا الجزء! إذا كنت قد تخطيت سريعاً هذا الجزء لأنك قرأته من قبل، فأرجوك أن ترجع وتتأمل ببطء في كل عبارة.

لاحظ أن كلمة الله تخترق حتى إلى أعمق أفكارنا ورغباتنا، وهي تكشف حقيقتنا، وليس ما نظهر أنفسنا عليه. إذا أصغينا إلى الكلمة وأطعناها، سوف تحمينا من الخداع.

الاستماع إلى كلمة الله يحفظ مخافة الرب فاعلة في قلوبنا، ويبقينا في وعي كامل أن: "ليس خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا". بعدما سمعت هذا وفهمته، يمكنك الآن أن تدرك بصورة أشمل لماذا يصرخ الروح القدس قائلاً: "**يا ابني إن قبلت كلامي وخبأت وصاياي عندك حتى تميل أذنك إلى الحكمة وتعطّف قلبك على الفهم، إن دعوت المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم، إن طلبتها كالفضة وبحثت عنها كالكنوز، فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله**". (أمثال ٢: ١ ــ ٥).

عندما نطلب كلمته في دواخلنا على أنها أعظم كنز يمكن العثور عليه، إذا كنا نطلب أن نعرف طرقه وكأنه لا توجد مكافأة أو متعة أكبر منها، عندها سنعرف مخافة الرب، لن نخدع أنفسنا بصورة ظاهرية بل سوف نعيش في الحق.

ما هي مخافة الرب؟

ما هي إذاً مخافة الرب؟ أولاً وقبل كل شيء، هي لا تعني الارتعاب من الله، كيف يمكن أن تكون لنا علاقة حميمة مع شخص نشعر بالرعب منه؟ إن رغبة الله هي أن تكون له شركة وثيقة معنا.

عندما قاد موسى بني إسرائيل في الخروج من مصر، أتى بهم مباشرة إلى جبل سيناء، المنطقة التي أعلن الله فيها نفسه لموسى في العليقة. كثيرون يظنون أن وجهته كانت هي أرض الموعد، لكن هذا ليس صحيحاً. فقد قال موسى لفرعون عدة مرات إن كلمة الرب كانت: "**أطلق شعبي ليعبدوني في البرية**". (خروج ٧: ١٦). ما الذي يجعل موسى يريد أن يقودهم إلى أرض الموعد قبل أن يعرّفهم أولاً بصاحب الموعد نفسه؟

أرى تناقضاً مدهشاً بين موسى والشعب الذي كان يقوده، فقد تعرض بنو إسرائيل للإساءة في مصر – تعرضوا للضرب وقتل أبنائهم والعمل طيلة العمر في بناء تراث المصريين وسكنوا في بيوت حقيرة وكانوا يأكلون طعاماً سيئاً وكانوا يلبسون ملابس بالية. ومع ذلك فإنهم بعد أن خرجوا من مصر كانوا يتذمرون باستمرار ويريدون العودة!

ثم عندما أنظر إلى موسى أجد أنه عاش في بيت أغنى رجل في العالم، وذاق أشهى الأطعمة، وارتدى أفخر الثياب، وكان له خدام طوع أمره، وتلقى أفضل

تعليم، لكنه خرج من مصر ولم يطلب ولا مرة واحدة أن يرجع إليها! لماذا هذا الاختلاف؟ لقد تقابل موسى مع الله في لقاء حميمي عند العليقة، أما بني إسرائيل فقد قُدمت لهم نفس الفرصة لكنهم رفضوا. عرض الله عليهم أن ينزل على الجبل ويقدم نفسه للعبرانيين، وهو ما فعله بعد ثلاثة أيام. لكن الشعب بدلاً من أن يحتفوا بمحضره، هربوا منه. وبمجرد أن رأى موسى هذا قال لبني إسرائيل:

"لا تخافوا. لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا".

(خروج ٢٠: ٢٠)

وكأنه كان يقول: "لا تخافوا لأن الله قد أتى لكي يرى إذا كانت مخافته أمام وجوهكم أم لا". يبدو هذا وكأن موسى يناقض نفسه، لكنه في الحقيقة كان يفرق بين الارتعاب من الله والمخافة التي تحترم الله. والفرق هو أن الشخص الذي يرتعب من الله لديه ما يريد أن يخفيه – تماماً كما تصرف آدم وحواء في جنة عدن بعد عصيانهم، لقد اختبئا من محضر الرب لأنهما أخطئا وظنا أنهما يمكن أن يخدعا الله بالاختباء.

أما الشخص الذي يخاف الله فليس لديه ما يخفيه، بل إن ما يرعبه في الحقيقة هو الابتعاد عن الله. كان للملك داود خوف مقدس لله، لكنه مع ذلك كان يهرع نحوه ويقول: **"اختبرني يا الله واعرف قلبي امتحني واعرف أفكاري. وانظر إن كان فيّ طريق باطل، واهدني طريقاً أبدياً".** (مزمور ١٣٩: ٢٣ ـ ٢٤).

وكما يمكنك أن ترى بوضوح فإن "مخافة الرب" موضوع كبير وليست هي موضوع هذا الكتاب، ولذلك سوف أختصر في الحديث. (لقد كتبت كتابين آخرين كاملين عن هذا الموضوع وهما "مخافة الرب" و"القلب الملتهب" – إذا أردت معرفة المزيد.) مخافة الرب تشمل احترامه وأكثر من هذا أيضاً. إنها تعني أن تعطي الله مكانة المجد والكرامة والوقار والشكر والتسبيح والتفوق التي يستحقها. وهو يعتلي هذه المكانة فينا عندما نقدره ونقدر مشيئته أكثر من رغباتنا أو رغبات الآخرين. سوف نبغض ما يبغضه ونحب ما يحبه. سوف نطلب بشغف الحق "في الباطن". ويظهر هذا الخوف المقدس في طاعتنا غير المشروطة له، سواء فهمنا ما يقصده أم لا.

عندما نخاف الله بالشكل اللائق، سوف نعرف أننا لا يمكننا أن نخفي أي شيء

عن خالقنا وأننا سوف نقف أمام الرب بصورتنا الحقيقية، وليس بصورتنا التي نظهرها للناس. والنتيجة التي قد تكون مفاجئة بعض الشيء هي أننا سوف نشعر بالأمان التام.

خطر الخداع

الخطر في أن نعيش صورتنا الظاهرة بدلاً من الحقيقية يتمثل في أننا يمكن أن ننخدع! وهناك مشكلة واحدة ضخمة في الخداع، وهي أنه "خادع". المخدوعون يصدقون بكل قلوبهم أنهم على حق بينما هم في الواقع مخطئون. وهذا أمر مخيف! يقول لنا يعقوب:

"ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم. لأنه إن كان أحد سامعاً للكلمة وليس عاملاً فذاك يشبه رجلاً ناظراً وجه خلقته في مرآة. فإنه نظر ذاته ومضى وللوقت نسي ما هو. ولكن من اطّلع على الناموس الكامل ـ ناموس الحرية ـ وثبت وصار ليس سامعاً ناسياً بل عاملاً بالكلمة، فهذا يكون مغبوطاً في عمله". (يعقوب ١: ٢٢ ـ ٢٥)

إننا نخدع أنفسنا عندما نسمع كلمة الله فقط بدلاً من أن نسمح لها أن تخترق قلوبنا بعمق وتحكم على عملية التفكير لدينا، على توجهاتنا، مفاهيمنا، ونوايانا، وهكذا – وبالتالي تغير الطريقة التي نسلك بها. إذا لم تخترق الكلمة كياننا الداخلي، صحيح أنه ستكون لدينا معرفة عقلية عن الله وعن طرقه، ولكن في اللحظة الحالية فقط (عندما ننظر إلى المرآة). لكن عندما لا نكون مدركين عن وعي لإيماننا (حالما نبتعد عن المرآة) سوف نتصرف بطريقة مناقضة تماماً لما نقوله بأفواهنا.

اسمح لي أن أسرد لك مثالاً. ظلت أسرتي تقضي أسبوع العطلة في هاواي على مدار الخمس عشرة سنة الماضية. وقد استطعنا أن نفعل هذا بتكلفة قليلة لأنني أنا وليزا نسافر كثيراً على خطوط الطيران ونقضي ليال كثيرة في الفنادق، مما منحنا تخفيضات كبيرة.

إحدى الفوائد التي أستمتع بها في هاواي هي أن ساعتي الجسدية تكون مضبوطة على توقيت مدينتي الأصلية وليس على توقيت هذه الجزيرة، ما يؤدي بي إلى أن أستيقظ مبكراً ويكون لي وقت أكثر في الصلاة قبل أن يبدأ اليوم. وأنا أحب السير على الشاطئ والتواصل مع الروح القدس في هذه الساعات المبكرة.

وفي إحدى الرحلات أتذكر أنني بينما كنت أسير على الشاطئ، قابلت رجلاً استيقظ هو أيضاً مبكراً نتيجة فرق التوقيت. كان شخصاً ودوداً وشاركني بحماس بسعادته بهاواي وكم كان يحب فوائد تلك الجزيرة. وعبر عن تباهيه بالفتيات اللواتي كان يقابلهن، ومدى روعة الحفلات، وهكذا. كانت كل عبارة من عباراته مليئة بالدنس. وعرفت، للأسف، بعد أن طرحت عليه بعض الأسئلة القليلة أنه كان متزوجاً ولديه ابنتان.

وبما أن هذا الرجل كان قد قطع عليّ وقت خلوتي مع الرب بالفعل، فقد قررت أن أتكلم معه عن يسوع وكنت أبحث عن المدخل الصحيح. سألني عن وظيفتي، فأخبرته أنني أعمل لدى الله كخادم للإنجيل.

عندما قلت ذلك، أشرق وجهه وقال لي بحماس أكبر: "هذا رائع! أنا مسيحي مولود الولادة الثانية، وأحضر كنيسة عظيمة في نيويورك". وظل يتحدث عن راعيه ويخبرني أنه مشترك في خدمات الكنيسة. كان في غاية السعادة لأنه تقابل مع خادم للإنجيل ولم يستطع التوقف عن الحديث عن "إيمانه".

وبينما كان يتكلم كنت أتوجع من مقدار الخداع الذي يعيش فيه ذلك الرجل. لم يعد يستخدم اللغة الدنسة التي كان يستخدمها في الحديث عن الحفلات والفتيات، بل كان الآن ينظر إلى "المرآة". كان يعرف اللغة المسيحية، وكان بمقدوره أن يتلو الآيات، ويتحدث بحماس عن الله. لكن لو لم أكن قد أمسكت له المرآة من خلال قولي إنني خادم، كنت قد استطعت أن أتكلم معه بنفس لغة العربدة والفسق التي يستخدمها. كنت استطعت أن ألعن معه، وربما لم يكن ذلك ليضايقه على الإطلاق. في الحقيقة، لم أكن لأفعل شيئاً سوى أن أشحن رغباته الجسدية. لم يكن سيشعر بأي تبكيت، فلم تكن كلمة الله تتحكم في أعمق نواياه أو رغباته أو أفكاره.

وطالما كان ينظر إلى "مرآة المسيحية" من خلال الحديث عن "إيمانه" وكنيسته، كان يعرف ما يبدو عليه. لكن في اللحظة التي يبتعد فيها عن المرآة، تظهر صورته الحقيقية. وأغلب الظن أنه لم يعرف يسوع المسيح معرفة حقيقية، إذ يتضح هذا من ثماره (انظر متى ٧: ٢٠–٢٣). عندما كان يتعامل مع مسيحي آخر، كان يظهر صورة لمن كان يظن أنه عليه وليس لمن هو على حقيقته.

ربما تكون هذه حالة متطرفة، لكنها تبين بكل وضوح ما كان يعقوب يقصده. هذا المبدأ ذاته ينطبق على مستويات أخرى. كثيرون من الناس يتشاجرون ويتعاركون باستمرار، ويتكلمون بطريقة فظة مع أفراد أسرتهم، ويعيشون حياة غير أخلاقية في بعض جوانب حياتهم، ويعيشون لأجل اللذة والمكسب – ثم يذهبون إلى الكنيسة ويظهرون صورة أنهم محبون ولطفاء وصبورون وأمناء وأتقياء في إيمانهم. ويكون هؤلاء الأشخاص عندما يذهبون إلى الكنيسة (عندما يكونون أمام المرآة) مختلفين عما هم عليه أثناء بقية الأسبوع. ربما يكونون حقاً قديسين لكنهم يهتمون بصورتهم الظاهرة أكثر من صورتهم الحقيقية، هم أيضاً مخدوعون وسوف يُصدمون أمام كرسي المسيح.

قرار حاسم من القلب

الحقيقة المحزنة هي أننا إذا اخترنا أن نركز على صورتنا الظاهرة، سوف نهمل البركات التي نجنيها عندما نتغير لنكون على صورة يسوع المسيح. سوف ننخدع ولن نكون قادرين على إرضاء الله أو الاستمتاع بالحياة التي تفوق العادة. يجب أن يسأل كل واحد منا نفسه: "هل سأعيش لكي أرضي الله أم لكي أكون محبوباً ومشهوراً بين الناس؟" ويجب أن نكون صادقين في اختيارنا، إذ لا يمكننا أن نخدع الله عن طريق الاعتراف السطحي بأهمية إرضائه، ثم التخلي عن ذلك عندما يكون الموقف غير مريح لنا. يجب أن يكون قرارنا حاسماً وغير قابل للتغيير، إذ يترتب عليه ما إذا كنا نستطيع أن ننمو لنكون على صورة يسوع المسيح أم ننمو لنكون على الصورة التي لها شكل المسيحية لكنها بعيدة عن قلب الله.

الأمر بهذه البساطة. يمكنك أن تقرأ الكثير من الكتب، وتستمع إلى رسائل لا حصر لها على الاسطوانات أو الشرائط، وتحضر كل خدمات الكنيسة التي في منطقتك، وتلتقي بالمؤمنين، بل وأيضاً تشترك في القوافل الكرازية. لكن إذا لم تكن تخاف الله حقاً بل تركز بالأكثر على سمعتك، فسوف تزداد في البعد عنه. ولهذا السبب يقول لنا الكتاب المقدس:

"رأس الحكمة مخافة الرب". (مزمور ١١١: ١٠)

ومرة أخرى:

"سرّ الرب لخائفيه، وعهده لتعليمهم". (مزمور ٢٥: ١٤)

الرب لن يعلن نفسه أو حكمته الحقيقية لمن ليس لهم الخوف المقدس. يجب أن تكون لله المكانة السامية في حياة الشخص. ولا يشير هذا إلى مجرد كلمة أو شكل ما، بل إنه قرار قلبي متأصل بعمق في الإنسان: "حياتي ليست ملكي، بل هي لربي يسوع المسيح".

إحدى المآسي الكبرى في الكنيسة الغربية هي أننا نقدم للناس بركات قوة القيامة بدون الطاعة المرتبطة بالصليب. كثيرون من القادة اجتهدوا في تقديم يسوع المخلص بدون أن يقدموا يسوع السيد على الحياة. الكثير من الرسائل التي تُقدم يوم الأحد بعد الآخر في الكنائس توصل للناس "الحياة الصالحة" المبنية على المبادئ الكتابية، لكنها لا تقول أي شيء عن إنكار الذات اللازم لتقدم الإنجيل.

كثيرون من الرعاة يركزون على أن يكونوا مرشدين للحياة أكثر من أن يكونوا خداماً صادقين للرسالة ذات الخمسة الجوانب، فرسالتهم تتألف من مبادئ القيادة العالمية أو علم النفس، مع إدراج المقاطع الكتابية لتتوافق مع وجهات النظر هذه. وبدلاً من الإيمان البسيط والدامغ بما يقوله الكتاب المقدس، يقومون بتأويل الكتاب المقدس على أساس هذا المعتقد. وهنا أيضاً تأتي هذه الكلمات القوية:

"لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل، والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته". (عبرانيين ٤:١٢)

كلمة الله الحقيقية تشبه الجراح الماهر، إذ تخترق إلى أعمق أفكارنا ورغباتنا وتكشف حالة القلب، حتى يمكننا أن نكون أصحاء حقاً أمام الله. هل نسمع الرسائل تبعاً لهذا المعيار في كنائسنا؟ إن لم يكن الحال هكذا، فهل ما نسمعه هو كلمة الله من الأساس؟ هل تأتي حكمة الله الحقيقية من فوق منابرنا؟

هل سألنا أنفسنا بصدق لماذا يوجد هذا القدر من الأنانية والحسد في كنائسنا؟ هل يمكن أن يكون هذا نتيجة عدم خوف الرب؟ سأل يعقوب أعضاء الكنيسة قائلاً: **"من هو حكيم وعالم بينكم؟" (يعقوب ٣: ١٣)**. وقلب السؤال هو "من منكم هو الذي يخاف الله حقاً؟" (فالحكمة لا توجد بعيداً عن مخافة الرب). ثم يواصل القول:

"فليُرِ أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة. ولكن إن كان لكم غيرة مرة وتحزب في

قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية". (يعقوب٣:١٣ ــ ١٥)

إن كلمة الله سوف تحمينا من شراك الخداع – سواء في الرسائل التي تسترضي البشر أو الرسائل التي ترضي مسامعنا. يقول الكتاب المقدس: "**خشية الإنسان تضع شركاً**". (**أمثال ٢٩: ٢٥**). الشيء المرعب في الشرك هو أنك لا تعرف أنك واقع فيه حتى يفوت الأوان. لا يوجد طير أو حيوان سوف يدخل الشرك على الإطلاق إذا عرف مسبقاً ما ينتظره، وسفر الأمثال يقول بكل وضوح إن التركيز على صورتنا الظاهرة هو شرك، ولن تعرف أنك فيه حتى يفوت الأوان.

مؤخراً، بينما كنت صائماً، صرخ الروح القدس في قلبي قائلاً: "**أين هم الذين يقوون للحق في الأرض؟**" (**انظر إرميا ٩: ٣**). شعرت بحزن الرب على الكثيرين في كنائسنا الغربية الذين انزلقوا إلى شرك خوف الإنسان وفقدوا شغفهم نحو كلمة الله.

أشعر بحزنه على القادة المسيحيين الذين لا يواجهون الهالكين حتى يمكنهم أن يخلصوا. الصناديق موضوعة في خلفيات المباني التي تقدر بملايين الدولارات حتى يمكن لمن يريد أن يضع فيها بطاقة توضح أنه يريد أن يصبح مسيحياً. وهذا حتى لا يشعر أحد بعدم الراحة أو الإجبار في اتخاذ قراره من نحو المسيح. نحن نريد أن "نسهل عليهم الإيمان". لكننا نسينا ما قاله ربنا: "**لأن من استحى بي وبكلامي فبهذا يستحي ابن الإنسان متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين**". (**لوقا٩:٢٦**).

هل تتوافق هذه النوعية من الخدمة مع الخدمة التي قام بها يسوع؟ انظر إلى الشاب الغني، على سبيل المثال. لقد أتى برغبة شديدة في الخلاص، وكان له اشتياق أن يصل إلى السماء (انظر مرقس ١٠: ١٧). طلب منه يسوع أن يبيع ما كان له ويعطي الفقراء ويحمل الصليب ويتبعه. يا لها من كلمات قوية بالنسبة لهذا الشخص! وماذا كانت النتيجة؟ هذا الرجل الثري، الذي كان مشتاقاً للعثور على الخلاص، ترك محضر يسوع "واغتم". ومضى "حزيناً" (ع ٢٢) بعد أن سمع كلمة الله. لقد اخترقت قلبه وميزت أفكاره ونياته. لكنه لم يستطع أن يتحمل فحصها لحياته.

فكر في هذا الأمر جيداً: أتى هذا الرجل مشتاقاً لأن يسمع، ورحل شاعراً

بالإحباط بعد أن كرز له يسوع. كيف تقارَن أساليبنا الغربية الحديثة للخدمة بهذا؟ لم يقدم أحد لهذا الشاب الغني بطاقة لكي يملأها ويضعها في الصندوق الذي يحمله متى. لا، بل تمت مواجهته بالحق، ولم يتم سحب الحق عندما لم يستقبله الشاب بطريقة جيدة.

عندها أخبر يسوع الآخرين بمدى صعوبة دخول ملكوت الله: "**مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله**". (**مرقس ١٠: ٢٥**). يمكن أن يقال أيضاً: "إنه صعب على الرجال والنساء الذين يتكلون على صورهم الظاهرة والمدركة أن يدخلوا الملكوت". فغناهم الذي يتكلون عليه ليس هو المال، بل الكيفية التي يراهم الناس بها.

ماذا سيحدث ليسوع لو دعي كمتكلم في بعض هذه الكنائس التي بها صناديق في الخلف؟ ماذا سيحدث له في الكنائس التي لا تقدم سوى الكلمات التشجيعية اللطيفة لتساعد الناس في رحلة حياتهم؟ ماذا سيفعل قادة هذه الكنائس عندما يترك الكثيرون كنيستهم حزانى ومغتمين بعدما يواجههم يسوع بأسلوب حياتهم الذاتي ويدعوهم إلى حياة التسليم؟

الخبر المفرح هو أنه لازال هناك وقت، ويمكننا أن نتغير. انهض أيها القائد! انهض أيها المسيحي! إن إلهنا يدعونا إلى أن نحدث اختلافاً هائلاً في جيلنا. لقد دعينا لكي نواجه روح هذا الدهر، الروح الذي يعمل في أبناء المعصية، روح هذا العالم. لقد دعينا لكي نأتي بالسماء إلى الأرض!

تأملات لرحلة فوق العادة

ما هي المناطق المحددة التي ترى فيها عدم اتفاق بين صورتك الظاهرة وصورتك الحقيقية؟

كيف يمكن للفهم الأدق لـ "مخافة الرب" أن يحسن علاقتك مع الله؟

الفصل الخامس
يمكنك أن تفعل هذا!

عندما يتعلق الأمر بإرضاء الله، يكون السؤال هو: "هل يمكننا أن نفعل هذا؟" هل لدينا ما يلزم لنجعله يبتسم؟ هل يمكننا نحن الذين نعيش في عالم ناقص أن نسر الله الكامل؟

كانت سنوات خدمتي الأولى مركزة على المراهقين. وبصفتي راعياً للشباب، فقد تعلمت الكثير عن التربية وديناميكيات الأسرة. وهناك شيء لاحظته مراراً وتكراراً وكسر قلبي، وهو كيف أن بعض الشباب لم يستطيعوا أن يرضوا والديهم. فمهما فعلوا ومهما حاولوا جاهدين، لم يرقَ هؤلاء الأبناء أبداً إلى توقعات والديهم (الذين هم آباؤهم في أغلب الأحوال).

وسرعان ما اكتشفت نمطاً متكرراً. هؤلاء الشباب المحبطون استمروا في محاولة إرضاء والديهم، لكن في النهاية بعد الإخفاقات المتكررة، استسلموا وانغمسوا في حياة الانحلال واللامبالاة. ففي خيبة أملهم شعروا بانعدام الأمل. لو كان الآباء والأمهات قد قدموا لأولادهم ردود أفعال أكثر إيجابية، كان يمكن تفادي الكثير من الدمار.

وماذا عن أبينا السماوي؟ هل يمكننا حقاً أن نرضي ذلك الشخص الذي بلا عيب؟ استمع إلى ما يقوله الرسول بطرس:

"كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى" (٢بط ١: ٣).

وها هي الإجابة التي نريدها – إن لنا كل ما يلزم لكي نعيش الحياة التي ترضي أبانا السماوي. ولهذا فمنذ البداية، دع هذا الأمر يستقر في قلبك ولا تدع هذه المعرفة تهرب منك أبداً. الله هو الشخص الذي تكلم بهذه الكلمات من خلال بطرس. وكلمته حق ولا تتغير. إياك أن تقبل في أي وقت من الأوقات هذه الأكاذيب التي تقول لك إنك لا تمتلك ما يلزم لكي ترضي الله، فالحقيقة عكس ذلك!

كثيرون من المؤمنين ينظرون إلى مسيحيين معينين، خاصة القادة العظماء،

ويرون أنهم لن يرقوا أبداً إلى هذا المستوى، أو يكونوا موضع سرور لله مثلما كان "الرسول يوحنا" أو "الرسول بولس" أو "بيلي جراهام" أو "أورال روبرتس" أو "الأم تريزا" أو أي شخص آخر ممن يكنّون لهم الاحترام، والحقيقة هي أنه لا يوجد شخص يمتلك قدرة على إرضاء الله أكثر منك!

لذلك أريدك ألا تنسى أبداً هذه العبارة: في الحقيقة أنت تمتلك القدرة على أن ترضي الله، لكنك أنت الذي تقرر إذا كنت ستستخدم هذه القوة وتعيش بمقتضاها أم لا.

أنا وليزا لدينا أربعة أبناء. ابننا الثالث ألكسندر، يواجه تحديات في الدراسة، بل إنه كان ملتحقاً بالتعليم الخاص لسنوات قليلة. هو شاب ذكي لديه بالتأكيد القدرة على أن يتفوق على إنجازات أبويه. ألكسندر في غاية الإبداع، ويفكر بطريقة غير معتادة، وله أفكار مدهشة، ويمكنه أن يجري محادثة ذكية مع أفضل الناس. ومع ذلك فإنه يصارع في المدرسة مع القراءة لأن عملية التفكير والتعلم بداخله تنصب أكثر على ما هو بصري.

أخوه الأكبر أديسون موهوب للغاية في الدراسة. يمكنه أن يقرأ كتاباً مكوناً من خمسمائة صفحة في ربع الوقت الذي أستغرقه أنا لقراءة مثل هذا الكتاب. ويمكنه بعد هذا أن يعيد على مسامعك معلومات ذلك الكتاب بكل دقة.

الابنان لديهما ما يلزم لمواجهة الحياة، وأنا فخور للغاية بكل منهما.

عندما كان الاثنان في المدرسة، تعلمنا أنا وليزا أن تكون لنا توقعات مختلفة من كل منهما. أتذكر الكثير من الفصول الدراسية التي كان أديسون يحصل فيها على درجة الامتياز في شهاداته. نادراً ما ساعدناه أنا وليزا في واجباته المنزلية أو دراسته. فقد كان عادة يبذل الجهد في أن يفهم الأشياء، وكان يحصل على درجات متميزة في اختباراته، وكنا مسرورين به.

أثناء أحد الفصول الدراسية، كان ألكسندر في المرحلة الإعدادية، وكنا نواجه وقتاً عصيباً معه. كان كثيراً ما ينسى أداء واجباته المنزلية، والتكليفات التي كان يؤديها كانت أقل من المتوسطة. كانت درجاته مقبولة أو ضعيفة. وكنا غير مسرورين من أدائه في ذلك الفصل الدراسي.

وبعد بضعة فصول دراسية، انقلب حال ألكسندر وبدأ يعمل باجتهاد. ولن أنسى أبداً عندما فتحت شهادته ورأيت درجات متوسط وجيد ولم أجد درجة مقبول أو ضعيف. كنا مسرورين للغاية! ومع أنه لم يماثل درجات أديسون، إلا أنني أنا وليزا كنا نعرف أنه بذل الجهد في العمل. فمدحناه مرة بعد الأخرى على العمل الذي حققه. وكان يعرف بدون أدنى شك أن والديه كانا مسرورين. وفي النهاية، ومع العمل الجاد، أصبح ألكسندر طالباً يحصل على جيد جداً وامتياز أيضاً.

في فصل دراسي آخر أتى أديسون إلى المنزل وكانت معه شهادته تحمل درجات جيد جداً وامتياز. لكننا لم نكن مسرورين – ليس لأنه لم يحصل على امتياز في كل المواد، بل لأننا كنا نراقب عادات الدراسة التي له في ذلك الفصل الدراسي، ولاحظنا أنه كان يركز على الأصدقاء والاحتفالات أكثر مما يركز على العمل الدراسي. وبالرغم من أنه في ذلك الوقت حصل على درجات أفضل من درجات ألكسندر المتوسطة والجيدة، إلا أننا كنا نعلم أن أديسون لم يقدم أفضل ما عنده. (حدث هذا مرة واحدة، فقد تخرج أديسون بمرتبة الشرف وكان طوال حياته عاملاً مجتهداً في كل جوانب الحياة.)

النقطة المهمة هي أن الله يتوقع منا أن نكون أمناء فيما أعطاه لنا، وهو لا يمنح كل واحد من أولاده مثل الآخر. كم سيكون عظيماً لو فهم كل المؤمنين هذا الحق فعلياً. يتضح هذا من مثل الوزنات. حصل أحد العبيد على خمس وزنات، والآخر أخذ وزنتين، والثالث أخذ وزنة واحدة. والكتاب المقدس يوضح بدقة أننا نؤتمن على المواهب "**كل واحد على قدر طاقته**" (**متى ٢٥: ١٥**). وكما كان الحال مع ابنينا، فقد كان لكل عبد من العبيد في هذا المثل مستويات مختلفة من القدرات. وعندما نتأمل في هذا، يجب أيضاً أن ننتبه إلى كلمات بولس:

"**لأنه من يميّزك وأي شيء لك لم تأخذه؟ وإن كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟**"
(**١ كورنثوس ٤: ٧**).

يجب أن ننتبه دائماً إلى ما أعطاه الله لنا، فقدرة الشخص على الكتابة أو التعليم أو الغناء أو التأليف الموسيقي أو التصميم أو الإدارة أو التنظيم أو القيادة أو التفاعل مع الناس وغيرها، كلها مواهب يمنحها لنا الله. إذا تذكرت هذا الأمر جيداً، فسيحميني من شراك الكبرياء والحسد المميتة – الكبرياء عندما أظن أنني أفضل من الآخرين، والحسد عندما أشتهي ما يمتلكه شخص آخر.

وبالرجوع إلى مثل الوزنات، نجد أن الرجل الذي أخذ الوزنات الخمسة عمل باجتهاد وأصبح له في النهاية عشر وزنات، والرجل الذي أخذ الوزنتين عمل باجتهاد مماثل ولكنه في النهاية أصبح له أربع وزنات فقط. لكن بالرغم من أن الرجل الأول حصل في النهاية على ما يزيد على الثاني بست وزنات (وهي نتائج أفضل بكثير)، إلا أن كلاهما نالا أجرة متساوية. ويمكنك أن تسمع نبرة السعادة في صوت سيدهما:

"فقال له سيده نعماً أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك". (متى ٢٥: ٢١ أو ٢٣)

هل لاحظت الشاهد الكتابي غير المعتاد هنا؟ (الآية ٢١ أو ٢٣). فالآيتان متطابقتان تماماً. وأنا لا أعتقد أن هذه صدفة. فإن الله يريد أن يؤكد على نقطة مهمة للغاية، وهي أن الآية ٢١ كانت للرجل الذي ربح عشر وزنات، والآية ٢٣ كانت للذي ربح أربع وزنات، أي ما يقل عن نصف إجمالي ما ربحه الرجل الأول. ومع ذلك كانت مسرة السيد نحو كل منهما متساوية. يقول يسوع:

"فكل من أعطي كثيراً يُطلب منه كثير، ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر". (لوقا١٢: ٤٨)

إذا قارنت نفسك بقائد تحبه، أو فرد من أفراد الأسرة، أو صديق، فربما تجد نفسك أقل منهم. والحقيقة هي أنه ربما يكون الله قد أعطى ذلك الشخص الآخر مواهب أو قدرات أو وزنات أكثر منك. استمع إلى كلمات بولس الرسول:

"فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلى التعقل كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان. فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد، هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا".
(رومية ١٢: ٣ــ٦)

لقد خلقك الله لكي تعمل في الملكوت وتكون لك مواهب وقدرات لكي تتمم مهمتك الخاصة التي كلفت بها. ولهذا ففيما يتعلق بما لنا، لا يمكننا أن نقارن قياسات نتائجنا بآخرين. لكن فيما يتعلق بما نفعله بما لدينا، فسوف يحاسبنا الله عليه، وهذا هو ما يمكننا أن نرضي أبانا السماوي ونسره فيه، أو العكس.

سوف أقول هذا بطريقة مختلفة. لو كان العبد الذي أخذ الوزنتين قد قارن نفسه

بالعبد الذي له الخمس وزنات، كان سيبدو أقل منه. لكن العبدين كليهما ضاعفا ما بدءا به، فقد عملا بنفس القدر من الأمانة في ما أعطي لهما وأرضيا سيدهما بنفس القدر.

مثل مشابه برسالة مختلفة

بعد أن فهمنا ما سبق، دعونا ننظر إلى مثل مشابه لكن رسالته مختلفة كثيراً. في مثل العشرة أَمْنَاء (انظر لوقا ١٩: ١١–٢٦)، يتناول يسوع عشرة عبيد وليس ثلاثة فقط. كل واحد منهم أعطي مَناً واحداً. وفي هذا المثل لا يمثل المنا مستوياتنا المختلفة من الدعوة أو المواهب الخاصة، كما في مثل الوزنات. بل يمثل النعمة، والإيمان الأساسي، ومحبة الله، والعطايا الأخرى التي أعطاها الله لجميع المؤمنين بالتساوي.

دعني أوضح هذا بمثال. إذا كان الله قد دعا شخصاً دعوة محددة ليقود الآلاف إلى محضر الله من خلال التسبيح والعبادة، فهذا يعني أن هذا الشخص له مواهب موسيقية. لكن هذه المواهب سوف تتخطى النطاق الطبيعي، لأن الموهبة تمهد الطريق للمتعبدين للدخول إلى محضر الله.

يمكنني أن أقول بصدق إن هذه الموهبة بالتحديد لم تعطَ لي. كل مرة أحاول فيها أن أرنم أمام أسرتي، تكون النتيجة كارثة، فهم يضحكون ويتركون الغرفة، أو يلقون بشيء عليّ – ومعهم حق في هذا. لذلك لن يكون من الحكمة أن أحاول شغل موقع قائد العبادة في كنيستي. فإن الوزنات التي ائتمنني الله عليها لكي أتمم ما قد دعيت إليه، تقع في مناطق أخرى، مثل الوعظ والكتابة والقيادة. كل منا لديه وزنات تتناسب مع التكليف المعين له.

لكن في الجوانب العامة في الحياة، نلنا كلنا مقداراً متساوياً، فالكتاب المقدس يخبرنا أن كلاً منا له فكر المسيح، وسلاح الله، واسم يسوع، والإيمان الأساسي، ومواعيد الله، ومحبة الله – وغير ذلك الكثير والكثير. هذه كلها تتمثل في قصة الأمناء. في ذلك المثل، ضاعف العبد الأول مناه عشرة أضعاف، وعند المحاسبة نال أجرته وأُعطي سلطاناً على عشر مدن. العبد الثاني ضاعف مناه خمسة أضعاف، ولم ينل أجراً بنفس المقدار، فقد أُعطي سلطاناً على خمس مدن، كانت

أجرته أقل لأنه أخذ ما أُعطي له وضاعفه بمقدار نصف ما فعله العبد الأول. أما الثالث فقد دفن مناه، وتوبخ بشدة على كسله، ولم ينل أية أجرة.

هذان المثلان يوضحان كيف يؤهل الله كلاً منا بقدر متساوٍ في المواقف العامة في الحياة (كما في مثل العشرة أمناء)، بينما يؤهلنا بشكل مختلف في مناطق الدعوات أو التكليفات المحددة (كما في مثل الوزنات). وفي ما تبقى من هذا الكتاب، سوف أتناول ما أعطاه الله لنا بالتساوي. لكن هذه المادة تعتبر أيضاً أساساً لازماً للعمل بنجاح في تكليفاتنا المحددة.

خلاصة القول هو أنك لا يمكنك أبداً أن تستثمر حياتك بأقصى شكل ممكن ؟ إلى ما هو فوق العادة – بدون إعلان ما سوف أناقشه بعد ذلك.

تأملات لرحلة فوق العادة

ما هي المواهب والوزنات التي ترى أن الله قد أعطاها لك لكي تتمم عمل ملكوته؟

ما الذي يعوقك، إن وجد، عن الاستخدام الكامل لمواهبك ووزناتك لتدفع ملكوت الله للأمام؟

الفصل السادس
القدرة على الإرضاء

مع أني لا أقصد التكرار، إلا أنني أريد أن أؤكد على النقطة الرئيسية للفصل السابق، لأننا ما لم نفهم هذا الحق بصورة كاملة، فسوف تصير حياتنا خليطاً من الكفاح والشك والإحباط.

أنت وأنا لدينا ما يلزم لكي نرضي أبانا السماوي. يقول الكتاب المقدس: "**كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى**". (٢بط ١: ٣). وإحدى الترجمات تورد هذه الآية كما يلي:

"لدينا كل ما نحتاج إليه لكي نعيش الحياة التي ترضي الله، وكل هذا ممنوح لنا بقدرة الله نفسه".

أعلم أنك ستطرح السؤال التالي: "ما هي تلك القدرة التي أعطيت لنا بصورة معجزية والتي تمكننا من أن نرضي الله؟" والإجابة هي "نعمته".

النعمة. سمعنا الكثير عن النعمة في الآونة الأخيرة، ومع هذا فإن الكثيرين لا يفهمونها فهماً كاملاً. مما لا شك فيه أن النعمة هي إحدى أهم الحقائق التي يجب على مؤمن العهد الجديد أن يفهمها، إن لم تكن أهمها، لأنها أساسية للغاية لخلاصنا وحياتنا في المسيح.

فمن جهة الخلاص، نحن بالطبع نخلص بالنعمة، فالخلاص عطية، وهو أعظم عطية مقدمة للبشرية، ونحن لا ندخل إلى علاقة مع الله عن طريق حفظ نواميسه، لأن الخلاص وقتها سيكون نتيجة عمل وبالتالي يكون عن استحقاق. في حين أن النعمة في الحقيقة هي إحسان الله غير المستحق. فالكتاب المقدس يقول لنا:

"لأنكم بالنعمة (إحسان الله غير المستحَق) مخلّصون (أنقذتم من الدينونة وأصبحتم شركاء في خلاص المسيح) بالإيمان [إيمانكم] وذلك [الخلاص] ليس منكم [ليس نتيجة أفعالكم، لم يأت من خلال اجتهادكم]. هو عطية الله. ليس من أعمال [ليس بتتميم متطلبات الناموس] كي لا يفتخر أحد. [إنه ليس نتيجة ما قد يكون أي شخص قد فعله، حتى لا يفتخر أحد أو يمجد نفسه]". (أفسس ٢: ٨ ـ ٩)

هذا الجزء يلخص أمر خلاصنا في كلمات قليلة، فبنعمة يسوع المسيح أزيلت خطايانا وأبعدت إلى الأبد كبعد المشرق عن المغرب. عندما نقف أمام كرسي المسيح، إذا سألَنا الله لماذا يجب أن ندخل إلى ملكوته، فبالتأكيد لن يكون هذا بسبب سلوكنا الصالح، أو حضورنا للكنيسة أسبوعياً، أو خدمتنا الأمينة، أو حياة التضحية، أو أي صلاح آخر من جانبنا. سوف نحظى بالقبول لدى الله بسبب ما فعله يسوع على الصليب منذ ألفي عام عندما سفك دمه الملوكي، ومات ميتة شنيعة، وقام بعد ثلاثة أيام لكي يحررنا. إنه هو الفدية الإلهية التي دُفعت لكي يحررنا من عبوديتنا. لا يوجد شيء آخر كان يمكن أن يحررنا! وبالإيمان بذبيحة يسوع وتسليم حياتنا لسيادته، يمكننا أن نقف أمام الله بثقة.

نعمة للحياة

لكن ما هو الدور الذي تلعبه النعمة منذ الوقت الذي قبلنا فيه الخلاص إلى أن نقف أمام مَلِكنا؟ أولاً يجب ألا ننسى أبداً أن النعمة للحياة لازالت هي إحسان الله الذي لا يمكن استحقاقه، فهي لا تتغير بعد أن نرتبط بعلاقة مع الله.

للأسف ينظر الكثيرون إلى حياتهم في المسيح بعد التجديد من خلال عدسة الناموس، وبدلاً من الاتكال على نعمة الله لقبول الإحسان والبركات، يعتمدون على مجهوداتهم الذاتية. ولهذا يسأل بولس بنبرة إحباط قائلاً: "**أهكذا أنتم أغبياء؟ أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟**" (**غلاطية ٣: ٣**).

بعد هذا يتحدث بولس بتحديد وتأكيد أكثر إلى الكنيسة ذاتها قائلاً: "**قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس. سقطتم من النعمة**". (**غلاطية ٥: ٤**). إذا حاولنا أن نحافظ على وضعنا الصحيح أمام الله عن طريق حفظ القواعد واللوائح ومتطلبات نواميس العهد القديم، فنحن في الحقيقة نخاطر بفقدان شركتنا مع المسيح وفقدان فوائد النعمة! وهذا أمر خطير. يجب أن نذكِّر أنفسنا دائماً أننا بالنعمة نخلص، وبالنعمة نستمر في قبول فوائد الخلاص.

ولهذا السبب، يكتب بولس في كل رسائله في العهد الجديد تقريباً قائلاً: "**نعمة ربنا يسوع المسيح تكون معكم**". تذكر أن رسائله كانت موجهة إلى رجال ونساءٍ كانوا بالفعل مخلَصين، وليست إلى أشخاص هالكين ويحتاجون إلى النعمة المخلصة.

كتب الرسول يعقوب إلى المؤمنين قائلاً: "**ولكنه يعطي نعمة أعظم**". (**يعقوب** ٤: ٦). بمعنى أن هناك نعمة أكبر مما نلناه بالفعل!

ويتعرض بطرس لمستوى آخر إذ يكتب قائلاً: "**لتكثر لكم النعمة والسلام**" (**٢بطرس**١:٢). وهذه أخبار أفضل، فإن النعمة لا يمكنها فقط أن تضاف لحياتنا، بل يمكن أن تكثر وتتضاعف أيضاً! إذا كان الرسل يرغبون في المزيد من النعمة ويصلون بحرارة لأجل ذلك، فلابد أنها أمر حيوي بالنسبة لحياتنا اليومية في المسيح أيضاً.

ولهذا فإننا عندما نفكر في حياتنا في المسيح، نجد أننا لا نخلص فقط في البداية بالنعمة، لكننا نظل مخلَّصين بها أيضاً. أعلم أن الكثير من المؤمنين يصارعون مع أفكار تقول لهم إنهم قد أفسدوا حياتهم بشكل بالغ بعد أن تعهدوا بالحياة ليسوع المسيح، وبالتالي فقد سحب الله الخلاص منهم. هذا ليس صحيحاً! فالكتاب المقدس يقول لنا:

"**إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم**".
(**١يوحنا**١:٩)

لاحظ أن الآية لا تقول معظم الآثام، فإن دم يسوع يطهرنا من كل إثم، إنه يسامحنا ويطهرنا من كل ما يمكن أن يبعدنا عن محضره.

الله أمين وعادل حتى يغفر لنا ويطهرنا، أمين تعني أنه سوف يفعل هذا في كل مرة، وعادل تعني أنه سيكون دائماً وفياً لوعد عهده. لن يقول أبداً: "لقد سامحت الآخرين على إثم فعلوه، لكن لن أفعل هذا معك".

ألا تزال غير مقتنع؟ هل تفكر في نفسك قائلاً: "لقد أخطأت مرات كثيرة يصعب معها أن يغفر الله لي، لقد استنفذت رحمة الله"؟

لا، فالكتاب المقدس يقول: "**احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته**". (**مزمور**١٣٦:١). إن رحمته تدوم إلى الأبد ولا تنضب أبداً. في الحقيقة، تكررت هذه العبارة "لأن إلى الأبد رحمته" ستاً وعشرين مرة في هذا المزمور وحده!

لست وحدك في الصراع مع فكرة عظمة غفران الله، فحتى الرسول بطرس نفسه واجه صعوبة في أن يركز فكره حول هذه الحقيقة، ولذلك سأل يسوع ذات يوم قائلاً: "**يا رب كم مرة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟**" (متى ١٨: ٢١). ظن بطرس أن عبارة "سبع مرات" كانت تعبر عن الشهامة لأن ناموس العهد القديم اشترط "**عيناً بعين**" (**انظر خروج** ٢١: ٢٣ ـ ٢٤). كان بطرس معتاداً على أن يدفع الناس ثمن أخطائهم، وخطاياهم، وتعدياتهم.

لكن إجابة يسوع صدمته: "**لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات**". (متى١٨: ٢٢). هذا يعني ٤٩٠ مرة! لكن يسوع لم يكن يعني أن الغفران محدود بـ٤٩٠ مرة لأنه في إنجيل لوقا يقول: "**احترزوا لأنفسكم. وإن أخطأ إليك أخوك فوبخه، وإن تاب فاغفر له. وإن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم، ورجع إليك سبع مرات في اليوم قائلاً أنا تائب فاغفر له**". (**لوقا** ١٧: ٣ ـ ٤).

إن الله يوصينا أن نغفر كل يوم حتى إلى سبع مرات. لكن إذا أخطأ شخص سبع مرات في اليوم لأكثر من سبعين يوماً، فسوف يتخطى بذلك ٤٩٠ مرة. لذلك فإن كانت ٤٩٠ مرة فقط هي التي يمكننا فيها أن نخطئ وننال الغفران، كان يسوع سيقول "حتى إلى ٤٩٠ مرة" في إنجيل لوقا. لكنه لم يقل هكذا. بل قال سبع مرات في اليوم ولم يضع حداً أقصى. وهكذا فإن أخطأ شخص ما سبع مرات في اليوم في متوسط العمر الذي يبلغ ثمانين عاماً، سيكون الإجمالي ٢٠٤٤٠٠ مرة! وهذا يفوق ٤٩٠ مرة بكثير جداً.

كان يسوع يريد أن يقول إن غفراننا لا يجب أن ينتهي! لماذا لا يجب أن يكون قابلاً للنفاذ؟ لأن هذا يصف غفران الله من نحونا، والكتاب المقدس يوصينا قائلاً: "**كونوا ... متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح**" (**أفسس** ٤: ٣٢).

لذلك إذا كنت تشعر أنك قد استنفذت غفران الله، فإنك بذلك تصغي إلى مشاعرك أو إلى أكاذيب لا تتوافق مع كلمة الله. إذا أخطأت وتأسفت وتبت، فسوف يغفر الله لك، وانتهى الأمر على ذلك.

ولكن بالرغم من هذه الأخبار السارة، يجب عليّ أن أنذرك أن تتجنب الخطية المتبجحة. فإذا كنت تقول بداخلك: "أنا مخلّص بالنعمة، ولذلك فأنا تحت الكفارة

أياً كان أسلوب حياتي. لن أهتم كثيراً بضبط النفس بل سوف أعيش لملذاتي"، فلابد أن تتوقف! هذه أرض خطرة. أنت مخدوع! لا تغضب مني، لكنك يجب أن تسأل نفسك: " هل أنا مخلَّص حقاً؟" تناول بولس الرسول هذا الموضوع عندما قال: "**فماذا نقول؟ أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟ حاشا! نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟**" (رومية ٦: ١ ـ ٢). أيضاً يحذر بولس المسيحيين قائلاً:

"**وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزب، شقاق، بدعة، حسد، قتل، سكر، بطر، وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضاً إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله**". (غلاطية ٥: ١٩ ـ ٢٠).

من الواضح أن لنا حرية بنعمة الله. لكن يجب ألا نستخدم هذه الحرية في الخطية المتبجحة. إن الشخص الذي خلص حقاً له قلب الله، ولا يقول في داخله: "إلى أي مدى يمكنني أن أخطئ وأنجو بفعلتي؟" بل المؤمن الصادق المولود من الله يقول: "أنا لا أريد الخطية لأنها تجرح قلب الله الذي مات لأجلي وقلب من يحبهم الله". لكن مرة أخرى أقول، إن أخطأ أحد، فحتى إذا كان ذلك سبع مرات في اليوم، وتاب توبة حقيقية سوف يغفر له الله.

ما هو أبعد من الغفران

يا له من أمر رائع، أن تخلصنا النعمة وتحفظنا مخلَّصين. لكن هناك المزيد والمزيد! فالنعمة تذهب إلى ما هو أبعد من الغفران. فهي تمكين الله. هكذا يمكننا أن نحيا مثل المسيح.

اقرأ بعناية هذه الكلمات: "**من قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً**". (١ يوحنا ٢: ٦). لاحظ أن الرسول لا يقول يجدر به بل ينبغي. ينبغي أن نسلك كما سلك يسوع! إن هذا ليس اقتراحاً أو هدفاً، بل إنه ما يتوقعه الله. الخبر السار هو أن الله لا يعطينا أبداً وصية في العهد الجديد بدون أن يمدنا بالقدرة على أن نحفظها. ولهذا يمكننا أن نتصرف مثل يسوع من خلال قدرة النعمة.

استمع إلى شهادة بولس الشخصية حول هذه القضية: "**أنتم شهود، والله، كيف بطهارة وبر وبلا لوم كنا بينكم أنتم المؤمنين. كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب**

لأولاده ونشجعكم، ونشهدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده" (١ تسالونيكي ٢: ١٠ـ١٢). أوصى بولس المؤمنين أن يسلكوا كما سلك هو: "كما يحق لله"! هذا ممكن – بالنسبة له ولنا – ويمكننا أن نفعل هذا من خلال قدرة النعمة.

هذا هو جانب النعمة الذي يغفله الكثيرون، غالباً لأنه لا يلقى نفس الأهمية في التعليم عنه. ولهذا السبب، يصارع كثيرون من المؤمنين في حياتهم المسيحية ولا يعيشون الحياة التي تفوق العادة.

دعونا ننظر أولاً إلى معنى كلمة "نعمة" في اليونانية التي هي اللغة الأصلية للعهد الجديد. الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى نعمة والتي تستخدم كثيراً في العهد الجديد هي charis، ووردت حوالي ١٥٠ مرة. والمعنى الأشهر لكلمة charis هو "إحسان مقدَّم بدون انتظار المقابل". هذا هو التعبير المجاني المطلق لمحبة الله من نحونا، إنها إحسان لا يمكن العمل للحصول عليه أو استحقاقه على الإطلاق.

إذا أخذنا هذا التعريف المبدئي للنعمة وأضفنا إليه بعض الأجزاء الكتابية المنتقاة التي كتبها بولس إلى أهل أفسس وغلاطية ورومية وآخرين في رسائله فيما يتعلق بالخلاص من الخطية والموت الأبدي، سوف نخرج بتعريف النعمة الذي يعرفه غالبية المسيحيين. لكن هذا الفهم لا يغطي سوى الدافع والنتيجة النهائية للعطية، لكنه لا يعرِّف الطبيعة الحالية للنعمة، أي أنه يبين لنا النعمة على أنها عطية مجانية تخلصنا فيما يختص بالحياة الآتية، لكنه لا يعرِّف قدرتها في هذه الحياة.

خلاص بالبندقية

اسمح لي أن أوضح ما تعنيه النعمة حقاً من خلال قصة تشبيهية عن بندقية. دعونا نعود بالزمن عدة مئات من السنوات إلى عام ١٧١٧، وهو العام السابق لاختراع أول سلاح ناري. بعد تحطم إحدى السفن، جرفت المياه أحد الأشخاص، وسوف أسميه رجل الجزيرة، وحيداً إلى جزيرة مهجورة في وسط المحيط.

كان المناخ في الأجزاء الداخلية للجزيرة مناخاً استوائياً معتاداً. لكن نتيجة بعض الأحوال غير المعتادة، كان خط الساحل دائماً مغطى بضباب كثيف. لم تكن

هذه الجزيرة واقعة على خط سفر السفن العادي، لكن حتى إذا سافرت سفينة على مقربة من الجزيرة، لن يستطيع أي شخص على متنها رؤية الجزيرة بسبب الضباب.

كانت الجزيرة تحوي الكثير من المياه المتجددة، وبعض الحياة البرية، بما في ذلك الغزلان والخنازير البرية، وبها أيضاً الكثير من ثمار جوز الهند، لكنها تتدلى من فوق أشجار شاهقة العلو.

شعر رجل الجزيرة الذي حملته الأمواج منذ عدة أيام بالجوع الشديد نتيجة فشل كل محاولاته للحاق بأحد الحيوانات والإمساك به. حاول أن يصنع رماحاً من أغصان الشجر لكنه لم يستطع أن يرميها بقوة تكفي لجرح حيوان راكض. فكر رجل الجزيرة في أن يصنع مقلاعاً ضخماً لكنه لم يجد مادة مطاطية. وكخيار أخير، طارد غزالاً وخنزيراً وصار يرمي عليهما أحجاراً ضخمة – لكن بدون فائدة.

كما حاول رجل الجزيرة أيضاً أن يحصل على ثمار جوز الهند عن طريق محاولة تسلق الأشجار العالية، لكن كل ما حصل عليه هو ساقين داميتين وذراعين مجروحين – ولم يحصل على جوز الهند.

ومما زاد الأمور سوءاً، أن هذا الناجي الوحيد كان عليه أن يتحلى بالحذر الشديد دائماً نتيجة وجود سكان آخرين في الجزيرة – وهم الدببة البرية المفترسة. ولأنه لم يكن يعلم جيداً مكان تجمعها، كان يجب عليه دائماً أن يكون حذراً لأنه يبدو أن الدببة تريد اصطياده. وحتى لا يفقد هذا الرجل عقله، بحث عن صخرة كبيرة في حجم منزل صغير أغلب الظن أن الدببة لن تستطيع تسلقها. ثم شيد سلماً مؤقتاً وتسلق إلى أن وصل للقمة، وسحب السلم بعد ذلك. شعر رجل الجزيرة أنه آمن نسبياً، لكنه أيضاً محبوس – فحركته مقيدة داخل الصخرة معظم النهار والليل حمايةً له من هذه الوحوش الجائعة. والآن لم يكن رجل الجزيرة جائعاً فقط، بل أيضاً متعباً للغاية من نقص النوم المريح، إذ لم يكن بالصخرة أسطح مستوية تجعله يستلقي مستريحاً عليها.

عند هذه النقطة، شعر هذا الرجل التعيس بالإحباط والإرهاق الشديدين، لكن

الأسوأ من ذلك أنه كان يشعر باليأس، فقد اتضحت حقيقة مصيبته اليائسة: سوف يموت إما بفعل الجوع أو بمهاجمة أحد الدببة.

وفجأة ظهر رجل من العدم. كان مسافراً عبر الزمن من القرن الحادي والعشرين. وبفعل التكنولوجيا كانت له القدرة على أن يرجع إلى زمن رجل الجزيرة وما حوله. وعندما فعل هذا اكتشف مأساة رجل الجزيرة، وبدافع الحب والقلق جمع المعلومات والمعدات اللازمة لإنقاذ رجل الجزيرة، وأتى لينقذه عن طريق آلة الزمن، وكان اسمه هو المرسل.

وقد أخبر هذا المرسل رجل الجزيرة المتحمس أن إحدى السفن سوف تقترب من الجزيرة بعد واحد وستين يوماً بالتمام. بل أعلمه أيضاً أن هذه ستكون هي فرصته الوحيدة للعودة إلى بيته لأن المرسل نظر عبر الزمن واكتشف أنه لن تمر سفينة أخرى بالقرب من الجزيرة قبل مرور عشرات السنين. كما حدد المرسل لرجل الجزيرة أيضاً أية ساعة من اليوم تلك التي سوف تمر فيها السفينة وصنع له ساعة شمسية لتساعده على تمييز الوقت. وقال: "سوف تسمع صوت بوق عندما تكون السفينة أقرب ما يكون من الجزيرة".

ثم فتح المرسل حقيبة غريبة الشكل كان قد أحضرها معه، وتحتوي على أغراض غير مألوفة. أحد هذه الأغراض هو بندقية، لم يكن رجل الجزيرة قد رأى مثلها من قبل بالطبع، فهو لا يدري على الإطلاق ما يمكن أن تفعله هذه الآلة.

وقال له المرسل بكل حماس: " هذه تسمى بندقية وسوف تنقذ حياتك!"

وبعد أن صمت ليحصل على رد فعل، واصل قائلاً: "عندما يتم حشو البندقية، والضغط على الزناد، سوف ينتج عنها صوت عالٍ جداً". ولكي يوضح المرسل ما يقوله، مد يده داخل الحقيبة وأخرج شيئاً غريباً آخر، وهو رصاصة، وحشاها داخل خزانة البندقية، ووجه ماسورة البندقية نحو السماء، ثم ضغط على الزناد. قفز رجل الجزيرة نتيجة الصوت المدوي.

وقال المرسل: "صوت هذه البندقية سوف يسافر فوق المياه لمسافة أميال. عندما يسمع قبطان السفينة هذا الصوت، سوف يدخل داخل دائرة الضباب

ويكتشف الساحل الشرقي للجزيرة. يجب أن تطلق الرصاص أكثر من مرة بعد ذلك بمجرد أن ترى السفينة، سوف يكتشفون مكانك ويأخذونك على متن السفينة ويوصلوك بسلام إلى بيتك!"

شعر رجل الجزيرة بفرحة غامرة وشكر المرسل شكراً جزيلاً.

فأجابه قائلاً: "على الرحب والسعة، لكن هناك شيئاً آخر يجب أن تعرفه، هذه البندقية لا تصدر صوتاً مدوياً فقط، لكن الرصاصة التي تخرج من ماسورة البندقية على سرعة عالية يمكنها أن تقتل أي دب أو غزال أو خنزير بري على الجزيرة. ولذلك لن يكون عليك بعد الآن أن تعيش خائفاً من أن يفترسك دب أو يقتلك. وأفضل شيء هو أنه سيكون لديك الكثير من الطعام لحين وصول السفينة. لن تحظى فقط بلحم الغزلان أو الخنازير البرية لتأكله، بل كتغذية إضافية يمكنك أن تصوب على أي ثمرة جوز هند فتسقطها من على الشجرة".

ثم بيَّن المرسل لرجل الجزيرة كيف يمكنه أن يستخدم البندقية، ذات المفعول القوي. وبعد تصويب بعض القذائف على أهداف عشوائية في الغابة، تحسن تصويب رجل الجزيرة. فقال له المرسل بابتسامة: "الآن أصبحت تتقن الأمر". ثم قال بكل حماس: "وهناك المزيد!"

على الشاطئ، اصطحب المرسل رجل الجزيرة إلى كهف ذي أرضية رملية. كان رجل الجزيرة قد اكتشف هذا الكهف بعد وصوله إلى الجزيرة بوقت قصير، وكان يتمنى أن ينام فيه، لكنه خاف أن تأتي الدببة وتهاجمه أثناء الليل.

قال له المرسل: "سوف تتمكن من تغطية مدخل هذا الكهف بجلود الغزلان، والآن يمكنك أن تنام على الأرضية الناعمة، وإذا قتلت بعض الدببة، يمكن أن تستخدم جلودها كفراش أو غطاء. بهذه الطريقة سوف تظل دافئاً أثناء الليالي الباردة، وسوف يكون الكهف أيضاً ملجأ لك أثناء هذه الأمطار الشديدة".

فتح المرسل حقيبة البندقية مرة أخرى لكي يري رجل الجزيرة ذخيرة الرصاص، كان هناك المئات. لكنه حذره قائلاً: "استخدم هذه الذخيرة بحكمة، المفترض أن تكفيك وتزيد طيلة هذه الواحد وستين يوماً".

عند هذه النقطة شعر رجل الجزيرة بالتأثر والامتنان، وفجأة تبادرت إلى ذهنه فكرة مهمة، وتساءل بحرص قائلاً: "أيها المرسل، ماذا يجب أن أقدم لك في مقابل البندقية؟"

ورد المرسل بابتسامة قائلاً: "إني أعلم أنه ليس لديك أية نقود، ولذلك لا يمكنك أن تشتريها. وحتى إذا كنت تستطيع ذلك، فإن المقابل ليس هو ما دفعني أن أفعل هذا معك، لقد رأيتك عبر آلة الزمن وأردت مساعدتك. هذه البندقية ليست للبيع، فقط خذها. بالإضافة إلى أن الرجل الذي أعمل لديه، وهو رجل في غاية الثراء في عالمي، وهو الذي يمتلك آلة الزمن، قدم لي هذه البندقية لكي أعطيها لك. لذلك فإن كل ما أفعله أنا هو فقط الاستمتاع بفرحة تسليم هديته لك".

"أشكرك. أشكرك". شعر رجل الجزيرة بالمزيد من الامتنان والذهولٍ من اهتمام هذا المرسل ورئيسه وسخائهما، فقبل البندقية، واختفى الغريب الخير في غضون ثوانٍ. وأصبح رجل الجزيرة بمفرده مع سلاح سوف ينقذ حياته ويعوله أيضاً طوال الشهرين الباقيين له على الجزيرة. لقد خلص!

وكما فهمت من هذه القصة، فإن المرسل في هذه القصة الرمزية يمثل خادمٍ يسوع المسيح الذي يخبر رجل الجزيرة بطريق الخلاص. قد يكون مبشراً أو راعياً أو فرداً من أفراد الأسرة أو صديقاً أو شخصاً غريباً تماماً، ورئيس هذا المرسل هو الرب الذي أرسله في مهمة إنقاذ، والبندقية تمثل نعمة الله وعطيته غير المستحَقة، فالخلاص من الموت المريع على الجزيرة لم يأت نتيجة أفعال رجل الجزيرة، بل كعطية من رئيس ذلك المرسل. والواحد وستون يوماً الباقية على الجزيرة تمثل حياة رجل الجزيرة الباقية هنا على الأرض، والسفينة التي ستأتي لتأخذه تمثل رحيله عن هذه الأرض إلى السماء.

تبقى حقيقة مهمة

الآن أريد أن أحكي لك القصة مرة أخرى، وأرى الاختلاف إذا تم تغيير عنصر واحد مهم فيها.

في هذه النسخة الثانية من القصة، يظهر المرسل ويعلن أن البندقية سوف تنقذ حياة رجل الجزيرة. وكما قيل سابقاً، فإنه يقول إن البندقية هي الوسيلة الوحيدة

التي سوف يعرف بها قبطان السفينة أن هناك شخصاً ما داخل الضباب. وهنا أيضاً يوجه المرسل البندقية نحو السماء ويطلق الرصاص، ثم يدع رجل الجزيرة يحشو السلاح ويصوب عدة رصاصات في الهواء. وكما في النسخة السابقة، فهذه هي الوسيلة الوحيدة للخروج من هذه الجزيرة.

لكن في هذه المرة لا يهتم المرسل بتعريف رجل الجزيرة بالقدرات الأخرى للبندقية، فهو لا يشرح له أنه بالإضافة إلى الأصوات المدوية الناتجة عن البندقية، هناك أيضاً قذيفة صلبة كبيرة تخرج من ماسورة البندقية على سرعة عالية ويمكنها أن تقتل الحيوانات لكي توفر الطعام والحماية والدفء. فالمرسل يفترض بالخطأ أن رجل الجزيرة يعرف كل ما يمكن للبندقية أن تفعله، وينسى حقيقة أن هذا الرجل يعيش في زمن ما قبل اختراع الأسلحة النارية. وكما في النسخة السابقة، يعبر رجل الجزيرة عن شكره للمرسل على هذه العطية، ويختفي المرسل في الحال عائداً إلى حقبته الزمنية. ويبقى رجل الجزيرة محتفظاً بهذه الطريقة للهروب، لكن بدون المعلومات التي يحتاجها لكي يعيش حياة ناجحة على الجزيرة طوال الواحد والستين يوماً التالية.

في هذا السيناريو، يشعر رجل الجزيرة بمشاعر مختلطة بعد الاختفاء الفجائي للمرسل. يشعر بطلنا بالسعادة لمعرفته أن هناك طريقة للخروج من هذه الجزيرة، لكنه يدرك أيضاً أن أمامه صراعاً كبيراً. ماذا سيأكل طوال الواحد والستين يوماً التالية؟ هل يمكنه أن يظل على قيد الحياة طوال هذه المدة بدون طعام؟ لقد فشلت كل محاولات رجل الجزيرة في قتل ولو حيوان واحد. وفرصته في تجنب الجوع أو هجوم الدببة قبل انتهاء الواحد والستين يوماً تعتبر معدومة. ولا يمتلك بعد وسيلة ينام بها جيداً أثناء الليل، وليست له حماية من الأمطار الغزيرة أو الليالي الباردة. هل سينجح رجل الجزيرة؟ يمتلئ ذهنه بالمخاوف حول حقيقة أنه ربما لا يظل حياً إلى أن تصل السفينة بعد شهرين.

يستقر الإحباط بداخله مرة أخرى، فإنه يجهل إمكانيات ما يمتلكه. كيف يمكن لهذا الرجل الذي كان كريماً جداً لدرجة أنه قدم له طريقة للخروج من الجزيرة، ألا يقدم المعلومات اللازمة للعيش بنجاح أثناء الفترة الباقية على هذه الجزيرة؟

والآن بعد أن نظرنا إلى شكلين من هذه القصة الرمزية، ما هو القصد من ذلك؟

كثيرون منا تعلموا أن النعمة هي عطية لا نستحقها، وأننا ننال بها الحياة الأبدية في السماء. لكن ما تم إهماله في الكثير من الدوائر التبشيرية هو فهم كيف تقدم النعمة القدرة على أن نعيش – بشكل يفوق العادة – حياة ناجحة ترضي الله قبل أن نصل إلى الأبدية. خلاصة القول هي أنه لم يخبرنا أحد بما يمكن أن تفعله "البندقية" قبل وصول السفينة، وبسبب هذا النقص في المعرفة عن النعمة، فلا تزال الكثير من الكنائس تعيش تقريباً مثلما كانت قبل الخلاص، وتنهزم في جوانب كثيرة من الحياة.

تمكين الله لنا للحياة

دعونا نعود لننظر إلى كلمة النعمة مرة أخرى. يظهر قاموس سترونج للغة اليونانية قدرة النعمة (charis) من خلال تعريفها على أنها "التأثير الإلهي على القلب وانعكاساته في الحياة". لاحظ عبارة "انعكاساته في الحياة". من الواضح أن النعمة تعني أكثر من مجرد التوجه إلى السماء. يبدو من هذا التعريف أنه يوجد اختلاف خارجي ظاهر بين من له النعمة ومن ليس له. أي أن النعمة تنعكس، أو يمكن أن تُرى في حياة المؤمن. ونحن نرى هذا في سفر الأعمال:

"فسُمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية. الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب".

(أعمال ١١: ٢٢ ـ ٢٣)

رأى برنابا الدليل الخارجي الظاهر لنعمة الله في حياة المؤمنين الذين قابلهم في أنطاكية، وهناك ترجمة أخرى توضح هذا الأمر أكثر إذ تقول: "عندما وصل ورأى هذا البرهان ..." كانت نعمة يسوع المسيح منسكبة على قلوبهم، واستطاع برنابا أن يرى البرهان على ذلك، وهو الانعكاس الخارجي.

تقول موسوعة كلمات الكتاب المقدس لزوندرفان: "هذه النعمة هي قوة ديناميكية محركة تفعل أكثر من مجرد التأثير على موقفنا أمام الله عن طريق منحنا البِر، فالنعمة تؤثر على خبرتنا أيضاً. النعمة تتسم دائماً بعمل الله بداخلنا الذي يمكننا من أن نتغلب على عجزنا". هذا التعريف تدعمه بكل تأكيد هذه الآية من العهد الجديد:

"لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر (نعمة) به نخدم الله خدمة مرضية"

(عبرانيين ١٢: ٢٨)

واضح جداً أن النعمة تعطينا القدرة على أن نخدم الله خدمة مرضية، فما كان مستحيلاً بقوتنا الذاتية، وهو الحياة المقبولة والمرضية أمام الله، أصبح الآن ممكناً، والنعمة تعطينا هذه القدرة. إن الله يمكننا من أن نتغلب على نقائصنا.

الكلمة اليونانية المستخدمة في (عبرانيين ١٢: ٢٨) charis هي نفسها الكلمة الموجودة في أفسس ٢: ٨ "لأنكم بالنعمة (charis) مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله". إذاً فالكلمة اليونانية المستخدمة في الآية لتعريف عطية الخلاص المجانية، تستخدم أيضاً لتبين أنها تمكننا من أن نعيش الحياة المقبولة بل والمرضية أيضاً أمام الله.

النعمة ليست مجرد إحسان الله الذي لا يمكن استحقاقه، بل هي أيضاً حضور الله الذي يمكننا ويعطينا القدرة على أن نفعل ما يسره. النعمة تعطينا القدرة على أن نتخطى قدراتنا الذاتية. إنها تعطينا القدرة على أن نعيش حياة تفوق العادة!

هذا أمر مثير بالنسبة لي! الله لم ينقذنا فحسب، بل إنه مكَّننا أيضاً حتى نستطيع أن نعيش بنجاح في هذا العالم. لم يرد أولاداً يكون لهم لقب البر بدون أن تكون لهم القدرة على التغلب على الخطايا والضعفات التي كانت تسيطر عليهم في البداية. كلا، بل إنه قد صمم الخلاص لكي يكون كاملاً ؟ الحياة المنتصرة في هذا العالم، كما في العالم الآتي أيضاً.

تأملات لرحلة فوق العادة

هل تساءلت من قبل عما إذا كنت قد سقطت من نعمة الله؟ لماذا تعد هذه الفكرة خاطئة وخطرة للغاية؟

ما هو أكثر جزء من القصة الرمزية للمرسل يساعدك في زيادة فهم النعمة؟

الفصل السابع
النعمة والحق

قصد الرسول بطرس أن يذكر نقطة مهمة في رسالته الأخيرة، لم أنتبه إليها لوقت طويل. قرأت هذه الرسالة مرات ومرات لكنني لم ألاحظ أبداً استراتيجيته المتعمدة. استمع إلى ما يقوله:

"لذلك لا أهمل أن أذكّركم دائماً بهذه الأمور وإن كنتم عالمين ومثبتين في الحق الحاضر".
(٢بطرس ١: ١٢).

لاحظ كلمة أذكّركم. لاحظ بطرس أن من يقرأون رسالته كانوا قد سمعوا بالفعل ما كان يكتب عنه من قبل وكانوا راسخين في الحق، لكنه كان عازماً على أن يظل يذكّرهم. ثم يفعل هذا ثانية إذ يقول: **"ولكني أحسبه حقاً ما دمت في هذا المسكن أن أنهضكم بالتذكرة".** (ع ١٣). فهو يقرر أنه لن يتوقف عن تحريضهم.

ولم ينته بطرس من فكرة "التذكير" بعد:

"فأجتهد أيضاً أن تكونوا بعد خروجي تتذكرون كل حين بهذه الأمور". (ع ١٥)

ها هي فكرة التذكّر مرة أخرى! هنا يعلن بطرس إنه سوف يحرص على أن يكونوا دائماً – أجل دائماً – متذكرين ما كتبه، حتى بعد رحيله عن هذا العالم. لاحظ أيضاً أنه يقول إنه سوف يجتهد لكي يوضح هذه الأمور.

في ذلك اليوم، نلت إدراكاً أكبر لأهمية كلمة الله المكتوبة. يبدو أن الكثير من العظات اليوم تفتقد إلى إعلان وفهم الكلمة المقدسة؛ فأنا أجد الكثير من الكتب المسيحية المعاصرة التي تحتوي على القليل من البصيرة في الكتاب المقدس. عندما أقرأ كتابات الآباء الأوائل للكنيسة، أرى الكثير من الاستشهادات بكلمة الله. أرى المئات، بل وأحياناً الآلاف من الاقتباسات من الكتاب المقدس المنسوجة داخل نصوصهم. أحد الآباء الأوائل، وهو القديس "أكليمنضس الإسكندري"، والذي كان يعيش حوالي عام ١٥٠–٢١٥ ميلادية، كان قائداً في كنيسة الإسكندرية بمصر، وكان مسئولاً عن مدرسة التعليم للمؤمنين الجدد. يشير "جوش ماكدويل" إلى حقيقة مذهلة في كتابه "برهان يتطلب قراراً" وهي أن "أكليمنضس" في

كتاباته اقتبس ٢٤٠٠ مقولة من كل أسفار العهد الجديد ما عدا ثلاثة. لماذا يوجد هذا التناقض في التركيز على الكلمة المقدسة بين القرون الأولى للمسيحية والآن؟ كان الآباء الأوائل يعرفون أهمية التذكرة بكلمة الله.

في مرحلة ما من حياتي –استمرت تسعة عشر عاماً – تعلمت بعض التعاليم الغريبة التي لا توجد في الكتاب المقدس؛ إذ كنت أعتقد أن الطقس الخارجي دون روح الإيمان يمكنه أن يخلص الإنسان. أثناء تلك المرحلة كنت أشعر بالأسف لمن يختلفون معي في الفكر، لأني كنت أعتقد أن الحق كان ينقصهم.

لو كنت قد مت أثناء تلك الفترة، ما كنت سأذهب إلى السماء، لأنني لم أكن أفهم الخلاص. بعد أن قبلت المسيح يسوع رباً لي بفترة قصيرة، أدركت أنني كنت أؤمن بالكثير من الضلالات على أنها حقائق؛ لقد تلقيت معلومات وإرشادات خاطئة. لقد بنيت حياتي على ما يعلمه الناس من فهمهم الخاص، وليس على ما يتوافق مع ما يقوله الله في كلمته. هل تظن أن معتقداتي السابقة قد انحرفت عن جوانب معينة من الكلمة المقدسة فجأة؟ بالتأكيد لا. فكل التعاليم التي صنعها البشر عادة تبدأ بانحراف تدريجي ينتهي به الحال بعيداً عن الحق.

بعد أن قبلت المسيح بفترة وقصيرة وتحررت من الخطأ، أسرتني هذه الكلمات: **"كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر (في حياة القداسة)، في توافق مع إرادة الله في الفكر والقصد والفعل)"**. (٢تيموثاوس ٣: ١٦)

"كل الكتاب هو موحى به من الله". استمع ثانية إلى هذه الكلمات: "كل الكتاب"، وليس بعض أفكار الكتاب، وليس بعض النقاط في الكتاب، بل كل الكتاب هو موحى به من الله.

سرعان ما اكتشفت بعدها ما قاله يسوع: **"السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول"**. (مرقس ١٣: ٣١). لماذا يمكن أن تزول السماء والأرض ولا يزول ولا "حرف واحد" أو "نقطة واحدة" من كلمة الله (متى ٥: ١٨)؟ لأنه **"حامل كل الأشياء بكلمة قدرته"** (عبرانيين ١: ٣).

لقد اهتم الله بتوصيل كلمته لنا، فلماذا نستخف بها نحن ولا نؤكد عليها أكثر

من ذلك؟ لماذا نحاول أن نجعل كلمته المعصومة تتلاءم أو تتوافق مع أسلوب حياتنا أو ثقافتنا الاجتماعية بدلاً من أن نسمح لها أن تشكل حياتنا؟

هذا هو السبب الذي دفع بطرس ليقول: "سوف أذكّركم مرة أخرى، وأظل دائماً أذكّركم طالما كنت على قيد الحياة، وأظل أذكّركم لوقت طويل حتى بعد أن أرحل عن هذا العالم". إذا تأملت في هذه العبارات، فسوف تدرك أهمية الكلمة المقدسة، خاصة النقاط التي أكد عليها قبل ذلك مباشرة.

ليتنا نتمسك بكلمة الله؛ فإنها غير فاسدة وأبدية ولا يمكن أبداً أن تتبدل أو تتغير، إنها الصخرة التي يجب أن نقف عليها راسخين ونبني حياتنا عليها.

لذلك سوف أذكّركم مرة أخرى بما كتبه بطرس. لقد ذكرت هذه الكلمات بالفعل من قبل، لكن العجيب أنها هي نفس الكلمات التي لن يكف بطرس عن أن يذكّر بها المسيحيين الأوائل. لذلك دعونا نعطيها انتباهاً أكثر:

"كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى ... لذلك لا أهمل أن أذكّركم دائماً ... ولكني أحسبه حقاً ما دمت في هذا المسكن أن أنهضكم بالتذكرة ... فأجتهد أيضاً أن تكونوا بعد خروجي تتذكرون كل حين بهذه الأمور". (٢ بطرس ١: ٣، ١٢ ـ ١٣، ١٥).

من المهم أن نحفظ ما كتبه في عقولنا ونؤمن به بقوة؛ فإذا فقدنا رؤية الحق، سيكون هذا مميتاً لحياتنا في المسيح. يجب أن يكون هذا واضحاً لنا أثناء تقدمنا. مرة أخرى أكرر، لديكم بالفعل كل ما يلزم لكي تعيشوا الحياة التي ترضي الله. لقد نلتم هذا بقوته، وهذه القوة ليست سوى نعمة الله العجيبة!

الاختلاف الأساسي

طوال قرون طويلة قبل أن يأتي يسوع إلى الأرض، ويموت على الصليب، ويقوم ثانية من الموت، كان على الناس الذين يرغبون في إقامة علاقة مع الله أن يحصلوا على ذلك فقط من خلال الناموس. والغرض الأساسي للناموس الذي أعطاه الله لنا من خلال موسى هو أن يبين للرجال والنساء أنهم لا يمكنهم أبداً أن يرضوا الله بقدرتهم الشخصية؛ فقد أعلن الناموس ضعف الجنس البشري وقصوره.

لكن ما لم يستطع الناموس أن يحققه في تمكيننا من أن نرضي الله أصبح الآن

ممكناً من خلال نعمة الله. تذكر أن الكتاب يقول لنا بصورة محددة: "**من قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً**". (١ يوحنا ٢: ٦). هذه وصية، وليست اقتراحاً أو حتى نصيحة شديدة! وبالنعمة فقط يمكننا أن نتممها. يكتب يوحنا في إنجيله قائلاً:

"**ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا. ونعمة فوق نعمة. لأن الناموس بموسى أعطي. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا**". (**يوحنا** ١: ١٦ ــ ١٧).

هناك الكثير في هاتين الآيتين، ولهذا أريد أن أفصلهما بعناية. أرجو أن تتحملني لبضع صفحات قليلة؛ فالفهم الغني الذي سنناله جدير بهذا. تقول الآية الأولى:

"**ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا**".

تأمل في هذا المعنى للحظات ودعه يغوص بداخلك. ركز على الكلمات "من ملئه". إن كمال يسوع قد نُقل إلينا! ليس ملء رئيس وزراء، أو رئيس دولة، أو أحد المشاهير، أو نجم من نجوم الغناء، أو رياضي عظيم، أو أستاذ جامعي، بل شمول يسوع المسيح نفسه. إذا فهمت هذا حقاً، فلن تحسد أي شخص آخر بعد الآن. لديك ملء طبيعة يسوع المسيح بداخلك!

دعونا ننظر مرة أخرى إلى كلمات بطرس.

"**كما أن قدرته [نعمته] الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى ... اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية**".

(**٢ بطرس** ١: ٣ ــ ٤)

طبيعته! الطبيعة الإلهية.

يا لها من عطية مذهلة، تفوق الإدراك "الطبيعة الإلهية". تُعرَّف كلمة "الطبيعة" على أنها "الصفات أو الشخصية الذاتية أو الأساسية للشخص". والآن وقد عرفت هذا، استمع إلى ما كتبه بطرس أيضاً:

"**مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد**".

(**١ بطرس** ١ :٢٣)

الزرع أي البذرة بها كل الصفات الذاتية للنبات الأصلي؛ فهي نبات حقيقي داخل قشرة، ومصنوعة على صورة ما كوّنها. وكما يقول بطرس، فإن البذرة التي زرعت بداخلك هي كلمة الله.

من المهم أن تتذكر أن يسوع المسيح هو كلمة الله الحي؛ فهو يسمى "الكلمة". كتب عنه يوحنا قائلاً: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله ... والكلمة صار جسداً وحل بيننا" (يوحنا١: ١، ١٤). وهو يسمى "كلمة الحياة" في (١ يوحنا ١: ١).

أيضاً يقول كاتب العبرانيين:

"لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته. وليس خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا". (عبرانيين ٤: ١٢ ـ ١٣)

إذا كتبت هاتين الآيتين في حصة قواعد اللغة، سوف يصحح معلمك ورقتك على أنها خطأ. فالطريقة الصحيحة للكتابة يجب أن تكون هكذا: "لأن كلمة الله .... كل شيء عريان ومكشوف لعيني تلك (وليس ذلك)". لكن بالتأكيد لم ترد الآية هكذا. فالكتاب المقدس يقول بكل تحديد "عيني ذلك". يسوع هو كلمة الله الحي.

إن الزرع الذي غرس بداخلك، والذي خُلقت من جديد من خلاله، ليس سوى المسيح نفسه، هذا الزرع غير قابل للفساد. نحن في المسيح، وهو فينا، ونحن لنا ملء طبيعته. البذرة التي زُرعت فينا عندما ولدنا ثانية هي المسيح بكامله. يا له من أمر عجيب! في هذا العالم لدينا كمال طبيعته! هل صدمتك حقيقة هذا الأمر؟

يقول يوحنا: "**كما هو في هذا العالم هكذا نحن أيضاً**". (١ يوحنا٤: ١٧). يظن مؤمنون كثيرون أنه في يوم من الأيام، في السماء، سوف نكون مثله، لكن الآن على الأرض، نحن نجاهد كخطاة نالوا فقط الغفران. وهذه كذبة ضخمة، وتبقي الناس في قيود وتبطل قوة النعمة في حياتهم.

بالرغم من أن هذه الحقيقة عجيبة، إلا أنها منطقية للغاية؛ فالكتاب المقدس يخبرنا أننا ذرية الله: "**أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله**" (١ يوحنا ٣: ٢). ليس في المستقبل، بل الآن. إذا كنا الآن مولودين من الله، والآن أولاده أو ذريته، فيكون من المنطقي أن تكون لنا الآن صفاته الأساسية. تماماً كما أن الفرس لا يمكن أن يلد دودة، أو الأسد أن يلد ابن عرس، هكذا بما أننا مولودون من الله نفسه، لا يمكن أن نمتلك صفات داخلية أقل من صفاته. فإن تكوينه يعد الآن جزءاً منا!

لكن هناك ما هو أفضل أيضاً! إذا سمحنا لله بذلك، فسوف يحيا من خلالنا! وكما سنرى بعد قليل، فإن هذه هي قوة نعمته. أنثى الأسد لا يمكنها أن تعيش من خلال حياة صغيرها، لكن المسيح يعيش فينا. يقول بولس: "أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غلاطية ٢: ٢٠). ويقول أيضاً: "لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله". (كولوسي٣:٣). يا للخلاص الكامل الذي منحه الله لنا!

والآن دعونا نكمل دراستنا التفصيلية لما كتبه الرسول يوحنا:
"ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة". (يوحنا ١: ١٦)

هنا نجد النقطة التي يغفلها الكثيرون اليوم نتيجة التعليم الناقص: يربط يوحنا قبول ملء طبيعة الله بالنعمة. إنها عطية الله التي لا يمكن استحقاقها – إنها العطية التي لم تخلصنا فقط من الدينونة الأبدية، وإنما منحتنا أيضاً صفات الله. وأي جانب من النعمة يعد حقيقياً مثل بقية الجوانب الأخرى، وكلها قدمت لنا في اللحظة التي خلصنا فيها.

لاحظ العبارة التي يستخدمها يوحنا "ونعمة فوق نعمة". لدي صديق يوناني يعيش في أثينا. وهو خادم لا يتحدث اليونانية فقط على أنها لغته الأم، بل درس أيضاً اللغة اليونانية القديمة. وقد شاركني بأن الرسول كان في الحقيقة يكتب أن الله قد أعطانا "أعظم غنى النعمة". وهذا أكيد!

كثيراً ما كنت أفكر قائلاً: "كان يكفي أن يصنعنا الله مثل واحد من ملائكته أويتركنا خطاة – لكن خطاة مغفورة خطاياهم لكي يقضوا الأبدية معه". أي من هذين الاختيارين سيكون أفضل بكثير من الأصل الذي أتينا منه. لكن الله لم يسامحنا فقط بل أيضاً جعلنا أولاده وبناته، وأعطانا طبيعته الإلهية الشاملة، وهذا إحسان غير مستحَق يفوق العادة!

أعتقد أن هذا هو ما جعل يوحنا يستخدم عبارة "أعظم غنى النعمة". فقد عاش تحت ناموس موسى وعرف أوجه قصوره. كان يعرف أن الناموس ليست لديه القدرة على تغيير طبيعة الإنسان، بل كان فقط يكشف ضعفه وتقصيره. كان يعلم أن الناموس لم يستطع أن يفعل شيئاً سوى أن يقيده، وليس أن يغير إنسانه الباطن. ولهذا السبب، فقد ألحق عبارته هذه عن قبول طبيعة يسوع من خلال النعمة،

بحقيقة أن الناموس بموسى أعطي، أما النعمة والحق فجاءا من خلال يسوع المسيح. انظر إلى هذه الكلمات مرة أخرى:

"ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا. ونعمة فوق نعمة. لأن الناموس بموسى أعطي. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا". (يوحنا ١: ١٦ ـ ١٧).

ولننظر بتعمق أكثر إلى هذا الاختلاف.

مقارنات يسوع

لكي ندرك عظمة الحقيقة الكاملة للنعمة، دعونا ننظر إلى المقارنات التي ذكرها يسوع في (متى ٥)، حيث قال أكثر من مرة:

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء ... وأما أنا فأقول لكم ..." (ع ٢١ ـ ٢٢).

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء ... وأما أنا فأقول لكم ..." (ع ٢٧ ـ ٢٨).

"وقيل ... وأما أنا فأقول لكم ..." (ع ٣١ ـ ٣٢).

"وأيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء ... وأما أنا فأقول لكم ..." (ع ٣٣ ـ ٣٤).

"سمعتم أنه قيل... وأما أنا فأقول لكم ..." (ع ٣٨ ـ ٣٩).

"سمعتم أنه قيل... وأما أنا فأقول لكم ..." (ع ٤٣ ـ ٤٤).

يضع يسوع مقابلة بين الحياة في ظل الناموس (الحياة قبل أن تدخل فينا طبيعته) في مقابل الحياة في ظل النعمة الممكنة. فهو يتلو متطلبات ناموس موسى بعبارات مثل "سمعتم أنه قيل ..." ثم يقدم طريقته هو، التي هي الحق، في ظل النعمة الممكنة بقوله: "وأما أنا فأقول لكم ..."

يقدم يسوع هنا أبعاد النعمة التي يمكنها أن تودع بداخلنا قدرة الله وتحررنا من تركيبة الناموس العاجزة، فالناموس يمثل القيد الخارجي، بينما النعمة هي انعكاس التغيير الداخلي.

كثيراً ما أسمع خداماً ومؤمنين ينوحون على المتطلبات القاسية للناموس ثم يعبرون عن ارتياحهم أنهم تحت النعمة وليسوا تحت أسلوب الحياة المتزمت ذلك. أنا أيضاً أبتهج كثيراً أنني لم أعد تحت الناموس، لكن ليس هذا لأنني أجد توقعات الله مني أخف الآن. في الحقيقة، العكس هو الصحيح. فإن توقعاته مني أصبحت أعلى في ظل هذه النعمة الممكنة! دعونا نتعمق أكثر:

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء "لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم". وأما أنا فأقول لكم

إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم ... ومن قال "يا أحمق" يكون مستوجب نار جهنم". (متى ٥: ٢١ ـ ٢٢).

يقول يسوع إنه إذا وصل الغضب للنقطة التي تجعل الإنسان يقول لأخيه "يا أحمق"، فهذا يعني أننا في خطر الهلاك في الجحيم. كلمة "أحمق" تعني "بدون إله" ("**قال الجاهل في قلبه ليس إله**" [مزمور ١٤: ١]). ولذلك فإن مناداة الأخ بلفظ أحمق كان في الحقيقة اتهاماً خطيراً. لم يكن أحد ليقول مثل هذا الشيء إلا إذا كان غضبه قد تحول إلى كراهية.

في العهد القديم، يعتبر الإنسان مذنباً بالقتل إذا انتزع فعلياً حياة شخص آخر. لكن في ظل النعمة الممكنة، يكشف الله الآن مقياسه الحقيقي، أي الحق، كما كان عليه دائماً، وليس كمجرد حدود بسبب ضعف قلوبنا. يكشف الله أنه يساوي بين كراهية الأخ وبين القتل! ونجد هذه الفكرة نفسها أيضاً في (١ يوحنا ٣: ١٥) "**كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس. وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه**".

هذا يعني ببساطة أنه في ظل الناموس كان عليك أن تدخل سكيناً إلى جسد شخص ما حتى يمكن اعتبارك قاتلاً. لكن الآن، في زمن العهد الجديد، الذي لنا فيه هذه النعمة الممكنة، إذا رفضت أن تسامح أو احتفظت بالكبرياء الجارف أو أي شكل آخر من أشكال الكراهية، فهذا برهان على أن حياة الله الأبدية أو النعمة ليست ساكنة فيك. أنت قاتل! هذا هو الحق.

كثيرون في الكنيسة اليوم يرون النعمة على أنها "الساتر الأكبر" نتيجة طريقة تعلمهم عنها وفهمهم الخاطئ لها. ما الذي أعنيه بعبارة "الساتر الأكبر"؟ هل سمعت من قبل شخصاً يقول: "أعلم أنني لا أحيا كما ينبغي، لكن شكراً لله على نعمته!" هذا مناقض تماماً لما يعلمنا إياه العهد الجديد عن النعمة. صحيح أن النعمة تستر، لكن بالإضافة إلى هذا فإنها التأثير الإلهي على قلبنا مع انعكاس قوتها في حياتنا. إنها تعطينا القدرة على أن نعيش في الحق.

لذلك أنا أسأل، هل يصف يسوع النعمة على أنها "الساتر الأكبر"، أم أنه يعلن أنها قوة طبيعته التي تمكننا من أن نعيش الحياة التي ترضي الله الآب؟

دعونا ننظر إلى مقارنة أخرى:

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه". (متى ٥: ٢٧ ـ ٢٨)

كان العهد القديم يعتبر الشخص مذنباً إذا وقع الزنا الجسدي فعلياً. لكن في ظل تعاليم العهد الجديد التي قدمها الرب يسوع المسيح، يعرِّف الشخص على أنه مرتكب للزنا إذا نظر فقط إلى امرأة وأراد أن تكون له علاقة جنسية معها. الأمر ببساطة أنك تحت الناموس كان عليك أن تقوم بالأمر فعلياً، لكن في ظل عهد النعمة الجديد، كل ما عليك أن تفعله هو أن تريد أن تقوم بالفعل! هل يتفق هذا المعنى الأضيق للزنا مع ما تعلمناه عن النعمة وعشناه في أمريكا؟ هل اقتنعنا بفكرة "الساتر الأكبر"، أم أننا نفهم النعمة على أنها القدرة الممنوحة من الله لنا لكي نعيش مثل يسوع؟

النعمة والحق

قبل أن ننظر إلى مقارنة أخرى بين العهد القديم والعهد الجديد، دعونا نراجع مرة أخرى ما ورد في إنجيل يوحنا:

"ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا. ونعمة فوق نعمة. لأن الناموس بموسى أعطي. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا". (يوحنا ١: ١٦ ـ ١٧)

الحقيقة هي أن الحق أتى مع النعمة. لماذا يوضح يوحنا هذا؟ لماذا لا يوضع الحق أيضاً مع الناموس؟ في هذا يكمن مفتاح عظيم آخر لهاتين الآيتين، وسنجد هذا المفتاح في المقارنة التالية.

يقول يسوع: **"وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق. وأما أنا فأقول لكم ..."** (متى٥: ٣١ ـ ٣٢). ولتوضيح الإجابة التي قدمها يسوع سوف أتعمق أكثر في إنجيل متى، حيث يشرح المسيح رأيه بصورة أشمل. أتى القادة إلى يسوع وسألوا هل يحل للرجل أن يطلق زوجته لأي سبب؟ وأجاب يسوع:

"فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء "خلقهما ذكراً وأنثى". وقال: "من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً؟ إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان»". (متى ١٩: ٤ ـ ٦).

فأجاب القادة قائلين:
"فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلّق؟" (ع٧).

استمع إلى إجابة يسوع:
"قال لهم إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلّقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم إن من طلّق امرأته إلا بسبب الزنى وتزوج بأخرى يزني. والذي يتزوج بمطلّقة يزني". (ع٨ـ٩).

لاحظ كلمات يسوع "لكن من البدء لم يكن هكذا". يقرر يسوع الحق، لأنه لا يتغير. فالحق هو هو أمس واليوم وإلى الأبد. لكن تحت قيود الناموس، عندما لم تكن قلوبهم مشحونة بطبيعة الله، لم يكونوا قادرين على التعامل مع الحق في هذه المنطقة، كما في المناطق الأخرى. لذلك أذن الله لموسى أن يكتب أشياء معينة لم تكن هي "الأفضل" الحقيقي بالنسبة لله.

لكن بمجرد أن أتت النعمة، بمجرد أن مُنحنا طبيعة الله بالكامل، بمجرد أن استُبدلت القلوب القاسية بزرع صفات الله الموروثة، أصبحت لنا الآن القدرة على أن نعيش كما قصد الله للبشر أن يعيشوا منذ البداية – بشكل يفوق العادة. يمكننا الآن أن نعيش هذه الحياة كأبناء وبنات لله، على صورته، ومثاله، ونمتلك قدرته من خلال النعمة!

لذلك ففي ظل الناموس كان يمكنك أن تطلق زوجتك لأسباب خلاف الزنا. لكن في ظل النعمة، أصبحت حقيقة رغبة الله منذ البدء واقعاً مرة أخرى. النعمة والحق يلتقيان معاً حتى يمكن للرجال والنساء أن يسلكوا كأنوار في وسط جيل معوج وملتوٍ. إن طبيعة الله بداخلنا، ويمكننا أن نسلك بالطريقة التي ترضيه.

استبدال الأقسام بالاستقامة

المقارنة التالية توضح اندماج النعمة والحق بصورة أكبر. يقول يسوع:
"أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء 'لا تحنث بل أوف للرب أقسامك'. وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة ... بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير".
(متى٥:٣٣ـ٣٤، ٣٧)

في ظل الناموس، كان الشخص يُظهر أنه ينوي أن يفعل ما قاله عندما يقسم أو يحلف، هنا أيضاً سمح الله لموسى أن يكتب هذا لأن الرجال والنساء لم تكن لهم طبيعة يسوع المسيح في داخلهم، وكانت قلوبهم قاسية؛ ولهذا فإن هذه القيود تم تشريعها من خلال الناموس في هذه الحالة حتى تفرق بين الالتزام الجاد والالتزام غير الجاد.

لكن في ظل النعمة أصبحت لنا الآن طبيعة يسوع المسيح، وأصبحنا الآن قادرين على أن نعيش في الحق طوال الوقت. أصبحت الاستقامة منسوجة الآن داخل كياننا. أصبحنا الآن قادرين على أن نكون رجالاً ونساء يشبهون الله، قادرين على أن نقول ما نعنيه ونعني ما نقوله، ونلتزم باستقامة كلماتنا، لأن قلوبنا تجددت وتطهرت بفعل زرع طبيعته غير القابل للفساد. ولهذا يوصينا الكتاب المقدس قائلاً: "**كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء**" (**أفسس** ٥: ١).

من لا يعيش بالاستقامة يعيش بعكس طبيعة الله التي بداخله. لماذا قد يريد أي شخص أُعطي هذه النعمة العجيبة أن يحيا بما لا يتوافق مع طبيعة الله؟ فالشخص الذي يظهر باستمرار نقصاً في الاستقامة، يصبح أمر خلاصه بالنعمة محل سؤال، بل وتشكك أيضاً؛ لأن ثماره تظهر أنه ليس له طبيعة الله. يوضح يسوع هذا بقوله: "**فإذاً من ثمارهم تعرفونهم**" (**متى** ٧: ٢٠). هكذا نعرف الشخص الذي خلص حقاً بالنعمة.

والآن لننتقل إلى المقارنة الأخيرة التي يقدمها يسوع في هذا الأصحاح.

"**سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات. فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين**". (**متى** ٥: ٤٣ ـ ٤٥)

في هذه المقارنة، تعد العبارة المفتاحية هي: "لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات". إن حقيقتنا بعد الولادة الجديدة، بعد أن نلنا نعمة فوق نعمة، تشتمل على طبيعة وصفات الله نفسه. لابد أن أكرر: نحن لسنا مجرد خطاة نالوا الغفران بالنعمة فقط. نحن أبناء وبنات الله ونمتلك طبيعته ولابد أن نكون مشابهين له.

في الحقيقة، يكمل يسوع مقارناته وتوجيهاته بتغليف كل ما قاله بهذه الكلمات:

"فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل". (متى ٥: ٤٨).

ينبغي أن نكون كاملين، كما أن الله أبانا هو كامل! اعتدت أن أمر مرور الكرام على كلمة كاملين وكنت أقنع نفسي أن يسوع كان فقط يضع هدفاً لنا لا يمكن بالتأكيد الوصول إليه، لكن علينا فقط أن نفعل أقصى ما نستطيع تجاهه.

ثم فكرت بعد ذلك قائلاً: "حسناً ربما يقول إن هذه هي الحالة التي سنكون عليها عندما نصل إلى السماء". بدا هذا أفضل، لأنه كيف يمكن للإنسان حتى أن يحلم أن يكون هدفه هو الكمال في الشخصية مثل الله؟ فهذا يبدو غريباً جداً ويصعب فهمه.

لكن إذا نظرنا جيداً إلى ما يقوله يسوع، سنجده أمراً عجيباً؛ فكلمة كاملين هنا هي teleios باليونانية. يعرف "جوزيف هـ". ثاير هذه الكلمة على أنها "مكمَّلين، تم الانتهاء منهم، لا ينقصهم أي شيء ضروري للكمال، كاملين". والترجمة المنقحة للكتاب المقدس تورد هذا التعريف: "فكونوا أنتم كاملين [نامين إلى النضج الكامل للتقوى في الفكر وفي الشخصية، بعد أن وصلتم إلى العلو الصحيح للفضيلة والاستقامة]، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل".

لاحظ أن الآية تقول "كونوا". فهي لا تقول "اجتهدوا أن تكونوا". سيكون من الحكمة أن نعرف ونتبع الوصايا التي تحثنا على الاجتهاد، لكن من الحماقة حقاً أن نستخف بالوصايا التي تقول لنا: "كونوا".

عند النظر إلى ترجمات أخرى للكتاب المقدس لا نجد اختلافاً في المعنى. لا يمكننا أن نتغاضى عن وصية الله لنا. أكرر مرة أخرى إن هذا ليس اقتراحاً أو توصية أو حتى هدفاً بعيد المنال، بل هي وصية.

ولهذا يكتب بولس فيقول: **"لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلّصة لجميع الناس معلّمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر"**. (تيطس ٢: ١١ ـ ١٢) النعمة لا تعلّمنا فقط، بل إنها أيضاً تمكّننا من أن نعيش فوق قدراتنا البشرية – فوق العادة. لقد ولدنا ثانية، إننا أناس جدد تماماً، نحن أبناء وبنات الله.

لماذا لا نصيب الهدف؟

كنت أستعد لأكون ضيفاً في برنامج تليفزيوني عالمي، وأثناء الصلاة في غرفتي بالفندق قبل البرنامج، صرخت إلى الله، وسألته لماذا يوجد الكثير من الفشل الأخلاقي في الكنيسة؟ "لماذا يا رب يسقط الكثيرون، وحتى القادة، في أنماط خطيرة من الخطية؟"

وسمعت الروح القدس يقول: "هذا بسبب ما تعلمتموه". (وشعرت أن الإشارة هنا هي لقادة الكنيسة مجتمعين). ثم استمر لكي يبين لي أن الكلمات بذار، والبذار دائماً تنتج نوعها. وهذا قانون معروف، أنك إذا زرعت بذرة تفاح، لن تطلع شجرة موز. وإذا زرعت بذرة مانجو لن ينتج عنها قطن؛ فالبذرة تنتج نوعها.

إذا كنا نعلِّم ونعظ برسائل معارضة لكلمة الله، مثل أن نقول للناس "إننا لا نختلف عن الخطاة. لكننا فقط نلنا الغفران"، فلن تكون لهم المقدرة على أن يسلكوا في قدرة طبيعة الله – قدرة النعمة. تذكر أننا من خلال هذه المواعيد العظمى والثمينة (البذار) أصبحنا شركاء الطبيعة الإلهية. إن التمكين المجاني للنعمة ينتقل من خلال الكلمات. والعكس أيضاً صحيح، فإبطال القوة ينطلق من خلال الكلمات (البذار). الكلمات التي تأتي من على المنابر وفي الكتب وعلى الاسطوانات وفي المحادثات الشخصية سوف تنتج مثلها. فهي بذار! والآن، بدلاً من أن يسلك الناس في ملء طبيعة الله، نجد الكثيرين يعيشون في ضعف جسدهم. في الحقيقة، لقد جردنا الزرع غير القابل للفساد من قوته.

ربما تفكر قائلاً: "تمهل يا جون، فأنت تبالغ! كيف يمكنك أن تصدق أن تعليم الإنسان يمكن أن يبطل عمل الله في حياة أي شخص؟"

وأنا أجد الإجابة في كلمات يسوع؛ فقد قال للقادة في يومه شيئاً مشابهاً للغاية لما قاله لي في غرفة ذلك الفندق:

"مبطلين (سلطان) كلام الله بتقليدكم الذي سلمتموه. وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون".

(مرقس ٧: ١٣)

"سلطان كلام الله" الذي يتحدث عنه يسوع يمثل قدرته على تغيير حياة الإنسان. هذه القدرة يمكن أن تُبطل! عندما تفكر في هذا الأمر تجده عجيباً جداً.

فالنجوم التي تسبح في الفضاء والثابتة في مداراتها على مر أجيال كثيرة، والشمس التي تعطي النور والدفء لمناخنا لآلاف وآلاف السنين، ومجموعات الكواكب التي ظلت تشرق لأكثر من عمر البشرية، يمكنها كلها أن تخبو وتموت، لكن كلمة الله لا تزول. فكلمة الله قديرة للغاية لدرجة أنها تحفظ كل الخليقة في ترابط! وهي قوية للغاية لدرجة أن الله قد عظّم كلمته حتى على اسمه (انظر مزمور١٣٨:٢). وبالرغم من قدرة كلمة الله، إلا أن هناك شيئاً واحداً يمكنه أن يبطل قوتها، وهو التعاليم المناقضة للحق والموجودة في قلوب الناس!

لقد أُبطلت قوة كلمة الله في حياة الناس بفعل التعاليم والمفاهيم المضادة التي زُرعت في أفكارهم، وبهذا تعطل نضوجهم ليكونوا كاملين مثل أبيهم السماوي. إن تقاليدنا، أي التعاليم البشرية المناقضة للكلمة المقدسة، قد عطلت التقدم الروحي. لقد دفع يسوع ثمناً عظيماً وكاملاً لكي يتمم خلاصنا، ومع هذا فإن الكرازة التقليدية يمكنها أن تبطل قوة هذا الخلاص.

هل أنت واحد من الكثيرين الذين يشعرون باليأس والإحباط وقلة الهمة في مسيرتك مع الله؟ هل شعرت بانفصال حقيقي في العلاقة الحميمة معه؟ هل قلت في أعماقك: "لابد أن هناك المزيد؟" أغلب الظن أن هناك من قال لك إنه قد غفرت خطاياك وخلصت من الموت الأبدي، وهذه حقيقة. لكنك تجني حصاد بذار التعليم البشري الفاسدة المزروعة في قلبك وفي عقلك، وبهذا أُبطل سلطان كلمة الله في حياتك!

إذا كان هذا ينطبق عليك، فعندي لك أخبار عظيمة، يمكن أن تتحول حياتك بالكامل بقدرة نعمة الله. سيتغير حصادك لأنك تتغذى على كلمة الله، وليس على تقاليد الناس. الحياة التقية التي بحسب الكتاب المقدس تبدأ بالإيمان الصحيح. إذا كان أساسك خاطئاً، فلن يكون لديك شيء لتبني عليه. لكن كلمة الله سوف تغير هذا. فاستعد لما هو فوق العادة!

تأملات لرحلة فوق العادة

هل تعتقد أنك قد تلقيت أي بذار فاسدة من خلال التعليم غير الصحيح أو أية وسيلة أخرى؟ إذا كانت إجابتك هي نعم، فما هي البذرة غير القابلة للفساد – كلمة الله – التي يجب أن تحل محل هذه البذرة الفاسدة؟

ما الذي يمكنك أن تفعله الآن لكي تضمن أن تكون حياتك ممتلئة بالمزيد والمزيد من البذار الجيدة؟

الفصل الثامن
جِدة الحياة

بمجرد أن اكتشفت أن النعمة لا تشمل فقط غفران الله العجيب والوعد بالسماء، بل أيضاً تمكينه لحياتي، تغيرت حياتي بشكل جذري. قبل هذا كنت أصارع مع الخطية، وأجد أن الكثير من وصايا الله أصعب بكثير من أن أتممها، وكنت أحارب الشعور بالنقص والصورة الذاتية المغلوطة، وكنت أتساءل لماذا لم يكن هناك سوى ثمار أبدية قليلة في حياتي. لكن بمجرد أن أدركت أنني الآن أمتلك طبيعة الله، استقرت حياتي، وفاضت البركات، وزاد تأثيري على الآخرين لأجل ملكوت الله.

يمكنني أن أوضح الكيفية التي تغيرت بها عن طريق اختبار امتلاكي لأول جهاز كمبيوتر محمول. أتذكر أنني فتحت الجهاز وحركت المؤشر عبر العديد من البرامج، لكنني لم أستطع أن أفعل سوى القليل.

فيما بعد، جلست مع خبير في الكمبيوتر، وبدأ يريني ما كان ممكناً. شعرت بالذهول مما رأيته، فاستوقفته وسألته: "هل تعني أنني يمكنني أن أفعل هذا؟"

فأجابني: "كان يمكنك أن تفعل ذلك طوال الوقت".

ثم قام بحركة مذهلة أخرى على جهازي في برنامج مختلف، وسألته مرة أخرى: "هل يمكنني أن أفعل هذا أيضاً؟"

فأجابني بابتسامة: "كان يمكنك أن تفعل هذا طوال الوقت".

ما الذي حدث؟ كان هذا الرجل يكشف لي فقط قدرات جهاز الكمبيوتر الذي لدي، والتي كانت موجودة فيه طوال الوقت لكنها كانت مخفية عني بسبب نقص معرفتي. يقول الله: "سُبي شعبي لعدم المعرفة" (إشعياء ٥: ١٣). الكثيرون مسبيون، ويعانون من الهزيمة في الحياة مثلما كنت أنا، لأنهم لا يمتلكون معرفة قوة النعمة في هذه الحياة. لا يختلف هذا عن الرجل الذي جرفته المياه إلى الجزيرة المهجورة والذي تحدثنا عنه من قبل. كان لديه كل ما يحتاجه لكي يعيش حياة ناجحة

طوال الشهرين المتبقيين له على الجزيرة، لكن كانت تنقصه المعرفة فيما يختص بإحدى الوظائف الأساسية لتلك البندقية.

بل إن الجهل بكلمة الله يمكن أن يتخطى السبي إلى ما هو أسوأ: "**قد هلك شعبي من عدم المعرفة**". (**هوشع** ٤: ٦). كم من المؤمنين انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان بعد محاولتهم أن يرضوا الله بقوتهم وقدراتهم الشخصية؟ خلاصة القول هي أن المسيحيين لا يزدهرون بل إنهم يفنون في مسيرتهم مع الله لأنهم صدّقوا ما علّمه البشر بدافع التقاليد أو المشاعر المعاندة أو المسيحية العقلانية، بدلاً من البحث في ما أعلنه الله في كلمته المكتوبة. قيل عن المؤمنين الأوائل في "بيرية" إنهم كانوا "**أشرف من الذين في تسالونيكي فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الأمور هكذا**". (**أعمال** ١٧: ١١). لقد جلب بولس الإعلان الممنوح له من الله إلى هؤلاء الناس، لكنهم لم يأخذوا ما قاله على أنه من المسلمات. بل درسوا باجتهاد وفحصوا الكتب المقدسة لكي يبرهنوا على ما علّمهم إياه وقال الله إنهم كانوا "أشرف" من غيرهم.

أعلم أن الله يعطي الإعلان إلى المعلمين الموهوبين الذين يطلبونه باجتهاد. لكن مهما كان التعليم مشوقاً، فيجب علينا أن ندرسه بأنفسنا لكي نرى إذا كانت الكتب المقدسة تؤيد ما قيل أم لا. حضرت اجتماعات في كنائس كبيرة ومشهورة وسمعت أناساً يتحدثون بعبارات حمقاء مثل: "لا تهتم كثيراً باختياراتك في الحياة، فالكثير من الطرق الخاطئة سوف تقودك في النهاية إلى مشيئة الله في حياتك لأن مشيئته دائماً سوف تلحق بنا". أو "نحن المسيحيين لازلنا مجرد خطاة لكن خطايانا مغفورة بالنعمة". معظم الناس في الاجتماع يبتسمون ويهزون رؤوسهم بالموافقة، فهم يأخذون ما قيل على أنه من المسلمات لأنه منطقي. لكن بعدها يتساءلون لماذا يصارعون هكذا في حياتهم؟ ألم يقرأوا من قبل وصية الله: "**على فهمك لا تعتمد**" (**أمثال** ٣: ٥)؟

لقد زُرعت في قلوبهم بذار فاسدة، لأن تلك الكلمات تناقض ما يقوله الله في الكتاب المقدس. ومع هذا فإنهم يقبلون هذه الكلمات على أنها الإنجيل. ولا يبحثون في كلمة الله، خاصة العهد الجديد، ليكتشفوا أن المؤمنين ليسوا مجرد خطاة يصارعون ويسلكون طرقاً خاطئة ثم، بفضل النعمة، ينتهي بهم الحال في الأماكن الصحيحة في الحياة. لقد فشلوا في أن يتذكروا ما قاله الله: "**ما يزرعه**

الإنسان إياه يحصد أيضاً" (غلاطية ٦: ٧). وهم يخطئون إذ لا يفحصون الحق أننا الآن أولاد الله، وكما هو في هذا العالم هكذا نحن أيضاً!

ليتنا نتشبه بمؤمني "بيرية" سواء كنا نعظ أو نستمع إلى الوعظ. قبل أن أقف لأعظ، أحرص على أن أكون قد تأملت في رسالتي بصورة كاملة في ضوء مشورة كلمة الله الكلية. عادة ما تكون لدي العديد من المقاطع الكتابية، لكن هناك دائماً اثنين أو ثلاثة على الأقل، لتدعيم كل عبارة أقولها، فأنا بالتأكيد لا أريد أن أسيء تأويل كلمة الله ثم أُحاسَب أمام كرسيه عن الكيفية التي ضلَّلت بها شعبه أو أفقدتهم القوة.

إذا كنت تقرأ كتاباً أو تستمع إلى عظة تعليمية، فكر في ما تتعلمه. هل يتوافق المحتوى مع الكتاب المقدس (وليس مجرد آية شاردة أو اثنتين بل مشورة الله الكاملة)؟ لا تقبل كل شيء لمجرد أن راعياً قال ذلك، بل افحص الأمر! وبمجرد أن ترى أنه حق، اقبله ولا تشك فيه. بل سلم حياتك له، فالله يقول إن من يفعلون هذا هم "أشرف" وأعقل بكثير من غيرهم.

انكسرت سيادة الخطية

استمع مرة أخرى إلى ما يقوله كاتب العبرانيين: "**ليكن عندنا شكر** (نعمة) **به نخدم الله خدمة مرضية**" (**عبرانيين** ١٢: ٢٨). النعمة عطية مجانية تمكِّننا من أن نخدم الله بطريقة مقبولة ومرضية أيضاً أمامه. فهي ترفعنا إلى الحياة فوق العادية.

هذا التمكين يظهر في البداية وقبل كل شيء في أننا نلنا شخصية يسوع ذاته، ويعلن الكتاب المقدس أن الله قد خلقنا من جديد لنكون "**مشابهين صورة ابنه** [**ونشترك في صفاته داخلياً**] **ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين**". (**رومية** ٨: ٢٩). لقد وُلِدنا ثانية على صورة يسوع المسيح وشبهه في إنساننا الباطن. ولهذا السبب فهو يُسمى البكر بين إخوة وأخوات كثيرين.

مؤخراً، قضيت عدة أيام في الصوم والصلاة في جبال "كولورادو". سمح لي بعض الأصدقاء أن أمكث في بيتهم، الذي كان في منطقة خالية تماماً. كان كل ما يحيط بي هو الحياة البرية والجمال.

وأثناء فترة الصوم هذه ظللت أسمع في روحي صوتاً يقول لي: "انظر رومية ٦". ويؤسفني أن أقول أنني احتجت إلى تكرار نفس الكلمات في قلبي عدة مرات قبل أن أجلس أخيراً وأقرأه. وبمجرد أن فعلت ذلك، قفز هذا الجزء الكتابي أمامي:

"فإن الخطية لن تسود كم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة". (رومية٦: ١٤)

لماذا لا يجب أن تسودنا الخطية؟ لأننا لم نعد نمتلك طبيعة الخطية التي تعيش تحت القيود فقط، بل لقد دخلنا إلى تمكين الله، وامتلكنا طبيعة يسوع نفسه.

لقد تحررنا من قوة الخطية! اقرأ الجزء السابق مرة أخرى؛ لأنها أخبار مذهلة! تقول ترجمة الرسالة: "الخطية لا تستطيع أن تخبركم كيف يجب أن تعيشوا". إن كلمة الله التي هي الحق تقول إن النميمة والتشهير والكذب لن تسودك فيما بعد. الزنا، العلاقات الجنسية خارج الزواج، الشذوذ الجنسي، الصور الإباحية، أو أي دنس لا يمكن أن يسودك. الكراهية والمرارة وعدم الغفران والتحامل والحسد لم تعد تتسلط عليك. الغضب الخارج عن السيطرة والثورة العارمة لم يعد لهما السيادة عليك. عصيان السلطة والعناد وعدم الخضوع فقدت سيطرتها عليك، وغيرها الكثير. ليس عليك أن تخضع لهذه الخطايا بعد الآن لأنك الآن تحت تمكين النعمة!

انظر إلى الأمر على أنه يشبه كونك سجيناً بطبيعتك لبعض هذه الأشياء، إن لم يكن كلها، وغير قادر على أن تعيش حياة التقوى. ثم أتى يسوع وفتح أبواب السجن، وأخذ مفاتيح سيادة قوة الخطية، ويمكنك الآن أن تخرج من السجن. لم تعد عبداً للخطية. أنت حر وابن لله!

لماذا لازال البعض يصارعون؟

لماذا إذاً لازال بعض المؤمنين يصارعون مع بعض مناطق الخطية، بل ويقعون تحت سيطرتها أيضاً؟ لماذا ليسوا أحراراً؟ وسوف أجيب على هذين السؤالين المهمين أثناء تقدمنا معاً في هذا الكتاب. لكن في البداية، دعونا ننظر إلى ما يعلنه (رومية ٦):

"ماذا نقول؟ أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟ حاشا! نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟ أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته؟"

(رومية ٦: ١ ـ ٣)

عندما تقرأ كلمة "اعتمدنا" لا تفكر في معمودية الماء فقط، فكلمة "يعمِّد" تأتي من الأصل اليوناني baptize. ويأتي تعريفها على أنها "الغمر، التغطيس، أو الانغماس". في أغلب الأحوال تستخدم هذه الكلمة للإشارة إلى المعمودية بالماء. لكن هناك مواضع أخرى تستخدم فيها لتمثل الانغماس في شيء آخر. وهذا نراه واضحاً في العبرانيين، حيث يناقش الكاتب "تعليم المعموديات" (عبرانيين ٦: ٢). غالباً كانت هناك أكثر من معمودية واحدة (أو انغماس). على سبيل المثال، هناك معمودية الروح القدس (انظر لوقا ٣: ١٦)، والمعمودية إلى جسد المسيح (انظر ١كورنثوس ١٢: ١٣)، ومعمودية الألم. قال يسوع ليعقوب ويوحنا: "أتستطيعان ... أن تصطبغا (تعتمدا) بالصبغة التي أصطبغ بها أنا؟" ولم يكن يشير هنا إلى معمودية الماء، التي أكملها بالفعل، بل إلى معمودية (انغماس) تقديم حياته لأجل الملكوت.

والآن بعد أن عرفت أن المعمودية لها أكثر من معنى، أعد قراءة الأجزاء الكتابية السابقة، واستبدل كلمة "اعتمدتم" بكلمة "انغمستم". لقد أصبحنا واحداً مع المسيح يسوع بأن انغمسنا فيه. يصف يسوع هذا التوحد بالقول: "**أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكمّلين إلى واحد**". (يوحنا ١٧: ٢٣). أنت ويسوع لستما بعد اثنين بل واحد، كما أنك لا يمكنك أن تفصل الكرمة عن أغصانها، هكذا لا يمكنك أن تفصلنا عن وحدتنا مع المسيح. نحن الآن أموات للخطية لأننا في المسيح، ونمتلك طبيعته. استمر في القراءة:

"**فدُفنّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّةِ الحياة** (الحياة الجديدة)". (رومية ٦: ٤).

لنا القدرة على أن نعيش حياة جديدة! الترجمة المنقحة للكتاب المقدس تقول: "حتى نعيش ونسلك نحن أيضاً [دائماً] في جدة الحياة". فكر في الأمر بهذه الطريقة: بمجرد أن سلمت حياتك ليسوع، مت روحياً معه، ودُفنت معه، وكما قام هو من الأموات بقوة الله، قامت هذه القوة ذاتها بضخ طبيعة يسوع المقامة بداخلك.

كل هذا تم بفعل قوة الله المعجزية! يصعب عليك أن تفهم هذا بعقلك البشري، تماماً كما يصعب فهم كيف يكون الرجل والمرأة جسداً واحداً عند الزواج. إنه سر غامض بالنسبة لفهمنا البشري. ولكنه مع ذلك حقيقة؛ فقد انغمست حرفياً "في

المسيح". لم تعد لك طبيعة الخطية، بل طبيعته هو، ولهذا يمكننا أن نعيش في الحياة الجديدة. استمع إلى هذه الكلمات السعيدة:

"عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية. لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية". (رومية ٦: ٦ ـ ٧)

لقد تبرأنا من قوة الخطية! لم تعد تمسك بنا. لم تعد لنا طبيعة الخطية، بل لنا طبيعة إلهية! (أنا أكرر هذه العبارة كثيراً عن عمد حتى تصبح أكثر من مجرد فكرة وتتثبت في ضميرك.) لقد فقدت الخطية سلطانها على حياتنا!

"كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا. إذاً لا تملكنّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته. ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم للّه كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر للّه. فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة". (رومية ٦: ١١ ـ ١٤)

لم تعد الخطية هي سيدنا، لأننا أُعطينا حياة جديدة! لقد فتح يسوع أبواب السجن، أصبحنا أحراراً أن نعيش في حياته غير العادية لأن نعمته مكنتنا بطبيعته.

هل ترى قدرة النعمة؟

الاختيار لازال بين أيدينا

قبل أن نكون في المسيح، كنا عبيداً للخطية ولم يكن لنا سلطان عليها. الآن أصبح لنا السلطان. يمكننا أن نختار إما أن نخضع للخطية أو أن نسلك في النعمة متحررين من الخطية. ولهذا السبب، فمن غير المقبول بالنسبة للمسيحي أن يخطىء، في حين أن هذا مقبول من الشخص الذي لم يأخذ المسيح يسوع رباً له. المؤمنون لهم سلطان على الخطية لأنهم يمتلكون طبيعة يسوع، أما الشخص غير المخلّص فهو يعمل فقط بدافع طبيعته الخاطئة. ولهذا السبب يقول الله للمؤمنين من خلال الرسول بولس:

"فماذا إذاً؟ أنخطئ لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة؟ حاشا! ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيدا للطاعة أنتم عبيد للذي تطيعونه: إما للخطية للموت أو للطاعة للبر". (رومية ٦: ١٥ ـ ١٦)

لم يحررنا الله من الخطية حتى نستمر في الخطأ ثم ننال الغفران، بدون التوبة

عن عواقب الخطية. كلا، وألف كلا! لقد حررك الله من الخطية حتى يمكنك أن تكون حراً منها بالحقيقة، حتى يمكنك أن تسلك في القداسة الحقيقية، مثلما فعل يسوع.

إن هدف المؤمن الحقيقي ليس هو أن يخطئ. لكن إن أخطأنا (لاحظ أنني قلت "إن أخطأنا" وليس "عندما نخطئ") فالغفران لازال موجوداً في نعمته. يقول يوحنا: "**يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار**". (١ يوحنا ٢: ١). هل لاحظت كلماته: "لكي لا تخطئوا"؟ ما الذي يمكن أن يقال أكثر من هذا لتوضيح الأمر؟

قبل أن تولد ثانية، كان يمكن أن يكون هدفك هو ألا تخطئ، لكن هذا كان مستحيلاً لأن الخطية تحدد شخصيتك، أما الآن فلك الإمكانية أن تحيا بدون الخطية لأن لك شخصية الله وطبيعته. لكن إذا اخترت أن تمارس الخطية، فسوف تحصد تبعات فقدان حريتك. استمع مرة أخرى إلى ما يقوله بولس الرسول للمؤمنين:

"**ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة أنتم عبيد للذي تطيعونه: إما للخطية للموت أو للطاعة للبر. فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها. وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر**". (رومية ٦: ١٦ ـ ١٨)

إن النعمة تمنحنا القدرة على أن نرضي الله، ونعيش حياة فوق العادة! لكن إذا اخترنا ألا نسلك في الطبيعة الجديدة وخضعنا باستمرار للخطية، فنحن بذلك نتخلى عن حريتنا ونصير مسبيين مرة أخرى، وهكذا نكون قد قبلنا نعمة الله باطلاً. طلب بولس قائلاً: "**فإذ نحن عاملون معه نطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً**". (٢ كورنثوس ٦: ١). قبول شيء باطلاً يعني عدم استخدام إمكانياته الكاملة. إذا كانت النعمة مجرد ساتر، فما يقوله بولس هنا ليس له أي معنى على الإطلاق. لكن عندما نفهم النعمة على حقيقتها – أنها تمكين الله غير المستحق، الذي يعطينا القدرة على أن نفعل ما يطلبه الحق منا – عندها يمكننا أن نفهم كيف يمكن للنعمة ألا تنتج أي نتائج أو ثمار عندما تُقبل باطلاً.

مرة أخرى، هذا ما يقوله بولس لأهل رومية: "**ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة أنتم عبيد للذي تطيعونه: إما للخطية للموت أو للطاعة للبر**". (رومية ٦: ١٦). هذه

الكلمات قوية جداً بالنسبة للمؤمنين؛ فقد عبر بولس عن المعنى بأقوى الكلمات. وانظر إلى ما يقوله بعد ذلك بقليل في نفس الرسالة:

"**فإذاً أيها الإخوة ... إن عشتم حسب الجسد فستموتون**". (**رومية** ٨: ١٢ ـ ١٣)

هنا أيضاً ليس هناك شك في أنه يخاطب المؤمنين (انظر كلمة "الإخوة"). ما الذي كان بولس يقصده إذاً بعبارة "فستموتون"؟ سوف أشرح هذا الأمر لاحقاً، لكن الآن ليتنا نعي أنه طبقاً لما قرأناه للتو، يمكننا أن نسقط في عبودية الخطية. من الذي يمكن أن يريد هذا؟

التوبة

عند هذه النقطة قد يكون الخوف قد تملكك، وتقول لنفسك: "ياه، لكنني فعلت هذا! لقد أخطأت مراراً!" فكر في الأخبار المفرحة التي شاركتك بها من قبل في هذا الفصل. "**إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم**". (**١ يوحنا** ١: ٩). الاعتراف بالخطايا لا يعني مجرد النطق من القلب بكلمات مثل: "لقد أخطأت. أنا آسف. أرجوك سامحني". كلا، فإذا درست الكتاب المقدس سوف تدرك أن هناك مفتاحاً آخر وهو التوبة.

والتوبة في العهد الجديد تختلف عنها في العهد القديم؛ فقد كان الناس في العهد القديم يرتدون مسوحاً ورماداً لكي يظهروا صدقهم. كان هذا أيضاً شكلاً خارجياً من إذلال أنفسهم بسبب قساوة قلوبهم. لكن توبة العهد القديم تتعلق بالحق وتمثل تغييراً كاملاً للفكر أو القلب. إنها تعني أن نكون آسفين بشدة أننا جرحنا قلب الله ونتعهد بطاعة رغباته في ذلك الجانب الذي أخطأنا فيه.

اضطر بولس أن يوبخ بشدة مؤمني كورنثوس، وبهذا سبَّب لهم حزناً عميقاً. وإليك ما كتبه عن الأشياء التي قالها لهم في رسالة سابقة:

"**الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم بل لأنكم حزنتم للتوبة**". (**٢ كورنثوس** ٧: ٩)

كان بولس قوياً جداً ولم يسمح لهم أن يتمادوا في الخطأ بدون تقويم. لكن لاحظ أن ندمهم العميق جعلهم يغيّرون طرقهم. كانت هذه توبة حقيقية، أي تغييراً قلبياً وعزماً على عدم الاستمرار في رغبات جسدهم بل في طبيعتهم الجديدة التي هي طبيعة يسوع المسيح. والآن استمع إلى ما يقوله بولس أيضاً لهؤلاء المؤمنين:

"لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله ... لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة. وأما حزن العالم فينشئ موتاً". (٢ كورنثوس ٧: ٩ ـ ١٠)

لاحظ أن بولس يقول إن حزن العالم الذي هو حزن بدون توبة "فينشئ موتاً". وهو يستخدم مرة أخرى كلمة "موت" في التعامل مع المؤمنين الذين لم يتبعوا طبيعتهم الداخلية بل استسلموا لجسدهم.

ويبين بولس أنه بعد الاعتراف الحقيقي بالخطية، يكون المكوِّن الرئيسي الثاني للمؤمن الذي يريد الحرية بعد الرجوع إلى عبودية الخطية هو التوبة، أي التغيير الحقيقي.

وربما تفكر في نفسك أنه إذا كان بولس يخاطب مؤمنين، فلماذا يقول: "لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة"؟ كلمة خلاص هنا لا تعني "الولادة الثانية". فالكلمة اليونانية المستخدمة هي soteria وهي تعني: "الإنقاذ، التحرير، الأمن، الصحة". دعونا نركز على فكرة "التحرير" والتي توضح أن بولس لم يكن يكتب لهؤلاء المؤمنين لكي يخبرهم أنهم سوف يحصلون على تذكرة سفر جديدة للسماء؛ فقد أخبرهم أن حزنهم العميق الذي بحسب الله قد أدى إلى توبة صادقة (تغيير للقلب والفكر)، حررهم من عبودية الخطية.
إن تحرير المؤمن من قبضة الخطية يستلزم الاعتراف والتوبة.

الرحمة في مقابل النعمة

يؤكد كاتب سفر الأمثال على أن:
"من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقرّبها ويتركها يُرحم". (أمثال ٢٨: ١٣)

وهكذا نرى مرة أخرى أن الاعتراف وحده لا يجلب النجاح والحرية، بل الاعتراف المصحوب بترك الخطية (التوبة الصادقة).

لاحظ أن الكلمة المستخدمة هنا هي الرحمة وليست النعمة. والاختلاف في المعنى بين الاثنين يمكن شرحه ببساطة:

النعمة هي أن ننال ما لا نستحقه.
الرحمة هي ألا ننال ما نستحقه.

تستعلن الرحمة عندما لا يُطبَّق علينا العدل الواجب على خطيتنا. لكن النعمة هي القوة المعطاة لنا والتي لا نستحقها، وتحررنا من طغيان الخطية.

يوجد مثال جيد على هذا في الأناجيل، وهي المرأة التي أُمسكَت في فعل الزنا. قام رجال الدين الغيورون بجرها إلى يسوع، في ميدان الهيكل المفتوح، حتى يمكنهم أن يحرجوه على الملأ. قال الناموس إنها يجب أن تُرجم، وكانوا يعرفون أنه يعلم عن الغفران وكانوا يريدون أن يُظهِروا قصوراً في تعاليمه.

قال يسوع: "**من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر**". (يوحنا٨: ٧). كم أتمنى لو كنت هناك لأرى هؤلاء القادة وهم يبدأون في الانسحاب بهدوء، واحداً تلو الآخر، مبتدئين من الشيوخ، إلى أن أصبح يسوع وحده مع المرأة.

سألها يسوع: "**أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟**"

فأجابت: "**لا أحد يا سيد**".

لماذا نادته "يا سيد"؟ أنا شخصياً أعتقد أنه عندما وقف يسوع أمامها ورأت عيني الله خالقها معلنة في الجسد، تأثر قلبها كثيراً وآمنت به.

فقال يسوع: "**ولا أنا أدينك**". (يوحنا٨: ١٠ ـ ١١).

بما أن يسوع كان بلا خطية، فقد كانت له القدرة على أن يدينها وكان بوسعه أن يطبق عليها العدل من خلال رجمها هناك. لكن الرحمة انتصرت: "**ولا أنا أدينك**".

ثم قال لها يسوع: "**اذهبي ولا تخطئي أيضاً**". (ع ١١). هذه الكلمات الأخيرة كانت توصل نعمته، فقد منحها الآن تمكين النعمة. لأننا نقرأ: "**لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله**". (لوقا١: ٣٧) وقد وردت في إحدى الترجمات بمعنى: "لأنه لا توجد كلمة من الله بدون قوة أو يستحيل إتمامها". كانت كلماته: "**اذهبي ولا تخطئي أيضاً**" تحمل القوة اللازمة لإتمامها؛ فقد منحتها كلماته القدرة على تنفيذ وصيته، النعمة أعطتها ما لم تكن تستحقه.

أقول مرة أخرى إن النعمة هي أن ننال ما لا نستحقه، بينما الرحمة تشتمل على ألا ننال ما نستحقه. كثيرون من المسيحيين المؤمنين خلطوا الكلمتين معاً وأسندوا نفس المعنى للاثنتين. فهل أنا أبالغ في التدقيق هنا أم أن هذا مجرد استعراض

لعلم دلالات الألفاظ؟ كلا على الإطلاق، فكر في الأمر بهذه الطريقة: افترض أنك تلعب كرة القدم وكرة السلة بقواعد كرة القدم. سوف تسير لعبة كرة القدم حسناً، لكن في كرة السلة سوف تفقد تميز اللعبة بالإضافة إلى التسبب في إصابات عديدة. لقد فقدنا قوة هوية النعمة لأن الكثيرين ربطوها بالرحمة، **كما تسببنا في إصابات عديدة عن طريق لعب النعمة بقواعد الرحمة.**

ولهذا السبب، كثيراً ما يبدأ كُتّاب العهد الجديد كتاباتهم بعبارة: **"نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا..."** (**انظر** ١ **تيموثاوس**١ : ٢ ، ٢ **تيموثاوس**١ : ٢، **تيطس**١ :٤، ٢ **يوحنا** ١ : ٣).

هؤلاء الكتاب وغيرهم يفرقون بين النعمة والرحمة حتى لا يضيع الحق الخاص بأي منهما، هكذا يمكن أن نعيش حياة قوية وخالية من الدينونة؛ فالنعمة تعطينا القوة أن نحيا، والرحمة تحفظنا بدون الذنب والدينونة والخزي التي تحاول كلها أن تجرنا ثانية لقبضة الخطية.

دعونا نؤكد على هذا كتابياً. ففيما يختص بالرحمة، يقول يسوع: **"فلو علمتم ما هو 'إني أريد رحمة لا ذبيحة' لَمَا حكمتم على الأبرياء"**. (**متى** ١٢ : ٧). يمكنك أن ترى أن الرحمة تحررنا من الحكم والدينونة وتحفظ ضمائرنا خالية من الدينونة التي نستحقها. يقول لنا الكتاب المقدس: **"إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع"** (**رومية** ٨: ١). يا للرحمة المذهلة التي أظهرها الله لنا! ومن الناحية الأخرى نرى أن النعمة أمر مختلف:

"فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه". (**عبرانيين**٤: ١٦).

الرحمة تُعطى لأجِل إخفاقاتنا، أي الخطايا التي تبنا عنها. لكن النعمة تُعطى لكي تساعدنا، وتمكننا. يا له من خلاص عظيم ذلك الذي منحه الآب لنا – فهو كامل ولا ينقصه شيء!

تأملات لرحلة فوق العادة

صف بكلماتك الخاصة الفرق بين الرحمة والنعمة.

"إن تحرير المؤمن من قبضة الخطية يستلزم الاعتراف والتوبة معاً". هل هناك مناطق في حياتك تصارع فيها وتحتاج إلى الاعتراف الصادق وأيضاً الحزن العميق الذي بحسب الله وتغيير القلب الذي في التوبة؟

الفصل التاسع
القداسة

نعمة الله هي التي تغفر لنا خطايانا كلها، وتخلصنا من الموت الأبدي، وتمنحنا ميراثاً في السماء، وتجعلنا واحداً مع المسيح، وتعطينا طبيعته الإلهية، وتمنحنا روحه، وتباركنا بكل بركة روحية:

" مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح ... لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب". (**أفسس** ١: ٣، ٦).

كل بركة هي نتيجة إحسانه غير المستحَق – مجد نعمته. فإن خلاصنا كامل بالتمام! لم يترك الله شيئاً ناقصاً.

واضح تماماً أن النعمة هي عطية الله غير المستحَقة، التي تنبع من محبته وإحسانه الفائقين. يمكن أن تكتب مجلدات عن هذا، لكن هذا الكتاب يركز على تمكين النعمة. دعونا نواصل لكي نتعلم المزيد.

القداسة مهمة

إحدى ثمار النعمة هي القداسة، التي لا نتحدث عنها كثيراً في كنائسنا في هذه الأيام. وأعتقد أن هناك سببين لهذا: أولاً، أنا ألوم الوعاظ ذوي الروح الوضيعة أو الناموسيين الذين أساءوا لكثيرين ممن أرادوا حقاً أن يرضوا الله. هؤلاء الغيورون قلصوا القداسة إلى أسلوب حياة متخلف وانتزعوا الفرح من الحياة، وهذا بالطبع أبعد ما يكون عن قلب الله. لكن شكراً لله أن هناك عدداً ليس بقليل تحرروا من هذا الطغيان، لكن ليس بدون عواقب. إن إحدى النتائج الأكثر تدميراً هي أنهم الآن يستاءون من مجرد سماع كلمة القداسة.

المثل الشعبي القائل "من لدغته الحية يخاف الحبل" يوضح أنه بمجرد أن يلدغ الناس من شيء ما، سوف يخافون من أي شيء يشابه الشيء الذي لدغهم. يا له من أمر مؤسف! لكن هذا ما حدث بالتمام مع الكثيرين الذين لُدغوا من "القداسة" الناموسية؛ فهم الآن يخشون القداسة الحقيقية، التي هي نافعة لدرجة كبيرة.

ثانياً: على جانب مختلف تماماً، تستلزم القداسة الحقيقية مجهوداً من جانبنا، وهو أمر لا يريده الكثيرون. وبما أننا لابد أن نتعاون مع الله لكي ننتج ثمرة القداسة في حياتنا، فالكثير من الخدام إما عن قصد أو عن غير قصد يتجنبون الوعظ عن هذا، حتى يتجنبوا فقدان جاذبية الإنجيل. كثيرون من الغربيين يفضلون الإنجيل السهل الذي لا يتطلب أي عمل على الإنجيل الحقيقي. لنواجه الأمر: الحياة التي تشابه المسيح ليست نزهة نقضيها بلا مبالاة؛ فبولس يقول إننا **"بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل الملكوت"**. (أعمال ١٤: ٢٢)

القداسة الحقيقية موضوع في غاية الأهمية والجاذبية. لن يأتي يسوع ثانية إلى كنيسة عالمية ملوثة، بل إلى كنيسة "لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك". بل ستكون الكنيسة **"مقدسة وبلا عيب"** (أفسس ٥: ٢٧). فإذا كان يسوع سيأتي إلى كنيسة مقدسة، فأنا أريد بالتأكيد أن أعرف كل شيء عن القداسة.

كما يقول لنا الكتاب المقدس أيضاً إنه بدون القداسة لن يرى أحد الرب (انظر عبرانيين ١٢: ١٤). لماذا يعد هذا في غاية الأهمية، ليس في الحياة الآتية فقط، بل في هذه الحياة أيضاً؟ أحد المواعيد المفضلة لدي في الكتاب المقدس هي أن الله يقول إن من يغلبون **"سينظرون وجهه"** (انظر رؤيا ٢٢: ٤ ـ ٥). يا له من أمر رائع! سوف يكون لنا امتياز أن نعاين عرش الله، الأمر الذي لم يُمنح حتى لموسى.

وفيما يتعلق بهذه الحياة، فنحن نتغير إلى صورة يسوع المسيح من مجد إلى مجد بينما نعاينه أو ننظره (انظر ٢كورنثوس ٣: ١٨). إذا لم نكن نراه في قلوبنا الآن، لن يمكننا أن نتغير إلى صورته، وسوف نكون في الأساس مجرد متدينين نزداد في المعرفة. إن الحصول على المعرفة الفارغة من التغيير يعد أمراً خطيراً، ولا أريد أن أشارك فيه.

الطهارة الجنسية

استمع إلى وصية بولس القوية:

"فمن ثم أيها الإخوة نسألكم ونطلب إليكم في الرب يسوع أنكم كما تسلمتم منا كيف يجب أن تسلكوا وترضوا الله تزدادون أكثر. لأنكم تعلمون أيّة وصايا أعطيناكم بالرب يسوع. لأن هذه هي إرادة الله قداستكم. أن تمتنعوا عن الزِّنَا". (١تس ٤: ١ ـ ٣)

من الأمور التي ترضي الله أن نعيش بالقداسة، خاصة في النواحي الجنسية؛ فهذه هي المنطقة التي تظهر بشدة خارجياً إذا كانت هناك مشكلة أعمق داخلياً. فإذا أمكنك أن تنظر إلى قلب أحد المسيحيين الذين يقولون إنهم مؤمنون، بينما هم مستعبدون للدعارة أو الزنا أو الشذوذ الجنسي أو الصور الإباحية أو غيرها من صور الفسوق الجنسي، غالباً ستجد مشكلة أعمق. قد تكون هي الكبرياء أو التمرد أو الشهوة للسلطة أو المرارة أو الحسد أو أي إثم آخر. لكن أياً كانت هذه المشكلة، فإن جذورها دائماً هي نقص المخافة الحقيقية للرب.

ومع أن الطهارة الجنسية ليست هي التعريف الكامل للقداسة، إلا أن الفسوق الجنسي يشير بكل تأكيد إلى نقص القداسة. ولهذا السبب يقول بولس إننا يجب أن نزداد أكثر في الطهارة الجنسية. يجب أن نهرب من كل صور الفسوق الجنسي ولا نقترب حتى من التعامل معها. في الحقيقة، يعد هذا الفسوق خطيراً للغاية لدرجة أن بولس يكتب إلى أهل رومية قائلاً: **"مملوئين من كل إثم وزنا... الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط بل أيضاً يسرّون بالذين يعملون"**. (**رومية** ١: ٢٩، ٣٢). هذا التحذير القوي لا يخص فقط الذين يشتركون في سلوك الزنا، بل أيضاً من يوافقون عليه ويسرون به!

يجب على القادة أن يتذكروا هذا عند صنع القرارات، ووضع القوانين المدنية، أو أية خطوط عريضة أخرى لمن هم تحت قيادتهم. إن الموافقة على سلوك الزنا أو التغاضي عنه أو تجاهله يعتبر إساءة خطيرة لله (انظر **١صموئيل٣**، **١كورنثوس٥**). ومن الناحية الأخرى، يجب على القادة أن يكونوا مسرعين في مسامحة من يتوبون توبة صادقة عن الزنا ويتعاملوا معهم بالصبر ويردوهم.

عندما يناقض المؤمن طبيعة المسيح المعطاة له ويصير عبداً للفسوق الجنسي فهو بذلك يرتكب تعدياً خطيراً على الله. يقول بولس المزيد عن هذا في رسالته إلى أهل تسالونيكي، وذلك من خلال ذكر ما سوف يفعله الله للمؤمنين الذين يمارسون الزنا:

> **"لأن هذه هي إرادة الله: قداستكم. أن تمتنعوا عن الزنا... أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا. لأن الله لم يدعُنا للنجاسة بل في القداسة. إذاً من يرذل لا يرذل إنساناً بل الله الذي أعطانا أيضاً روحه القدوس"**. (**١تسالونيكي** ٤: ٣، ٦ــ٨).

لماذا لا نؤكد على هذ االتحذير من فوق منابرنا؟ لي صديق يرعى كنيسة عظيمة ولدت أكثر من ٢٥٠ كنيسة على مستوى العالم. وأثناء فترة كتابة هذا الكتاب، تناولنا الغداء معاً وكنا نناقش كيف أن كنيسة اليوم قد حادت عن الطهارة الجنسية. وكان يشاركني بالعديد من حالات السلوكيات غير اللائقة التي تعامل معها هو وقادته، لكن كانت هناك قصة استوقفتني. عقدت زوجة الراعي مؤخراً مؤتمراً للسيدات في كنيستها وقامت خلاله بالتعليم عن العلاقة بين الزوج وزوجته، وبعد الخدمة جاءت إليها إحدى الزائرات وقالت بكل صدق: "صديقي لم يقم معي علاقة جنسية مؤخراً. وبعد أن سمعتك تتحدثين، أصبحت أعرف ما الخطأ الذي كنت أرتكبه في علاقتنا. سوف أجري التغييرات اللازمة وأنا متأكدة أنه سوف يرغب في أن يقيم معي علاقة جنسية مرة أخرى. أشكر الله على ما شاركتنا به!"

هذه المرأة "المسيحية" افترضت أن هذا التعليم ينطبق على علاقتها المحرمة مع صديقها، لم تكن مقتنعة أنها تعيش في الزنا لأن هذا بالنسبة لها كان سلوكاً اجتماعياً عادياً.

حدث هذا الأمر ذاته مع امرأة أخرى أعرفها في الخدمة. كانت تزور بيت إحدى السيدات التي كانت تواظب على حضور إحدى الكنائس الإنجيلية الكبرى في ولايتها. وعندما دخلت إلى غرفة النوم الرئيسية لديها، أرتها هذه السيدة دولاب ملابسها ودولاب صديقها أيضاً. وحدث حرج بينما تكشفت أكثر فأكثر تفاصيل ترتيبات حياتها، بل إنها ذكرت أيضاً كيف أنها تشتاق إلى النوم بجانب صديقها عندما يكون في رحلة عمل؛ فقد كانت تعتبره أمراً مقبولاً أن يعيشا معاً بدون زواج. كلاهما كانا يحضران هذه الكنيسة الإنجيلية الضخمة لعدة سنوات، ومع هذا لم يشعرا بالتبكيت على الزنا الذي يعيشان فيه. ترى ما هو التعليم الذي يقدم من على منبر تلك الكنيسة؟

وقد كانت هناك حالات عديدة لخدام يعيشون حياة الفسوق الجنسي، وغالباً ما كانت نجاستهم تؤثر على أكثر من أسرة واحدة. أما من كانوا يزنون معهم، أو يقيمون معهم علاقات شذوذ جنسي، فقد ابتعدوا عن الله أو فتروا روحياً نتيجة لذلك. ولهذا السبب يقول بولس في نفس الجزء الكتابي: "أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا". (١تسالونيكي ٤: ٦).

إننا نحيد عن قلب الله لأننا نتأثر كثيراً بمجتمعنا وبكثير من الطرق، أصبحت الكنيسة ثقافة تابعة، بدلاً من أن نكون ثقافة مضادة، وهو ما دعينا لكي نكون عليه. إن الأسلوب المنتشر لكرازة الإنجيل يركز فقط على الغفران وميراث السماء. لكن الإنجيل الكامل ينادي أيضاً بالتحرر من سيادة الخطية، ولهذا أصبحنا نتغير بسهولة إلى شكل هذا العالم، الذي أصبح فيه الرجل والمرأة اللذان يعيشان معاً، أو يقيمان علاقة جنسية خارج الزواج، أو علاقة مع نفس الجنس، ويطلقان ويتزوجان مرة أخرى لأسباب غير الزنا، أمراً شائعاً. ويزداد اعتياد المسيحيين على هذه الممارسات لأن الكنيسة لا تعلن ما حررنا يسوع منه.

كتب بولس تحذيراً صارماً لكنيسة كورنثوس، والتي تشابه في كثير من النواحي بعض كنيستنا الغربية. بعض أعضاء الكنيسة انخرطوا في الزنا، ولذا أراد بولس أن يصيب الهدف بقوة. فأخبرهم في البداية بالتشابه بين بني إسرائيل الذين كانوا يتبعون موسى، ومسيحيي العهد الجديد. وحذرهم قائلاً:

"لكن بأكثرهم لم يسرّ الله، لأنهم طرحوا في القفر. وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا، حتى لا نكون نحن مشتهين شروراً كما اشتهى أولئك. فلا تكونوا عبدة أوثان كما كان أناس منهم، كما هو مكتوب: «جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب». ولا نزنِ كما زنى أناس منهم، فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً. ولا نجرب المسيح كما جرب أيضاً أناس منهم، فأهلكتهم الحيّات. ولا تتذمروا كما تذمر أيضاً أناس منهم، فأهلكهم المهلك. فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً، وكتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور. إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط". (١ كورنثوس ١٠: ٥ ـ ١٢).

النقطة التي أريد أن أركز عليها من كلمات الوحي العميقة هذه هي عدم رضا الله بالزنا والفسوق الجنسي. مات ثلاثة وعشرون ألفاً في يوم واحد – هذا يعادل مدينة صغيرة. وهذه علامة إنذار حتى لا نكرر نحن نفس الخطأ؛ فإن النعمة التي تستر لا تعفينا من السقوط مثلهم. وبحسب ما قاله يسوع، فإن المتوقع هو أن نعيش مستوى أعلى من الحياة (راجع متى ٥). لماذا أبطلنا قوة النعمة الحقيقية عن طريق الانحراف إلى هذا النوع من السلوك؟ لم نمتلك الحق الذي يقول إن النعمة مكنتنا لا لكي نكون غير طاهرين في القلب أو الفكر أو الجسد. كل ما علينا أن نفعله هو أن نتعاون مع طبيعتنا الجديدة.

كتب قادة الرسل مجتمعين إلى كل المؤمنين عن الأمور الأربعة التي يجب

الامتناع عنها؛ ثلاثة من هذه الموضوعات الأربعة المعنية كانت محرَّمة بالفعل في ناموس موسى، لكنهم أضافوا موضوعاً آخر لم يكن واضحاً بنفس القدر في الفرق بين اليهود والأمم. ففي إحدى الرسائل قال الرسل: "**لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعماً تفعلون**". (أعمال ١٥: ٢٨ ـ ٢٩). أمر مذهل أنهم لم يذكروا السرقة أو الكذب أو القتل أو الشهوة أو أي شيء آخر من مثل هذه الأمور المذكورة أيضاً في الناموس. لكن ما ركزوا عليه كان هو الزنا.

كونوا قديسين نظير الله القدوس

والآن اقرأ بعناية كلمات بطرس، متذكراً أنه كان يتحدث إلى المؤمنين فقط، وليس إلى كل البشر:

> "**لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح. كأولاد الطاعة، لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم، بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة. لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس. وإن كنتم تدعون أباً الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد فسيروا زمان غربتكم بخوف**". (١ **بطرس** ١: ١٣ ـ ١٧).

استمع إلى هذه الكلمات: "نظير القدوس ... كونوا أنتم أيضاً قديسين". هنا أيضاً، لا نجد أن هذه العبارة تقول إنه يجدر بنا أن نكون قديسين. بل إنها أمر ووصية. يجب أن نكون قديسين، نظير الله القدوس. لا يوجد اختيار في هذا الأمر. وكما يقول بطرس، فسوف يحكم علينا أو ننال الأجرة بحسب هذه الوصية. مرة أخرى يقول لنا الكتاب المقدس، كما قال يسوع، إننا يجب أن نكون كاملين كما أن أبانا كامل.

دعونا ننظر إلى كلمة قديسين. إنها تأتي من الأصل اليوناني hagios. وبعض الكلمات المرادفة هي: المخصصون، المكرسون، المعيّنون، بالإضافة إلى الطاهرين والذين بلا لوم أخلاقياً. إن الصفات الجوهرية للقداسة هي الانفصال والتكريس والتخصيص لخدمة الله، والمشاركة في طهارته والامتناع عن دنس العالم.

في العهد القديم، كان على شعب الله أن ينفصلوا بشكل حرفي عن بقية الأمم. فلم يكن مسموحاً لليهود أن يصاحبوا أي شعوب أممية في أي مجال من مجالات

الحياة. لكن في العهد الجديد، نؤمن أننا يجب أن نفصل أنفسنا عن الشر بالرغم من أننا نعيش وسط الناس الذين ليست لهم علاقة مع الله ونتفاعل معهم. يجب أن نذهب إلى العالم كأنوار، لكن بدون أن نتلوث من العالم. يجب ألا نشاكل طرق هذا العالم، بل أن نتوافق مع المستوى الأعلى ؟ وإلا فلن نكون أنواراً بعد.

يقول الله: "**لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم**". (إشعياء٥٥:٨ـ٩). عندما يقول الله "كونوا قديسين لأني أنا قدوس" فهو في الحقيقة يقول: "أنا لا أفكر أو أتكلم أو أعيش مثلكم؛ لذلك ارتفعوا إلى المستوى الذي أحيا به". وبلغة أبسط يمكن أن يكون المعنى: "لماذا تريدون أن تتسكعوا في الحظيرة، وتعيشوا مثل الدجاج، في حين أنني دعوتكم لكي تحلقوا مثل النسور؟ لقد دعوتكم لحياة تفوق العادة!"

وهكذا فإن قداسته تشتمل على ما هو أكثر من الانفصال والطهارة. لو كانت القداسة تتعلق فقط بالطهارة، لكان الفريسيون سيصبحون قديسين لأنهم كانوا يعيشون حياة بلا لوم من الخارج، ومع ذلك فقد أدان يسوع طرقهم النابعة من البر الذاتي. لو كانت القداسة تتعلق فقط بالانفصال، لكان الخنافس الذين ظهروا في الستينيات في غاية القداسة. لكن القداسة ليست مجرد الطهارة، وليست مجرد الانفصال، ولا هي الطهارة والانفصال معاً. لكنها طهارة وانفصال متساميان، إنها دعوة إلى "حياة أسمى"، إنها دعوة إلى نطاق الحياة التي تفوق العادة! إنها تعني أن نحيا كما يحيا الله ، أن نتمثل بالله كأولاده الأحباء.

عندما نفكر مثل الله، ونتكلم مثل يسوع (أي نتكلم بما يقوله الآب)، ونتمثل بأسلوب حياة يسوع، لن نعيش مثل أهل العالم. لن تسوقنا رغبات وشهوات الجسد. سوف نكون مبدعين، ومبتكرين، وأنقياء في أخلاقياتنا، وباذلين لحياتنا في كل طرقنا. سوف نكون مؤثرين على العالم، بل وسوف يحسدنا العالم بسبب نجاحنا لأننا نفكر ونتصرف بمستوى أعلى.

من يعيشون لأجل السُكر والملذات الجنسية المنحرفة، والطمع، والشهوة، والمكانة الاجتماعية، والحسد، والانتقام، والكبرياء، وغيرها، هم يعيشون بمستوى منحط أرضي شيطاني – أي شخص يمكنه أن يحيا هكذا. فهم يعيشون بما يفوق

العادة من خلال نعمة الله. قد تجلب لهم خطيتهم متعة لحظية، لكن لن يمر وقت طويل حى تصبح مضرة ومدمرة، وتكون نتيجتها أو "شوكتها" هي الألم والموت.

السلوك بالقداسة الحقيقية هو اختبار التحرر والحرية على مستوى أعلى، إنه أمر صحي وسوف يؤثر إيجابياً على كل نواحي حياتنا.

لنطهر ذواتنا

كتب بولس إلى كنيسة كورنثوس قائلاً:

"فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح، مكملين القداسة في خوف الله". (٢ كورنثوس ٧: ١)

هل يعلمنا الكتاب المقدس أن نطهر أنفسنا من بعض الدنس؟ ما رأيك في ٩٥ بالمائة من الدنس؟ لا، بل يجب أن نطهر ذواتنا من كل الدنس، الذي يعني بمعيار الله كل عدم طهارة داخلياً وخارجياً. في الداخل هناك توجهات المرارة والحسد والغيرة والخصام وعدم غفران والطمع والشهوة وما شابهها. ومن الخارج هناك أعمال السرقة والكذب والنميمة والتشهير والزنا والاحتيال والسكر وإدمان المخدرات والتخريب والانتهاكات الجسدية وغيرها الكثير.

في أحد الأيام بينما كنت أقرأ هذه الآية، جعل الروح القدس هذه العبارة "لنطهر ذواتنا" تقفز من على صفحة الكتاب المقدس. صدمتني حقيقة أنه لا يقول: "الله سوف يطهركم" ولا "دم يسوع سوف يطهركم". بل يقول إننا يجب أن نطهر ذواتنا.

أرجو ألا تسيء فهمي، فدم يسوع يطهرنا حقاً من كل خطية. لكن هناك فرقاً هائلاً بين التبرير (الخلاص من الموت الأبدي) والتقديس (القداسة)؛ فقد نلنا التبرير في اللحظة التي فيها قبلنا يسوع المسيح رباً ومخلصاً لنا. في تلك اللحظة، ماتت ذاتنا القديمة، وأصبحنا كياناً مخلوقاً جديداً، وأصبحنا نمتلك داخلياً طبيعة يسوع. لقد أصبحنا مبررين على الفور في عيني الله، وزال كل عدم بر من روحنا، لم نفعل شيئاً حيال هذا؛ فلم نتعب لكي نستحقه، ولا أخذناه بناء على "صلاحنا"، بل أُعطي لنا مجاناً بنعمة الله.

لكن في اللحظة التي ولدنا فيها ثانية، بدأ عمل التقديس (القداسة). كان هذا

عندما بدأ ما حدث بداخلنا، في روحنا، في الظهور خارجياً، في سلوكنا. يقول بولس عن هذا الأمر: "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة". (فيلبي ٢: ١٢). ما لا يجب أن ننساه هو أن التقديس (القداسة) هو أيضاً عطية من نعمة الله. لكن في هذه المرة لنا دور في هذه العملية ويجب أن نعمل بالارتباط به. إن عطية نعمة الله تمدنا بالقوة لأن نطهر ذواتنا، ويجب أن نبذل نحن المجهود للتنظيف! استمع مرة أخرى إلى كلمات الكتاب المقدس:

"لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر (نعمة) به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى". (عبرانيين ١٢: ٢٨)

النعمة لا تبررنا فقط، لكنها أيضاً تمكِّننا من أن نخدم الله خدمة مرضية في تقوى؛ فنحن نطهر ذواتنا من كل دنس داخلياً وخارجياً، متممين قداستنا، بخوف الربِ. ولهذا فمع أن النعمة عطية مجانية، إلا أننا يجب أن نتعاون مع قوتها الممكنة لكي ننتج ثمرة القداسة في حياتنا. ولذا دعونا ننظر مرة أخرى إلى ما يقوله بولس لأهل كورنثوس قبل وصية "لنطهر ذواتنا" مباشرة:

"نطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً". (٢ كورنثوس ٦: ١)

كما قلت سابقاً، فإننا إذا نظرنا إلى النعمة على أنها "الساتر الأكبر" فلن نستطيع أبداً أن نفهم هذه الكلمات. كيف يمكنك أن تقبل باطلاً أو لا تستخدم إمكانيات نوعية النعمة الغافرة فقط التي يعلِّم بها الكثيرون؟ لكن عندما تفهم النعمة على حقيقتها ؟ على أنها تمكين الله غير المستحَق، والذي يمنحنا القدرة على أن نفعل ما يتطلبه منا الحق، وننتج ثمر القداسة – عندها يمكنك أن تفهم كيف يمكن أن نقبل النعمة باطلاً.

فكر مرة أخرى في قصة رجل الجزيرة، الذي جرفته المياه إلى جزيرة مهجورة. لقد شرح له المرسل بشكل كامل كيف تعمل البندقية وكيف يمكنها أن تخلصه، وكيف أن البندقية في النهاية سوف تنبه قبطان السفينة حتى يمكن إنقاذ رجل الجزيرة. كما قال لرجل الجزيرة أيضاً إن البندقية يمكنها أن تقتل أي حيوان، سواء للحصول على الطعام أو الحماية، بل وتسقط أيضاً بعض ثمار جوز الهند من على الأشجار. كما أراه أيضاً الكهف وقال له إنه يمكن أن يطلق النار على أحد الغزلان ويستخدم جلده لصنع حاجز على الباب للحماية من هجمات الدببة. ويمكن أن تكون جلود الدببة فراشاً مريحاً للغاية وغطاء دافئاً أثناء هذه الليالي الباردة.

ثم رحل المرسل إلى زمانه في أواخر القرن العشرين. وفي اليوم التالي، قرر هو ورئيسه أن يراقبا رجل الجزيرة من خلال آلة الزمن. ولدهشتهما، لم يلاحظا أي تغيير في أسلوب حياة رجل الجزيرة. فلم يطلق ولا رصاصة واحدة على غزال أو خنزير بري. لازال يحاول الحصول على الطعام من خلال لعبة الفخ أو الصيد بالحجارة أو الرماح المصنوعة من العصي، شعر رجل الجزيرة بالإحباط والتعاسة. ومن حيرة المرسل سأل رئيسه قائلا: "لماذا لا يستخدم البندقية؟"

تقدم الاثنان بآلة الزمن ليريا كيف حال رجل الجزيرة في اليوم السابع بعد رحيل المرسل. ولاحظا بحزن أنه لازال ينام على الصخرة غير المريحة، وكانت بجواره بعض الأحجار التي كومها لغرض الحماية من الدببة. أصبح رجل الجزيرة نحيفاً؛ إذ فقد الكثير من وزنه لأنه لم يأكل طيلة أسبوعين، وها هي أمطار باردة تسقط من السماء. وزاد قلق المرسل ورئيسه على رجل الجزيرة إذ كان يرتعش بشدة، ثم سمعاه وهو يلعن موقفه التعيس وحياته البائسة.

بعد ضبط آلة الزمن لتظهر حالته في اليوم الثالث عشر، تشجع المرسل ورئيسه عندما شاهدا رجل الجزيرة ماسكاً بالبندقية، ويطارد أحد الغزلان. وعلق الرئيس قائلاً: "أعتقد أنه أخيراً سوف يستخدمها!" لكنهما تراجعا في رعب عندما كان رجل الجزيرة يتجول، عن غير علم، بالقرب من بئر للدببة. كانت هناك دبة أم وصغيرها بالداخل، وعندما أصدر رجل الجزيرة صوتاً، أتت الأم الغاضبة مسرعة نحوه. شعر بالرعب، ولكن بدلاً من أن يصوب على الدبة، رفع بندقيته وصوب عدة طلقات نحو السماء على أمل أن يخيف هذه الدبة فيبعدها. عندما تجاهلت الدبة الأم الصوت المدوي واستمرت تجري نحوه، التقط رجل الجزيرة صخرة وضربها بها في وجهها. لم تتوقف، بل استمرت في مهمتها. أوقع رجل الجزيرة البندقية، وتحول، وهرب مذعوراً، وبعد بضع وثبات، لحقت به الدبة وافترسته حتى الموت.

كيف يتجاوب المرسل ورئيسه مع ما شهداه؟ لقد استثمرا الكثير من الوقت والموارد في هذا الرجل. قضى المرسل عدة أيام وهو يستعد لكي يوصل لرجل الجزيرة المعلومات والمعدات الصحيحة – وقد تكلف استخدام آلة الزمن ملايين الدولارات. كيف يمكن لرجل الجزيرة أن يقبل كل هذا باطلاً؟ كيف يمكنه أن يضيع مثل هذه العطية العظيمة؟ لقد كان تعب محبتهما وتضحيتهما باطلاً.

كان رد فعلهما الأولي تجاه اختيار رجل الجزيرة هو أولاً، الحزن العظيم على فقدان حياته. وتبع ذلك قدر كبير من الإحباط وخيبة الأمل. نظرا في عجز أحدهما للآخر وناحا قائلين: "لقد قدمنا الكثير. لكن كل هذا كان في مقابل لا شيء؛ فهو لم يستخدم ما كان يمكن أن ينقذ حياته، بل قبل عطيتنا باطلاً".

خلاصة القول هي أن رجل الجزيرة فشل في أن يقبل العطية الرائعة التي أُعطيت له مجاناً ويتعاون معها بصورة كاملة، لقد خاب عن الهدف.

يا له من ملخص حزين لحياة أي شخص – خاب عن الهدف! لكن بنعمة الله لا يجب أن تكون هذه العبارة الكئيبة وصفاً لحياة أي قديس، وفي الفصل التالي سوف نعرف لماذا.

تأملات لرحلة فوق العادة

حتى الآن، هل كان موقفك من جهة القداسة إيجابياً؟ لماذا أو لم لا؟

كيف تحب أن يكون ملخص حياتك؟

الفصل العاشر
إياك أن تخيب

الأخبار الرائعة هي أن الله قد أعطانا المصادر التي نحتاج إليها لكي نعيش حياة القداسة التي ترضيه! ليس علينا أن نسقط. تأمل في ما يقوله لنا كاتب العبرانيين:

"اتبعوا ... القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله".
(عبرانيين ١٢: ١٤ ـ ١٥)

النقطة الأساسية هنا واضحة: نحن نحتاج إلى نعمة الله لكي نسلك في القداسة الحقيقية. مرة أخرى قد نتساءل: "إذا كان ما تعلمناه، وهو أن النعمة تختص فقط بالغفران، صحيحاً، فما معنى "يخيب" في هذه الآية؟" الكلمة اليونانية هنا هي hustereo. ويعرفها فهرس "سترونج" على أنها "يكون ناقصاً، به عيب، يأتي متخلفاً عن، يكون محروماً من، يفشل". أما معجم "ثاير" فيتعمق أكثر عندما يقول إن معنى هذه الكلمة هو "أن يتخلف في السباق وبالتالي يفشل في الوصول إلى الهدف، أو يخيب عن الوصول إلى النهاية".

لقد تخلف رجل الجزيرة، وفشل في أن يصل إلى هدف الحرية التي قدمها له مجاناً رئيس المرسل. كان يمكنه بسهولة أن يبلغ الهدف، لكنه أضاع ما أُعطي له ولم يصل إلى خط النهاية. إن القداسة أمر حيوي بالنسبة لإكمال السعي حسناً. استمع إلى كلمات النبي إشعياء:

"وتكون هناك سكة وطريق يقال لها «الطريق المقدسة». لا يعبر فيها نجس، بل هي لهم. من سلك في الطريق حتى الجهال، لا يضل. لا يكون هناك أسد. وحش مفترس لا يصعد إليها. لا يوجد هناك. بل يسلك المفديون فيها. ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم، وفرح أبدي على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم. ويهرب الحزن والتنهد". (إشعياء ٣٥: ٨ ـ ١٠)

قبل أن أكمل الحديث، أريد أن أوضح قصوراً واحداً في القصة الرمزية لرجل الجزيرة. إذا حدثت القصة فعلياً في عالمنا، فحتى إذا استخدم رجل الجزيرة البندقية، فهناك احتمال أن تقتله الدبة. توجد عدة سيناريوهات محتملة: ربما تفاجئ الدبة رجل الجزيرة فلا يستطيع أن ينهض ويصوب بندقيته في الوقت

المناسب، أو ربما يصوب بندقيته لكنه لا يصيبها، أو ربما تجرح الرصاصة الدبة لكنها لا تقتلها، وفي ثورة الغضب تلتهم الدبة رجل الجزيرة.

لكن الله يقول إننا عندما نسلك بقوة نعمة الله، ونثمر ثمر القداسة، بفضله لن نُقهَر. يقول إشعياء إنه لن يستطيع وحش مفترس مثل أسد أو دب أن يقضي علينا! (وهذا يشمل عدونا الأكبر، إبليس، الذي هو "كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه" [١ بطرس ٥: ٨]). ولذا فنحن نختلف عن رجل الجزيرة؛ إذ ليس لدينا سبب يجعلنا نفشل عندما نثمر ثمر القداسة من خلال قوة نعمة الله – ليس بفضلنا نحن لكن بفضله هو. لكن هذا الوعد لا ينطبق على المؤمنين الذين لا يسلكون في القداسة الحقيقية. استمع إلى ما يقوله بطرس عن هذا الأمر:

"لأن الذي ليس عنده هذه [القداسة] هو أعمى قصير البصر، قد نسي تطهير خطاياه السالفة. لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين. لأنكم إذا فعلتم ذلك، لن تَزِلُّوا أبداً. لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح الأبدي". (٢ بطرس ١: ٩ ـ ١١)

يقول بطرس إننا لن نَزِلَّ أبداً. إننا لن نُقهَر، ليس بسبب قدراتنا الخاصة، بل بسبب القدرة التي تقدمها لنا النعمة. ولهذا ففي الأساس، تمنحنا النعمة القدرة على السير في الطريق المقدسة، والتي تضمن لنا وعد إكمال السعي، وهي تحفظنا من أن تنكسر بنا السفينة من جهة إيماننا أو أن نخيب منه.

كما يغطي بولس الجانب المضاد أيضاً؛ فمن لا يسلكون بقوة النعمة سوف يفشلون في تنمية فضائل القداسة. والنتيجة هي العمى ونسيان أن الله قد طهرهم من حياتهم القديمة في الخطية. هذا العمى يجعل البقاء على الطريق الضيق للقداسة أمراً صعباً للغاية، ويكاد يكون مستحيلاً. ويكون الأسهل هو محاولة الرجوع إلى أسلوب حياة العبودية للخطية (وغالباً سيظلون يؤمنون أن نعمة الله تغطيهم وتحميهم). يتأسف بطرس على هذه الاختيارات في موضع لاحق في رسالته قائلاً:

"لأنه إذا كانوا، بعدما هربوا من نجاسات العالم، بمعرفة الرب والمخلّص يسوع المسيح، يرتبكون أيضاً فيها، فينغلبون (يستعبدون مرة أخرى) فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل. لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من أنهم بعدما عرفوا، يرتدّون عن الوصية المقدسة

المسلمة لهم. قد أصابهم ما في المثل الصادق: «كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة»". (٢ بطرس ٢: ٢٠ ـ ٢٢)

ليتنا ننتبه إلى هذا؛ فهو يذكرني مرة أخرى بكلمات الرسول بولس إلى المؤمنين: "**ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة، أنتم عبيد للذي تطيعونه: إما للخطية للموت أو للطاعة للبر؟**" (**رومية ٦: ١٦**). عندما نتبع رغبات الخطية بإرادتنا ونستمر في ذلك، نصير مرتبكين فيها وننغلب منها مرة أخرى. فمن الممكن أن يحدث للمؤمن أيضاً، كما حدث لرجل الجزيرة. ولهذا السبب يحذرنا بولس قائلاً: "**فإذاً أيها الإخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون**". (**رومية ٨: ١٢ ـ ١٣**).

ربما تتساءل الآن كيف يمكن للرسول بولس أن يكتب إلى المؤمنين ويقول إنهم سوف يموتون. يعلمنا الرسول يوحنا بطريقة مشابهة قائلاً: "**إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت ،يطلب، فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت**". (**١ يوحنا ٥: ١٦**). ما نوع الموت الذي يتحدث عنه والذي يمكن أن يؤثر على أخ أو أخت مسيحيين مؤمنين؟ هل هو نفس الموت الذي يتحدث عنه الرسول بولس؟ هل هو نفس الموت الذي تم تحذير آدم منه؟ هل يتحدث فقط عن الموت الجسدي؟

يكتب الرسول يهوذا عمَّن حولوا نعمة الله إلى دعارة عندما استخدموها كساتر في ممارستهم لأسلوب الحياة غير الأخلاقي. ومع أنهم كانوا يحضرون الكنيسة بانتظام، إلا أن يهوذا أنذرهم قائلاً: "هؤلاء ... أشجار خريفية بلا ثمر ميتة مضاعفاً، مقتلعة". (**يهوذا ١: ١٢**). نجد هنا أناساً كانوا أحياء بالجسد، ويحضرون اجتماعات الكنيسة، لكنه لا يسميهم فقط أمواتاً، بل أمواتاً مضاعفاً. ما هو نوع الموت الذي يتحدث عنه؟

هناك الكثير من الجدل اللاهوتي حول معنى هذه الآية، لكنني أريد أن أسأل: "لماذا نتجادل بشأن هذا؟" فالمهم هو أنك لا تريد أن تجد نفسك ميتاً بأية طريقة؛ فنتائج الموت ليست جيدة أو واعدة بأي شكل من الأشكال. أقول بصراحة إنك لن تريد أن تكتشف معنى الموت بنفسك، وأقترح أن نبتعد بأقصى درجة ممكنة عن أن نكون أمواتاً ونثبت في نعمة الله حتى يمكن أن نعيش الحياة غير العادية.

أقول مرة أخرى إن الأخبار الرائعة هي أن الله قد أعطانا بالفعل نعمته. لقد نلنا طبيعة يسوع المسيح وتحررنا من سيادة الخطية! فلماذا يريد أي شخص قد تحرر من طغيان الخطية أن يرجع مرة أخرى إلى أسرها ويعبث بالموت؟

لذلك يا صديقي، لا تحارب لكي يكون لك الحق في الاستمرار في الخطية وتظل مع هذا تريد أن تصل للسماء. هذه هي الطريقة الخاطئة لرؤية الحياة، بل يجب أن تدرك أن الله قد أعطاك عطية رائعة، وهي الحرية! لم تعد مضطراً أن تخطئ. فما لم تستطع أن تحرر نفسك منه من قبل، أصبحت الآن حراً منه من خلال قدرة نعمة الله العجيبة!

النعمة تنجح حقاً

قبلت الرب يسوع المسيح سيداً لحياتي في عام ١٩٧٩ واختبرت حقيقة طبيعة يسوع الجديدة، وقد غيرت حياتي. وعلى الفور فقدت الرغبة في الكحوليات، وبالرغم من أنني كنت معتاداً على الحلفان، إلا أن لغتي أيضاً تطهرت. واختفت تدريجياً الطرق الخاطئة الأخرى، مع زيادة قراءتي وتأملي ونطقي بكلمة الله على حياتي.

لكن كان هناك جانب واحد من الخطية لم يختفِ بسهولة؛ فقد كنت أصارع مع الشهوة وكنت مدمناً للصور الإباحية. كنت إذا رأيتَ صوراً إباحية، أنغلب وأنجذب إليها. كنت أختبر فترات من الحرية، لكن كنت أعود إلى هذه الخطية بعد فترة، كانت للشهوة قبضة شديدة على نفسي.

في عام ١٩٨٥، قدم لي أحد الأشخاص منزله حتى أستطيع أن أقضي أوقاتاً مطولة في الصلاة. وبنهاية رابع يوم من الصوم، في ٦ مايو ١٩٨٥، وبعد معركة شرسة في الصلاة، تحررت من قبضة الصور الإباحية والشهوة. وشكراً لله أنني بفضل نعمته لازلت حراً حتى اليوم.

لكن، بمجرد أن تحررت من قبضة الصور الإباحية، كان عليّ أن أقاوم الرغبة في الاشتراك فيها. فقبل ٦ مايو بدا أنني كنت أقاوم بدون أن أنجح. لكن بعد ٦ مايو استطعت أن أقاوم، لكن كان علي أن أتعاون مع النعمة لكي أحارب الرغبة في أن أنظر إلى الصور الإباحية. صحيح أن قوتها قد انكسرت في حياتي بعد الصوم والصلاة المكثفة، لكن كان علي مع ذلك أن أقاوم جاذبيتها بثبات.

ومع الوقت، بينما واصلت الصلاة والسماح لكلمة الله أن تغمر ذهني، لاحظت في أحد الأيام أن رغباتي قد تغيرت. لم أعد مضطراً أن أبعد نفسي عن الصور الإباحية، بل أصبحت أستاء منها. فإذا ظهرت أمام عيني بشكل ما صورة جنسية، كنت أرى المرأة التي في تلك الصورة على أنها ابنة شخص ما. وكنت أحزن أن إنسانة كهذه مخلوقة على صورة الله قد تقلصت قيمتها إلى مجرد قطعة لحم. لقد غيرتني نعمة الله بالكامل من الداخل إلى الخارج. لقد تجددت في روح ذهني وأصبحت حراً بالحق. تغيرت حواسي بقوة نعمة الله. يصف كاتب الرسالة إلى العبرانيين هذه البركة قائلاً:

"لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة في كلام البر (التوافق مع مشيئة الله في القصد والفكر والفعل)، لأنه طفل [غير قادر على الكلام بعد]. وأما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر".

(عبرانيين ٥: ١٣ ـ ١٤)

لقد أدركت أن كلمة الله، التي كنت أقرأها باستمرار وأقتبسها وأتأمل فيها وأدرسها، قد جعلت حواسي وقدراتي الذهنية تتوافق مع رغبات الله وأفكاره. تذكر أن القداسة تعني أن تفكر وتتكلم وتعيش كما يفعل الله، إنها تعني الارتقاء إلى مستوى حياته هو.

ولهذا السبب ذاته، تشتعل في قلبي الرغبة في أن أكتب هذا الكتاب؛ لأن الكثيرين من أولاد الله يعيشون على اللبن، إذ لم يخبرهم أحد أن طبيعة الله الإلهية موضوعة فيهم. أسبوعاً بعد أسبوع يسمعون أنهم مجرد خطاة مغفورة خطاياهم وأننا كلنا لدينا ضعفات، لكننا بطريقة ما سوف نصل إلى خط نهاية الحياة. هذا الإنجيل المقبول اجتماعياً لن يمد حياتهم بالقوة؛ فحواسهم ومشاعرهم هي التي تتحكم في حياتهم، وليس إيمانهم.

يجب أن نتذكر أن الجسد يمكن تدريبه، لكنه يحب الأنماط المعتادة. ولهذا غالباً لا يحب الناس التغيير. لكن الجيد في الأمر هو أنه كما أن جسدنا يمكن أن يتدرب لعدم البر، هكذا يمكن أيضاً أن يتدرب للبر. ويدعم كاتب العبرانيين هذا إذ يقول: **"الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر"**. (**عبرانيين٥**: ١٤). يمكن أن تكون لنا السيادة على فكرنا وجسدنا من خلال قوة النعمة ونعيد تدريب قوتنا الذهنية وحواسنا بكلمة الله. فإن جسدنا يتجاوب مع ما يتغذى عليه.

فبالرغم من أن نعمة الله قد حررتني، إلا أنني يمكن أن أعود للنظر إلى الصور الإباحية. وإذا كررت هذا على مدار الزمن، بدون أية توبة قلبية حقيقية، يمكنني أن أقع في شرك الخطية مرة أخرى وأصبح مدمناً لها. وحالتي الأخيرة سوف تكون أسوأ من ذي قبل. لكنني لا أريد أن أفعل هذا بسبب محبتي ومخافتي لله.

إن نعمة الله أكثر من كافية! إنها عجيبة!

مقابلة مثيرة للدهشة

منذ عدة سنوات، بينما كنت أجري مقابلة إذاعية مع إحدى المحطات في مدينة جنوبية كبيرة، كنت أتحدث عن البر وتدريب الجسد. لم أقل شيئاً عن تحريري من الصور الإباحية، بل كنت أؤكد على أهمية القداسة الحقيقية في حياة المؤمن.

وبعد ثلاثين دقيقة تقريباً فتح المذيع خطوط التليفونات. كان المتصل الأول رجلاً غاضباً انفجر فيّ قائلاً: "كيف يمكنك أن تكون جاداً في ما تقوله؟ وماذا عن الشخص الذي يعاني من القيود أو الإدمان في حياته؟ هل تقول لي إنه يسير نحو الموت؟"

فأجبت قائلاً: "أنا لا أقول هذا يا سيدي، بل كلمة الله هي التي تقول". عندها سألته: "هل يمكنك أن توضح لي ما تريد أن تقوله قليلاً؟"

"أجل!" وكان لا يزال في غاية الغضب.

فقلت: "دعني أستوضح هذا الأمر. هل تقول إن هناك بعض الخطايا التي يمكن أن نتحرر منها بدم يسوع ونعمة الله، لكن هناك خطايا 'خاصة' أخرى قوية للغاية، وشديدة للغاية، لدرجة أن نعمة الله لا تستطيع أن تفعل معها شيئاً؟ هل هذا صحيح؟"

فصمت الرجل تماماً. وفجأة رأى حماقة جداله.

وأخيراً قطعت الصمت قائلاً: "سيدي، لقد كنت مقيداً بالشهوة، وقد حررتني نعمة الله في عام ١٩٨٥. لا يمكنك أن تقول لي إن هناك بعض حالات الإدمان أو القيود التي تعد أقوى من نعمة الله؛ لقد كنت مقيداً بالتمام، والآن أنا حر".

أزمنة صعبة

كتب الرسول بولس إلى تيموثاوس وتحدث عن الزمن الذي نعيشه الآن قائلاً: "في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة". (٢تيموثاوس ٣: ١) ونحن نعيش في هذه الأيام الأخيرة.

لا يوجد شك في هذا، لأن كل الآيات النبوية تبين أن يسوع سيأتي قريباً. تنبأ بولس عن أن أيامنا سوف تكون أصعب حقبة زمنية يمكن أن يعيش فيها المؤمن. لماذا؟

في زمن بولس، كان يواجه مقاومة شديدة؛ ففي خمس مرات مختلفة، تلقى جلدات وحشية بتسع وثلاثين جلدة على ظهره في كل مرة. ثلاث مرات انضرب بالعصي. ورجم مرة. وقضى سنوات في السجن. وفي كل مكان كان بولس يتوجه إليه كان يواجه اضطهاداً مريعاً. ومع هذا فقد كتب يقول إنه في أيامنا سيكون العيش بالإيمان المسيحي أصعب من هذا! وهذه هي الأسباب:

"لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم، محبين للمال، متعظمين، مستكبرين، مجدّفين، غير طائعين لوالديهم، غير شاكرين، دنسين، بلا حنو، بلا رضى، ثالبين، عديمي النزاهة، شرسين، غير محبين للصلاح، خائنين، مقتحمين، متصلفين، محبين للّذات دون محبة لله". (٢تيموثاوس ٣: ٢ ـ ٤).

بعد أن قرأت هذا ربما لازلت تتساءل لماذا اعتقد بولس أن أيامنا سوف تكون مختلفة عن أيامه؛ فقد كان الناس في مجتمعه لهم نفس الصفات – كانوا يحبون أنفسهم والمال، وكانوا دنسين، وغير مسامحين، وهكذا. قال بطرس في يوم الخمسين: **"اخلصوا من هذا الجيل الملتوي (المنحرف، الشرير، الظالم)".** (أعمال ٢: ٤٠). لماذا إذاً يشير بولس إلى جيلنا على أنه أصعب وقت في التاريخ يمكن أن يكون الإنسان فيه مسيحياً مؤمناً؟ في تعليقه التالي نجد السبب:

"لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوّتها". (٢تيموثاوس ٣: ٥)

هذا هو السبب إذاً. نحن نعيش في زمن (وهذا مدعم أيضاً بالكثير من الشواهد الأخرى من العهد الجديد) يوجد فيه كثيرون من الناس الذين يقولون بأفواههم إنهم مخلّصون بالنعمة ومولودون ثانية، لكنهم لا يتعاونون مع نعمة الله لكي ينتجوا صفات مشابهة للمسيح في حياتهم. فهم ينكرون قوة النعمة التي يمكنها أن تقدسهم، بينما يتمسكون بالاعتقاد أنهم مخلّصون بالنعمة. لازالوا يمتلكون حياتهم ويعيشون كما يحلو لهم، وليسوا خاضعين لسيادة الله. هؤلاء "المؤمنون" هم مصدر خطر، لأنهم من خلال أسلوب حياتهم يوصلون إنجيلاً زائفاً عن يسوع المسيح. ولهذا السبب يقول بولس: **"فاعرض عن هؤلاء".** (٢تيموثاوس ٣: ٥).

أؤمن أن أعظم معركة حاربها آباء الكنيسة الأولى كانت هي الناموسية. كثيرون كانوا يحاولون أن يعيدوا المؤمنين الجدد للحياة تحت الناموس بدلاً من الثقة في

نعمة الله لخلاصهم. واليوم، بعد أن قضيت أكثر من عشرين سنة في الخدمة، وصلت إلى استنتاج أن أكبر معاركنا الآن هي الذين بلا ناموس – الناس الذين في الكنيسة ويؤمنون أنهم يمكن أن يخلصوا ومع هذا يعيشون بدون اختلاف عن الناس الذين في العالم. إنهم ليسوا خاضعين لسلطان الله.

عندما تحدث يسوع عن الأيام الأخيرة، حذرنا قائلاً:

"ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص".

(متى ٢٤: ١٢ ـ ١٣)

بما أن الإثم كان كثيراً في أيام يسوع أيضاً، فأين الاختلاف في أيامنا هذه؟ الأمر الصادم هو أن يسوع عندما تحدث عن زماننا، لم يكن يتحدث عن المجتمع بوجه عام، بل عمّن يدّعون أنهم أتباعه. فهو يقول إنه في أيامنا سوف يكثر الإثم بين من يقولون إنهم مؤمنين. وإلا فما الذي يجعله ينهي عبارته بالقول: "ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص"؟ لن تقول لشخص غير مؤمن: "إذا أكملت السعي، سوف تخلص" لأنه لم يبدأه من الأساس. لكنك ستقول هذا للشخص الذي هو في الإيمان فعلياً، الذي بدأ السعي بالفعل.

خلاصة القول هي أن السلوك في القداسة الحقيقية أصبح الآن أهم مما كان عليه من قبل بسبب الطبيعة الخادعة للإثم الذي قال عنه يسوع إنه سيكثر في أيامنا. لكن الأخبار الرائعة المفرحة هي أن الله قد أعطانا القدرة من خلال نعمته أن نعيش حياة القداسة حتى وسط الفساد.

يجب أن نكون أنواراً في هذه الأيام المظلمة لسببين: أولاً لمصلحتنا نحن، وثانياً، لمصلحة الهالكين. كثيرون في هذا العالم يصرخون لكي يروا الله. ونحن عظم من عظامه ولحم من لحمه. ولهذا دعونا نتمثل بالله كأوده الأحباء حتى يمكن للعالم أن يرى نوره.

لدينا ما يلزم. لدينا النعمة. دعونا نسلك في قدرتها التي تفوق العادة!

تأملات لرحلة فوق العادة

هل هناك أية مجالات في حياتك تحتاج إلى التطهير؟ ما هي؟

لماذا تعد حياة القداسة مستحيلة بدون نعمة الله؟

الفصل الحادي عشر
الملكوت الذي بداخلنا

النعمة تمكِّننا من أن نخدم الله بطريقة مرضية له. أولاً وقبل كل شيء، هي تمكِّننا من أن نعيش في القداسة. صحيح أن القداسة الحقيقية تشتمل على الطهارة الجنسية، لكنها أكثر من ذلك بكثير. فلكي نكون قديسين كما أن الله قدوس، يجب أن نحيا مثل يسوع، ونسلك كما سلك هو على الأرض، مثمرين نفس الثمار. لقد أوضح يسوع ذلك قائلاً:

"ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم".
(يوحنا ١٥: ١٦)

ما هو الثمر الذي يدوم والذي يشير إليه يسوع؟ لقد كشف طبيعته أثناء حديثه وقت العشاء الأخير عندما قال:

"الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها". (يوحنا ١٤: ١٢)

أعظم منها؟ لم يقل يسوع "أنتم أيها الرسل الذين تؤمنون ..." بل قال بكل تحديد "من يؤمن ..." كان سيصعب عليّ تصديق هذه الكلمات لو أن شخصاً غير يسوع هو الذي قالها. لكن هذه العبارة المدهشة أتت من شفتيه مباشرة، وكلمته لا تخطئ! نحن الذين أصبحنا من عائلة الله، والذين صرنا واحداً معه، ونلنا طبيعته وروحه، لن نفعل فقط الأعمال المعجزية التي صنعها هو، بل أعظم منها! كيف يكون هذا ممكناً؟ أظن أنك أصبحت تعرف الإجابة الآن – من خلال نعمته.

النعمة تعطينا القدرة على أن نتخطى قدراتنا الطبيعية؛ فهي تأتي بنا إلى النطاق فوق العادي. استمع إلى كلمات الرسول بولس:

"والله قادر أن يزيدكم كل نعمة، لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء، تزدادون في كل عمل صالح". (٢ كورنثوس ٩: ٨)

في هذه الآية، كان بولس يتحدث بالتحديد عن الماليات والعطاء، لكن المبدأ ينطبق على كل مجالات الحياة أيضاً. هناك عدة كلمات مفتاحية نحتاج أن نلقي

عليها الضوء: أولاً، يقول بولس"يزيدكم كل نعمة" – وليس مقداراً قليلاً من النعمة، بل كل نعمة. كل بركة روحية هي لنا في المسيح يسوع (انظر أفسس ١: ٣). ولهذا يقول الروح القدس من خلال بولس "إذاً لا يفتخرنّ أحد بالناس. فإن كل شيء لكم ... وأما أنتم فللمسيح والمسيح لله". (١ كورنثوس ٣: ٢١ ، ٢٣).

ويكمل بولس بقوله لكي يكون لكم كل اكتفاء (اكتفاء تام وكامل) كل حين (وليس في بعض المواقف فقط) تزدادون في كل عمل صالح. أعلن يسوع أن كلاً منا سوف يعمل أعمالاً أعظم. ولهذا فإن النعمة الفائضة الممكنة سوف تعطينا اكتفاءً تاماً وكاملاً لتسديد كل احتياج قد نقابله، أياً كان نوعه! لا يوجد شيء لا يمكن إتمامه فيما يتعلق بإحضار إمداد السماء إلى الأرض، لأن النعمة قد سددت الكل.

الملكوت الذي بداخلنا

قال يسوع عبارة مهمة عندما كان يعلِّم تلاميذه كيفية الصلاة: "ليأتِ ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض". (لوقا ١١: ٢). كانت هذه صلاة مستقبلية بالنسبة للتلاميذ، ولكن ليس ليسوع. وهي ليست مستقبلية لنا أيضاً لأن هذه الصلاة تنطبق على الوقت الحالي. اسمح لي أن أوضح هذا الأمر. وأدعوك أن تقرأ بعناية الصفحات القليلة التالية، لأنك إذا فهمت جيداً ما سوف أقوله، سوف تتغير حياتك بالتمام.

كانت للفريسيين مشكلات مع يسوع لأنه لم يأت بالصورة التي كانوا يتوقعونها؛ فبحسب نبوات العهد القديم، كانوا ينتظرون ملكاً مسيانياً. كتب إشعياء قبل ذلك يقول:

"لأنه يولد لنا ولد
ونعطى ابناً،
وتكون الرياسة على كتفه،
ويدعى اسمه عجيباً، مشيراً،
إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام.
لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية
على كرسي داود وعلى مملكته،
ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد.
غيرة رب الجنود تصنع هذا". (إشعياء ٩: ٦ ـ ٧)

عرف هؤلاء القادة أن زمانهم كان هو زمان قدوم المسيا، والدليل أنه عندما أتى المجوس من المشرق، لم يندهش الكتبة من طلب هيرودس أن يعلم أين سيولد الملك.

وبناء على كلمات إشعياء، اعتقد الفريسيون أن المسيا يمكن أن يأتي فقط في صورة ملك حربي قاهر يخلصهم من حكم الرومان وقمعهم. وافترضوا أنه سوف يرسي على الفور عرش داود في أورشليم ويحكم إلى أبد الآبدين.

لكن عندما ظهر يسوع في صورة شخص ناصري، من عامة الشعب، نجار من أسرة فقيرة، وصديق للزناة والمافيا (كان العشارون هم مافيا ذلك الوقت)، لم يقتنعوا به كالمسيا. ومع أن الكثيرين من عامة الشعب نادوا بيسوع ملكاً، إلا أن القادة رفضوا هذا لأن يسوع كان يتسم بصفات مختلفة عما توقعوه.

ولهذا واجه الفريسيون يسوع قائلين: "حسناً. إن كنت أنت المسيا، فأين الملكوت الذي قال إشعياء إنك ستحكمه؟ لماذا لا نزال تحت القمع الروماني؟"

وأجابهم يسوع:

"**ولما سأله الفريسيون: «متى يأتي ملكوت الله؟» أجابهم وقال: «لا يأتي ملكوت الله بمراقبة، ولا يقولون: هوذا ههنا، أو: هوذا هناك! لأن ها ملكوت الله داخلكم»**". (لوقا١٧: ٢٠ ـ ٢١)

"ملكوت الله داخلكم"؟ نعرف أن ضمير المخاطَب ليس عائداً على الفريسيين، لأنه قال لهم "أنتم من أب هو إبليس" (يوحنا ٨: ٤٤). كان يسوع يخاطب من سوف يولدون ثانية ويمتلئون من روحه. لقد وعد من قبل من يحبونه قائلاً: "**لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سرّ أن يعطيكم الملكوت**". (لوقا ١٢: ٣٢).

لكن متى سوف يعطَى الملكوت؟ سأل التلاميذ يسوع هذا السؤال المُلِح بعد أن قام من الأموات. ضع نفسك مكانهم. أخيراً أصبح الأمر واضحاً: كان يسوع، الحي الصحيح، يقف أمام هؤلاء الأتباع المخلصين. كان هو حقاً الملك الذي تنبأ عنه إشعياء بأنه سوف يملك على عرش داود. لكن أين المملكة؟ كانوا لازالوا متحيرين بشأن هذا الأمر قبل صعود يسوع مباشرة:

"**أما هم المجتمعون فسألوه قائلين: «يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟»**"
(أعمال ١: ٦)

هم أيضاً كانوا لازالوا يبحثون عن استعلان ملكوت مادي، كما سيحدث يوماً ما عندما يأتي يسوع مرة أخرى إلى الأرض على فرس أبيض مع "ربوات قديسيه" (انظر يهوذا ١: ١٤–١٥، رؤيا ١٩: ١١–١٦). وبينما كانوا يبحثون عن هذا العرش الحرفي على الأرض، نسوا كلماته: "ها ملكوت الله داخلكم". ولذلك صحح يسوع فكر التلاميذ، تماماً كما فعل مع الفريسيين وقال:

"ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه [تأسيس ملكوته المادي عند رجوعه]. لكنكم ستنالون قوة [الملكوت الذي بداخلكم] متى حل الروح القدس عليكم".
(أعمال ١: ٧–٨).

"تنالون قوة" من الروح القدس لكي تفعلوا ماذا؟ لتنشروا الملكوت! لم يكن هذا لهم فقط، بل لنا نحن أيضاً، لأن بطرس أعلن أمام الجموع قائلاً: **"لأن الموعد [الامتلاء بقوة الروح القدس] هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد، كل من يدعوه الرب إلهنا".** (أعمال ٢: ٣٩). أنت وأنا من ضمن هؤلاء بكل تأكيد. ولهذا السبب يكتب بولس لنا جميعاً قائلاً: **"لأن ملكوت الله ليس بكلام، بل بقوة".** (١ كورنثوس ٤: ٢٠). بمجرد أن جاء الروح القدس ليسكن في الجنس البشري، أصبح الملكوت وكل قوته بداخلنا! فنحن الآن نمتلك القوة لكي نمد الملكوت في قلوب وحياة الآخرين. ولهذا تقول كلمة الله: **"لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً، بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس".** (رومية ١٤: ١٧).

لذا، فقد كان يسوع في الأساس يجيب على سؤال الرسل ليس عن التأسيس الخارجي للملكوت، بل عن التأسيس الداخلي، الذي سوف يؤثر بالطبع على حياة الناس خارجياً. الحقيقة المذهلة هي أننا يمكننا الآن أن نعمل الأعمال التي قام بها يسوع لنشر الملكوت، بل وأعظم منها. تذكر مرة أخرى كلماته: **"ليأت ملكوتك [وهو الذي أتى الآن]. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض".**

كما في السماء كذلك على الأرض

دعونا نناقش الطريقة التي جلب بها يسوع طرق السماء إلى الأرض. يمكن تعريف مهمته التي هي إعلان الملكوت بكلمة واحدة وهي البر. يقول الكتاب المقدس إن **"ملكوت الله ... هو بر"** (رومية ١٤: ١٧). قال لنا يسوع: **"اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره"** (متى ٦: ٣٣). كما قال لتلاميذه إنه بعد أن يمضي سوف يأتي الروح القدس و**"يبكت العالم ... على بر لأني ذاهب إلى أبي".** (يوحنا ١٦: ٨، ١٠).

الكلمة اليونانية التي تستخدم غالباً في العهد الجديد للإشارة إلى البر هي dikaiosyne. يكشف القاموس الشارح لكلمات الكتاب المقدس أنه لا يوجد أي لَبْس في معنى هذه الكلمة؛ فهي "تشير إلى حالة القبول أمام الله بكل الأشكال". هذا يعني ببساطة أن البر يعني أن تكون صحيحاً في عيني الله.

ويوضح الكتاب المقدس هذا بشدة عندما يقول: "**ليس بار ولا واحد**" (رومية ٣: ١٠). ما لم يولد الشخص ثانية من زرع كلمة الله غير القابلة للفساد، فمن المستحيل أن يكون باراً أو مقبولاً في عيني الله. لكن بولس يقول بوضوح مماثل: "**لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً**". (رومية ٥: ١٩). هل نصير أبراراً الآن، أم يحدث هذا بمجرد أن نصل إلى السماء؟ بعد المناقشة التي دارت في الفصول السابقة، أصبحنا نعرف الإجابة. إن كلمة الله تعلن:

"**لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه**". (٢ كورنثوس ٥: ٢١).

وأيضاً:

"**ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا ... براً**". (١ كورنثوس ١: ٣٠)

بسبب ما فعله يسوع لأجلنا، أصبحنا الآن مقبولين أمام الله بكل الأشكال. أكرر إن هذا يشير إلى تبريرنا، وليس إلى سلوكنا بالقداسة؛ فالموقف الصحيح أمام الله ليس له علاقة بمجهودنا، بل إنه مؤسس على العمل المذهل الذي عمله الله من خلال المسيح. من المحزن أن نسمع المسيحيين يشيرون إلى أنفسهم على أنهم ديدان محتقرة أو مجرد خطاة بائسين نالوا الغفران. يحزن قلبي أن أسمع شخصاً ما يتكلم بهذه الطريقة، في حين أننا مدفوع فينا ثمن عظيم لا فقط لكي ننال الغفران ونتحرر، بل أيضاً لكي نُخلق من جديد على صورة يسوع المسيح ومثاله.

أولاً وقبل كل شيء، يتحدث الملكوت الذي بداخلنا عن الطبيعة الإلهية، التي تمكننا من أن نعيش قديسين ومثمرين في هذا العالم الحاضر. هذه القوة واضحة بشدة في حياة يسوع. فقد أظهر ما خُلِق البشر لكي يحيوه – ليس في قيود الرغبات الحارقة للجسد الساقط، بل بدوافع البر، وتحريك قوة الروح القدس في المحبة والفرح والسلام – حيث يزدادون في الغفران والشفاء والاسترداد ورفعة الآخرين

إلى الحياة الأسمى. هذا هو الملكوت: ليس فقط أن نعيش قديسين، بل أيضاً أن نأتي بأسلوب حياة السماء إلى عالمنا الهالك المائت.

هذا يلخص حياة يسوع؛ فمن السهل أن ترى شغفه بالعطاء والشفاء والتحرير وإعلان الحكمة لتحقيق الحياة الناجحة ذات المغزى. عندما نقرأ الأناجيل، يمكننا أن نرى كيف أنه هو نور الذين في الظلمة، وحياة الموتى، ومريح التعابى، وباب الحرية، وطريق التائهين، وحق المتحيرين، وراعي النفوس المتعبة، ومخلص العاجزين، وفادي المأسورين – وغير ذلك الكثير. لقد أتى بالسماء إلى الأرض، لأنه قال: "**الذي رآني فقد رأى الآب**". (**يوحنا ١٤: ٩**). وهذه هي وصيته لنا:

"**كما أرسلني الآب أرسلكم أنا**". (**يوحنا ٢٠: ٢١**)

يا لها من عبارة! يجب أن نأتي بالسماء إلى الأرض بنفس الطريقة التي فعل بها يسوع ذلك. ولهذا قال يسوع أكثر من مرة: "**الحق الحق أقول لكم: الذي يقبل من أرسله يقبلني، والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني**". (**يوحنا ١٣: ٢٠**). هكذا يجب أن يكون الحال. من يرى تابعاً حقيقياً للمسيح فقد رأى يسوع، تماماً كما أن من رأى يسوع فقد رأى الآب.

يا لها من مسئولية – وفرصة – لكل منا!

"هنا" وليس "قد اقترب"

نرى لمحات عن هذا في الأناجيل في حياة الرسل، مع أن هذا كان سابقاً لمجيء الملكوت بداخلهم. على سبيل المثال، فكر في الطريقة التي كان التلاميذ يخدمون بها: "**ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف**". (**متى ١٠: ١**). وبمجرد أن أعطاهم يسوع هذه القدرة (النعمة) الخاصة، أوصاهم قائلاً:

"**وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات. اشفوا مرضى. طهروا برصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا**". (**متى ١٠: ٧ــ٨**).

كان عليهم أن يعلنوا الملكوت. يجب أن تتم مشيئة الله على الأرض كما هي في السماء. إذا كانت هناك حالة في حياة شخص ما لا تتطابق مع معيار السماء، فيجب أن تتغير. الناس في السماء لا يتعذبون بالشياطين، ولا يصابون بالبرص

أو أية أمراض أخرى، وليسوا ضعفاء. ولا جائعين. السلطان الذي ناله الرسل كان لتغيير الأحوال الأرضية المناقضة للسماء! هل ترى هذا؟ ولهذا ذهبوا وأخرجوا الشياطين، وشفوا كل أنواع الأمراض والضعفات، وأطعموا الفقراء وكسوهم، بل وأقاموا الموتى أيضاً!

وفيما يختص بالاحتياجات الجسدية، حاول يسوع أن يجعل أعضاء فريقه يعملون بالسلطان أيضاً، لكنهم فقدوا فرصة رائعة لفعل هذا؛ فلم يكن لديهم طعام في مكان مقفر بعيداً عن أية قرية أو مدينة. كل ما وجدوه هو خمس خبزات وسمكتين، وكان هناك خمسة آلاف رجل جائع بينهم. توسل التلاميذ إلى يسوع أن يصرف الجموع الكثيرة لكي يجدوا بعض الطعام في القرى المجاورة. لكن رد يسوع كان هكذا:

"**أعطوهم أنتم ليأكلوا**". (**مرقس** ٦: ٣٧).

كانت رغبته هي أن يستخدم التلاميذ قدرة النعمة لتسديد احتياجات هؤلاء الناس. يجب ألا يكون هناك نقص، كما أنه لا يوجد نقص في السماء. لكن التلاميذ لم يستطيعوا أن يصدقوا أن هذا ممكن، فأجابوا على هذا الأساس قائلين: "**أنمضي ونبتاع خبزاً بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا؟**" (ع ٣٧). كانوا لازالوا يعملون من منطلق قدراتهم الشخصية، وليس من منطلق ما فوق العادة، أي عطية النعمة المجانية التي أُعطيت لهم. ولذلك كان على يسوع ببساطة أن يعمل بهذه القوة بنفسه ويطعم الجموع.

أما المرض والضعف وتحرير الناس من القمع، فقد كان عملاً قوياً بالنسبة للتلاميذ. فقد عادوا من أحد رحلات الخدمة قائلين: "**يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك!**" (**لوقا** ١٠: ١٧). فقد شُفي المرضى، وتحرر المأسورون – تماماً كما قال لهم يسوع.

لكن من المهم أن نلاحظ (انظر متى ١٠: ٧) أن التلاميذ كان عليهم أن يعلنوا ملكوت الله على أنه قريب فقط. لكن بحلول يوم الخمسين لم يعد قريباً، بل أصبح هنا!

الملكوت الآن في قلوب الرجال والنساء الذين ولدوا ثانية وامتلأوا بروح الله، تماماً كما كان الملكوت بداخل يسوع ومعلناً من خلاله بينما كان يسير على هذه

الأرض. وقد اتضح ذلك بقوة عند العشاء الأخير. قال يسوع عن الروح القدس إنه: "ماكث معكم ويكون فيكم". (يوحنا ١٤: ١٧). في الأناجيل، عندما كان الرسل يذهبون ليأتوا بثمر، كان الروح القدس معهم فقط، وكان الملكوت قريباً فقط. لكن يسوع أوضح أنه بعد أن يأتي الملكوت، سوف يكون الروح القدس فينا، أي داخلنا. ولهذا أوصانا جميعاً قبل صعوده للسماء قائلاً: "كما أرسلني الآب أرسلكم أنا". (يوحنا ٢٠: ٢١). لدينا بداخلنا القدرة على أن ننشر الملكوت في قلوب وحياة الناس تماماً كما فعل يسوع، وكل هذا بسبب نعمته العجيبة!

نعمة عظيمة

دعونا ننظر سريعاً إلى ما ظهر في سفر أعمال الرسل بمجرد أن جاء ملكوت الله إلى قلوب شعب الله. في يوم الخمسين، "امتلأ الجميع من الروح القدس" (أعمال ٢: ٤).

كان عدد من امتلأوا ١٢٠ شخصاً من أتباع يسوع الأمناء. قبل الملكوت في ذلك اليوم رجال ونساء وغالباً أطفال أيضاً. البعض كانوا رسلاً، وأنبياء، ومبشرين، ورعاة، ومعلمين. لكن معظمهم كانوا مجرد تلاميذ ليسوع.

في ذلك اليوم، تكلم هؤلاء الـ ١٢٠ بلغات أجنبية لم يعرفوها من قبل، وأعلنوا أعمال الله الرائعة. هذه القوة جعلت الجموع يتوقفون ويسمعون هؤلاء البسطاء وهم ينطقون بكلمة الله بلغاتهم الأصلية. وأخيراً تعجب المشاهدون قائلين: "ما عسى أن يكون هذا؟" (ع ١٢). ونتيجة نعمة العهد الجديد، انضم ثلاثة آلاف إلى الملكوت.

ثم نقرأ: "وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب". (أعمال ٥: ١٢). ولكن كانت هناك معجزة مدهشة بشكل خاص. ذهب بطرس ويوحنا إلى الهيكل. وعندما اقتربا من المدخل، شاهدا رجلاً مقعداً كان دائماً يجلس في نفس الموقع يستعطي. فطلب منهما مساعدة مالية، لكن بطرس قال له: "ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فإياه أعطيك: باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش!" (أعمال ٣: ٦). ما هذا الذي كان لبطرس؟ والإجابة ببساطة هي الملكوت. لقد تمكن بطرس من أن يأتي بأحوال المعيشة العادية في السماء إلى الأرض.

ثم بدأ ذلك الرجل، الذي ظل كسيحاً منذ ولادته، يقف ويمشي ويقفز ويسبح الله.

عندما رأى الناس تأثير الملكوت على هذا الرجل، تجمع حشد حول بطرس ويوحنا، وسرعان ما امتد الملكوت إلى خمسة آلاف آخرين إذ قبلوا يسوع المسيح.

ثم أُلقي القبض على بطرس ويوحنا. ها هو بطرس الذي خاف من جارية قبل صلب يسوع وأنكره ثلاث مرات، يقف أمام رؤساء الكهنة ويعلن بجرأة ربوبية يسوع. اندهش القادة من جرأة بطرس لكنهم لم يستطيعوا أن يقولوا أي شيء مناقض لما قاله، لأن الرجل الذي كان مقعداً لسنوات طويلة كان واقفاً الآن – صحيحاً – أمامهم. وفي النهاية تم إطلاق سراح بطرس ويوحنا.

بعد هذا، صلى المؤمنون وتزعزع المكان من قوة الله. ثم نقرأ:
"وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم". (أع ٤: ٣٣)

هل لاحظت أن الكتاب المقدس يربط بين القوة العظيمة والنعمة العظيمة؟ نرى مرة أخرى النعمة وهي توصف على أنها تمكين الله لنشر الملكوت!

النعمة ليست مجرد عطية الغفران، أو طبيعة الله المعطاة لنا، أو تمكينه لنا لنحيا حياة مقدسة، بل إنها أيضاً تمكينه لنا لنشر الملكوت! إنها تمكين الله لنا لفعل ما فعله يسوع – بل وأعظم منه. إنها التمكين الذي يجعلنا نعيش فوق العادة.

في البداية، كان الكثيرون في الكنيسة يؤمنون أن تمكين الله متاح فقط للرسل، وليس لكل مؤمن، كما قال يسوع بوضوح عند العشاء الأخير. لكن هذا الخطأ في الفهم تغير أخيراً، وهو ما نرى لمحات منه في أعمال ٥. فبدلاً من أن نرى بطرس وحده يأتي بالبشارة، بدأ كل المؤمنين ينشرون الملكوت من خلال تمكين النعمة. **"وكانوا لا يزالون كل يوم في الهيكل وفي البيوت معلّمين ومبشرين بيسوع المسيح"**. (أعمال٥: ٤٢). لم يمكن أبداً أن يستطيع بطرس في يوم واحد أن يعظ في كل بيت في أورشليم. فالتليفزيون والإذاعة لم يكونا موجودين في ذلك الوقت، فكيف حدث هذا؟

والإجابة البسيطة هي أن كل المؤمنين كانوا يعملون بهذه النعمة. تقول الآية التالية: **"وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ"** (أعمال ٦: ١). هذه هي الحالة الأولى التي وردت فيها كلمة تكاثر. قبل ذلك الوقت، عندما كان الرسل فقط هم الذين يعملون

بنعمة الله، كنا نسمع فقط كلمة ينضمون. وإليك بعض الأمثلة: "**وانضمّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس**". (**أعمال** ٢: ٤١)، وأيضاً "**وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون**". (**أعمال** ٢: ٤٧)، وأيضاً: "**وكان مؤمنون ينضمون للرب أكثر**". (**أعمال** ٥: ١٤).

ولكن بمجرد أن بدأ كل المؤمنين يعملون بنعمة الله، لا نرى فقط كلمة يتكاثرون، بل أيضاً يتكاثرون جداً "**وكانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في أورشليم**". (**أعمال** ٦: ٧)

هناك فرق كبير بين ينضمون ويتكاثرون جداً. إذا كان هناك خادم في أيامنا هذه، مثل الرسول بطرس، يستطيع أن يصل إلى عشرة آلاف شخص في الشهر ويأتي بهم إلى الملكوت، فسوف يلزمه خمسين ألف سنة للوصول إلى العالم، على شرط أنه خلال هذه الخمسين ألف سنة لا يولد أحد ولا يموت أحد. وبالطبع هذا غير واقعي.

ماذا لو استطاع مبشر أن يصل إلى نصف مليون شخص في الشهر؟ سوف يحتاج الى ألف سنة لكي يصل إلى العالم. ولكي تدرك معنى هذه المدة، ارجع بذاكرتك إلى ألف عام مضت عندما لم تكن الولايات المتحدة موجودة. لم يكن "كريستوفر كولمبوس" معروفاً لأنه لم يكن قد ولد بعد، ولا الملك "لويس الرابع عشر" في فرنسا، ولا الملك "ريتشارد قلب الأسد" في إنجلترا. إن ألف سنة مدة طويلة جداً، ولكنها هي المدة التي تلزم للوصول إلى العالم – بشرط ألا يولد أحد أو يموت أحد خلال هذه الألفية. وكما ترى، فإن الكرازة للعالم تعتبر مهمة مستحيلة بالنسبة لشخص واحد، حتى إذا استطاع الوصول إلى نصف مليون شخص في الشهر.

لكن بالمقارنة، دعونا نقول إن شخصاً واحداً سوف يعمل في ظل تمكين النعمة ويصل إلى شخص واحد آخر في غضون شهر ويأتي به إلى الملكوت. وهكذا ففي الشهر التالي سوف يكون هناك اثنان يصل كل منهما إلى اثنين آخرين، ثم في الشهر التالي هناك أربعة يصل كل منهما إلى اثنين آخرين، ثم في الشهر التالي يصل كل واحد من هؤلاء الثمانية إلى اثنين آخرين، ويستمر هذا النمط كل شهر. بعملية التضاعف هذه، يمكن الوصول إلى كل شخص في الولايات المتحدة في غضون عام واحد وعشرة أشهر! وإذا واصلنا هذا النمط، سوف يلزمنا فقط عامين وتسعة شهور للإتيان بسكان العالم كله إلى الملكوت! فكر في هذا – ليس مطلوباً من أي شخص سوى أن يصل إلى اثنين آخرين في الشهر، عندها سوف تسمع

الأرض كلها الإنجيل في أقل من ثلاثة أعوام، بدون مساعدة من التليفزيون أو الإذاعة أو الإنترنت! هذا أمر يسهل تحقيقه، وهو تكاثر مضاعف!

وهذا بالضبط ما يظهر في الكنيسة الأولى. ولهذا نقرأ أخيراً:
"اعتزل (بولس) عنهم وأفرز التلاميذ، محاجًّا كل يوم في مدرسة إنسان اسمه تيرانس. وكان ذلك مدة سنتين، حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في آسيا، من يهود ويونانيين".
(أعمال ١٩: ٩ ـ ١٠)

جميع الساكنين في آسيا سمعوا كلمة الرب خلال سنتين فقط! عندما تفكر في هذا تجده أمراً رائعاً. جميع الساكنين! دعونا نتأمل سريعاً في هذا الأمر. لا يمكن أن تبالغ الكلمة المقدسة بخصوص شيء ما. المبالغة هي عندما نعلن شيئاً أكبر من الواقع. فإذا عدت من رحلة صيد وقلت: "لقد أمسكت بكل سمكة في البحيرة" فما أحاول توصيله هو أنني اختبرت يوماً عظيماً في الصيد. لكن ليس حقيقياً بأي حال من الأحوال أنني أمسكت بالفعل بكل سمكة في البحيرة. فهذه مبالغة، وتضخيم للصورة. وللأمانة أقول إن هذا كذب – لكن الكلمة المقدسة لا يمكن أن تكذب أو تبالغ. لذلك فإذا كان التقرير الذي تقدمه هو أن جميع الساكنين قد سمعوا كلمة الله خلال سنتين، فهذا يعني فعلاً جميع الساكنين!

كان بولس يعلِّم في نفس المدرسة كل يوم، ولهذا فليس هناك احتمال أن يكون جميع الساكنين في آسيا قد دخلوا إلى هذه المدرسة الصغيرة في تلك الفترة الزمنية. يقدر تعداد آسيا الصغرى في ذلك الوقت بما يزيد على أحد عشر مليون شخصاً! ولم يكونوا يبثون تعاليم بولس عن طريق الفضائيات أو المحطات التليفزيونية. ولم تتم تغطية هذا الحدث على الهواء مباشرة أو عن طريق الإذاعة. فكيف إذاً حدث هذا فعلياً؟ والإجابة واضحة. لقد فهم المؤمنون الآن أن الله لم يعطهم النعمة فقط لكي يخلصوا ويعيشوا حياة القداسة، بل لكي ينشروا الملكوت. فكانوا يفعلون هذا!

مجرد مؤمنين

إذا تابعت المؤمنين الذين لم يكونوا رسلاً، أو أنبياء، أو رعاة، أو معلمين بعد الأصحاح الخامس من سفر الأعمال، سوف تكتشف أنهم هم أيضاً أصبحوا يعيشون الحياة غير العادية – معلنين طريق الملكوت على هذه الأرض. عندما كان هؤلاء

المؤمنون يواجهون مواقف في حياة الناس لم تكن متطابقة مع طرق السماء، كانوا يعملون بالنعمة لكي يغيروها. وسواء كان هذا التغيير يعني إعلان الحرية وتحرير الناس من خلال الخلاص، أو شفاء المرضى، أو الضعفاء، أو من كانت بهم شياطين، أو مجرد إطلاق حكمة السماء الأسمى وسط مجتمع ساقط، فقد كان هؤلاء التابعون ليسوع يفعلونه – كانوا ينشرون ملكوت الله!

كان استفانوس، الذي كان عضواً أميناً في الكنيسة في أورشليم، يعمل في المطعم الملحق بالخدمة، كان مؤمناً عادياً يخدم الموائد. اسمع ما يقوله الكتاب المقدس عنه:

"وأما استفانوس فإذ كان مملوّاً إيماناً وقوة كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب".
(أعمال ٦: ٨)

لم تكن النعمة العظيمة على الرسل فقط لكي ينشروا الملكوت، بل وعلى أعضاء الكنيسة العاديين أيضاً. كانت هذه هي مشيئة الله وقتها، وهي مشيئة الله الآن، وسوف تظل دائماً مشيئة الله! لم يكن استفانوس رسولاً أو نبياً أو مبشراً أو راعياً أو معلماً في الكنيسة، بل كان تلميذاً عادياً ليسوع المسيح، لا يختلف عنك أو عني. لكنه مع هذا كان يعمل بقوة عظيمة، التي هي نعمة الله، مجرياً معجزات عجيبة بين الشعب.

لم يكن استفانوس يعمل المعجزات فقط، بل كان أيضاً حكيماً. بعض الغيورين من المجمع بدأوا معه جدالاً، وبنعمة الله استطاع أن يقول الحق بكل ذكاء: **"ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به"**. (أعمال ٦: ١٠). كان يمكنه بسهولة أن يتراجع قائلاً: "أيها الرجال، أنا لست لاهوتياً أو رسولاً. عليكم أن تتحدثوا مع الرعاة عن هذا الأمر". لكنه لم يفعل هذا لأنه كانت لديه نعمة – قوة الله الممكنة لتسديد الاحتياجات التي تطرأ.

اسمح لي أن أذكرك مرة أخرى بكلمات بولس التي ذكرتها قبلاً في هذا الفصل: **"والله قادر أن يزيدكم كل نعمة، لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء، تزدادون في كل عمل صالح"**. (٢ كورنثوس ٩: ٨). يقول بولس إننا لا نمتلك فقط ما يكفي من النعمة (تمكين الله) بل فيض النعمة لأي موقف يستلزم الإتيان بطرق الله لحياة الناس هنا على الأرض! وهذا الوعد حقيقي بالنسبة لكل المؤمنين.

لم يصبح استفانوس قائداً كنسياً على الإطلاق، ولم يكن خادماً متفرغاً بالمفهوم الذي نعرفه اليوم؛ فقد كان مؤمناً بسيطاً أكمل سعيه بطريقة متميزة بنعمة الله. وكانت هذه هي كلماته الأخيرة قبل أن يرحل عن هذه الأرض إلى السماء:

"فصاحوا بصوت: «عظيم وسدوا آذانهم، وهجموا عليه بنفس واحدة، وأخرجوه خارج المدينة ورجموه ... فكانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول "أيها الرب يسوع اقبل روحي". ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم: «يا رب لا تقم لهم هذه الخطية». وإذ قال هذا رقد". (أعمال ٧: ٥٧ ـ ٦٠)

مدهش! عامل المطعم هذا كان يتعرض للرجم، ومع هذا كانت له النعمة أن يغفر لقاتليه، كما غفر يسوع لقاتليه. وقد استطاع أن يفعل هذا لأنه لا يوجد عدم غفران في السماء – الملكوت الذي بداخله. علّم استفانوس، وأجرى معجزات وآيات، وسلك متمثلاً بيسوع المسيح، ونشر ملكوت الله – كل هذا بنعمة الله العجيبة! ولم يكن سوى تابع بسيط ليسوع المسيح.

ونفس الأمر حدث مع شخص من عامة الشعب اسمه "حنانيا". يقول الكتاب المقدس عنه: **"وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا". (أعمال ٩: ١٠)**. لا يوجد ذكر عن أنه كان رسولاً أو نبياً أو مبشراً أو راعياً أو معلماً في الكنيسة. أغلب الظن أنه كان رجل أعمال، أو عاملاً بالتجارة، أو مدرساً في مدرسة، أو محاسباً، أو حلاقاً، أو شيئاً من هذا القبيل. لكن استمع إلى ما يقوله الكتاب المقدس عنه:

"فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يديه وقال: «أيها الأخ شاول، قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه، لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس». فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال، وقام واعتمد". (أعمال ٩: ١٧ ـ ١٨).

هذا المؤمن العادي، الذي لم نسمع عنه بعد ذلك في العهد الجديد كله، أطاع وذهب إلى بولس ووضع يده على عينيه، فرجع إليه بصره. يا له من عمل رائع! لم تكن لحنانيا موهبة خاصة، ولا كان مشهوراً بأنه صانع معجزات في الكنيسة. كان ببساطة يحتاج إلى الدخول إلى النعمة اللازمة ليقوم بدوره في نشر الملكوت. وكلنا لدينا هذه النعمة؛ فقد أُعطيت لنا مجاناً في المسيح يسوع.

أوضح يسوع جيداً أنه بمجرد أن يصبح الملكوت بداخلنا، يمكننا أن ننشره، سواء كنا أصحاب أعمال أو ربات بيوت أو أطباء أو مدرسين أو فنيين أو طلبة أو

سياسيين أو مستثمرين أو موظفي عقارات – فإن مهنتنا لا تهم. لقد كلفنا جميعاً بنشر ملكوته:

"قال لهم: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يُدَن. وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة. يحملون حيّات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون»". (مرقس ١٦: ١٥ ـ ١٨)

لاحظ أن يسوع يقول بكل تحديد إن هذه الآيات تتبع المؤمنين، إنها نفس القوة، أو "النعمة" التي مكنت استفانوس من أن يجري معجزات وآيات لنشر الملكوت. لم يقل يسوع "الرسل فقط أو الخدام المتفرغين". فهذه القوة هي لكل المؤمنين – تماماً كما كانت لاستفانوس وحنانيا وبنات فيلبس الأربعة (انظر أعمال ٢١: ٩)، والمؤمنين في أورشليم، والمؤمنين في آسيا – وتطول القائمة لتشملني أنا وأنت وكل من يؤمن بيسوع المسيح رباً ومخلصاً ويمتلئ من روحه القدوس.

أتمنى أن يكون الأمر قد أصبح واضحاً: إن النعمة هي حضور الله المانح للقوة، والذي يعطينا القدرة على أن نعيش حياة التقوى في الحاضر ونفعل ما يلزم لنشر الملكوت، وتمنحنا القدرة على أن نتخطى قدراتنا الشخصية. قال الله لبولس: "**تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل**". وبمجرد أن أدرك بولس هذا، أعلن بكل فرح قائلاً: "**فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل علي قوة [نعمة] المسيح**". (٢ كورنثوس١٢:٩).

النعمة تمنحنا القدرة على أن نتخطى قدراتنا الشخصية في كل مجالات الحياة لكي نرضي الله، ونعيش الحياة التي تفوق العادة. والسبب الذي جعل الله يفعل هذا بسيط: لكي يعود كل المجد له، وليس لنا.

انظر إلى أهل مكدونية. لم يكن لهم المال الكافي ليقدموه، لكنهم لم يعتمدوا على قدرتهم الخاصة. استمع إلى بولس وهو يتفاخر باعتمادهم على نعمة الله ويقول:

"ثم نعرفكم أيها الإخوة نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية، أنه في اختبار ضيقة شديدة فاض وُفُورُ فرحهم وفقرهم العميق لغنى سخائهم، لأنهم أعطوا حسب الطاقة، أنا أشهد، وفوق الطاقة، من تلقاء أنفسهم". (٢ كورنثوس ٨: ١ ـ ٣)

أعطى مؤمنو مكدونية حسب طاقتهم. لكنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل بقوة نعمة الله أعطوا تقدمة سخية فوق طاقتهم، ورجع كل المجد لله!

إن النعمة تمنحنا الإمكانية التي تفوق قدراتنا وطاقاتنا. ولهذا فهي فوق العادة! كم رأيت هذا في حياتي الخاصة وفي حياة الكثيرين. طيلة عشرين عاماً من الخدمة كنت أسافر في أماكن كثيرة، وأحياناً كنت أبتعد عن البيت شهراً كاملاً ولا أرى أسرتي سوى لثلاثة أيام فقط. أولادنا كلهم الآن في مرحلة المراهقة أو العشرينيات من عمرهم، وكلهم يحبون الله ويخدمونه بكل القلب. أنا وزوجتي نتمتع بعلاقة حب عميقة وزواج قوي. كثيراً ما ينظر الناس إليّ ويسألونني: "كيف فعلت هذا؟ كيف يمكنك أن تسافر أكثر من مائتي ألف ميل في السنة، وتستمر في كتابة الكتب، وتظل منتعشاً، ولديك حياة أسرية صحيحة؟" فأبتسم فقط وأجيب قائلاً: "نعمة الله!"

أنا أعرف ضعفاتي وكم أنا غير نافع بالمرة بدون نعمة الله. قبل أن أترك وظيفتي في الهندسة لكي ألتحق بالخدمة، قالت لي أمي: "يا جون، أعتقد أن هذا هوس لفترة قصيرة، وسوف تتركه في ظرف سنوات قليلة تماماً كما تركت كل شيء قبل ذلك". يا للأسف! لكنها كانت محقة في أمر ما، وهو أنني قد تركت تقريباً كل شيء حاولت فعله قبل أن أتقابل مع نعمة الله العجيبة. كما أن نقص القدرة على الاستمرار كانت سمة لعلاقاتي أيضاً. ولهذا عندما تزوجت أخيراً، كنت خائفاً أن يأتي اليوم الذي أسأم فيه من زوجتي وأرغب في تركها. لكن العكس كان صحيحاً، فأنا أحب زوجتي اليوم أكثر مما كنت منذ حوالي ثلاثين عاماً عندما تزوجنا. وأنا مشتعل في الخدمة اليوم أكثر مما كنت منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً عندما بدأت فيها. كيف يمكن أن يحدث هذا؟ لقد تعلمت في أعماق قلبي ألا أنسى أبداً ضعفاتي قبل أن أتقابل مع نعمة الله. لقد نلت النعمة بغنى، ولذلك يمكنني الآن أن أفعل ما كان مستحيلاً قبل ذلك. يمكنني أن أتخطى قدراتي البشرية لكي أحقق ما يفوق العادة بسبب نعمة الله – له كل المجد!

يحزنني كثيراً عندما يتم تقليص نعمة الله في الكثير من الدوائر المسيحية إلى مجرد "تأمين ضد الحريق". كلا! فالنعمة هي عطية الله المجانية التي تسامحنا، وتخلصنا، وتخلقنا من جديد، وتمكننا من أن نحيا حياة القداسة. كما تمكننا أيضاً من أن ننشر الملكوت الذي بداخلنا عن طريق تخطي قدراتنا الشخصية. وكما

تخلصنا النعمة من الموت الأبدي، فهي تمكِّننا أيضاً من أن نعيش حياة تفوق العادة في كل مجالات الحياة.

والآن نأتي إلى أهم سؤال في هذا الكتاب: **لماذا لا يعيش كل أولاد الله في قدرة هذه النعمة المذهلة؟** استعد للإجابة. هذا هو الموضع الذي تحلو فيه الرساله حقاً!

تأملات لرحلة فوق العادة

هل يصعب عليك أن تصدق أنه بإمكانك كمؤمن أن تقوم بأعمال أعظم من تلك التي صنعها يسوع؟ أعط أسباباً لإجابتك.

ما هي أكثر مناطق الضعف التي تحتاج فيها إلى نعمة الله؟

ما هي الكيفية التي ترى أن المسيح يدعوك بها لنشر ملكوته؟

الفصل الثاني عشر
الدخـــــول

النعمة هي عطية الله لكل منا؛ إذ لا يمكن العمل للحصول عليها أو استحقاقها، بل تُمنح لنا مجاناً. وأفضل شيء هو أن هذه النعمة ذاتها التي كنا نناقشها في الفصول السابقة، متاحة للجميع. لذلك أرجوك ألا تقتنع بأكذوبة أنها مخصصة فقط لأفراد معينين. كلا، بل هي للجميع!

وبعد أن عرفنا هذا، لابد لنا أن نسأل: "أين تكمن المشكلة؟ لماذا يعيش مسيحيون مؤمنون كثيرون كما كانوا يعيشون قبل أن تحررهم نعمة الله؟ لماذا لا يوجد دليل كبير على النعمة الممكّنة في حياتهم؟" والرسول بولس يقدم لنا الإجابة الواضحة:

"فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله". (رومية ٥: ١ ـ ٢)

الكلمة المفتاحية في هذا الجزء الكتابي هي الدخول، والمرادف اليوناني لها هو prosagoge، والتي تترجمها الكثير من القواميس اليونانية على أنها "الدخول". يورد قاموس "وبستر" تعريفها على أنها: "القدرة أو الحق أو الإذن للاقتراب من شيء أو دخوله أو التكلم به أو استخدامه".

فكر في الاستخدامات العديدة لهذه الكلمة. أحياناً تحاول الحصول على معلومات مهمة من جهاز كمبيوتر، لكن تفشل في الدخول لأنك لا تعرف كلمة المرور. قد ترغب في الدخول إلى البيت الأبيض لكي ترى الرئيس، لكنك تفشل في الدخول لأنك ليس لديك تصريح أمني. قد تكون قائد فريق كرة في المدرسة الثانوية، وتحتاج إلى أدوات للتدريب. كل الأدوات موجودة في المخزن، لكنك ليس لك الحق أن تدخله. ماذا عليك أن تفعل إذاً؟ ابحث عن المدرب الذي معه المفتاح لكي يأذن لك بالدخول إلى غرفة الأدوات.

توجد طريقة أخرى لشرح معنى الكلمة: افترض أنك في حاجة كبيرة إلى مياه عذبة لأن بئرك قد نضبت. والمدينة بها برج كبير في آخر الشارع يحتوي على مئات الجالونات من المياه العذبة. بما أنك مواطن، يحق لك أن تأخذ كل المياه

التي تحتاج إليها من البرج، لكنك لا تمتلك تصريحاً باستعمالها. وهناك خط أنابيب مياه رئيسي يخرج من البرج حاملاً مياهاً لا حصر لها بالقرب من بيتك. ما الذي عليك أن تفعله إذاً؟ ببساطة يجب أن تذهب إلى البلدية وتحصل على إذن لتوصيل منزلك بخط الأنابيب الرئيسي. وبعد أن تفعل هذا، توجه إلى متجر الأدوات الصحية واشترِ بعض أنابيب المياه. سوف تتدفق المياه إلى منزلك لأنك الآن أصبح لك حق الوصول إليها.

الأمر ببساطة هو أن الإيمان هو خط أنابيب النعمة. استمع إلى كلمات بولس مرة أخرى: "قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون". أريد أن أؤكد على الكلمات التي استخدمتها في مثال المياه لكي أوضح الفكرة: "لنا حق الوصول إلى خط أنابيب الإيمان لننال كل مياه النعمة التي نحتاجها".

الإيمان هو العامل الذي يحدد إذا كنا سنشارك أو لا نشارك في النعمة، وهذا يعني أن النعمة التي ناقشناها بعناية في كل الفصول السابقة لا يمكن الدخول أو الوصول إليها بطريقة أخرى سوى الإيمان! تذكر هذا جيداً بينما أكرر عليك هذه الحقيقة المهمة: النعمة هي التمكين اللازم لإرضاء الله. ولهذا يقول لنا الكتاب المقدس:

"ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه" (عبرانيين ١١: ٦).

لماذا؟ بدون الإيمان ليس لدينا خط الأنابيب وبالتالي ليس لنا حق الوصول إلى النعمة التي تمكننا من أن نرضي الله. تذكر أننا لا يمكننا أن نرضي الله بقدراتنا الشخصية، لكن بالنعمة فقط.

كلمة نعمته

كل ما نحتاج إليه في هذه الحياة موجود في كلمة الله. وهذا واضح من رسالة بطرس الأخيرة التي يقول فيها:

"كما أن قدرته الإلهية [نعمته] قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى ... اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة". (٢ بطرس ١: ٣ ـ ٤)

نرى هنا حقيقتين مهمتين: أولاً، كل الأشياء المتعلقة بالحياة – الحياة التي

تفوق العادة – توجد في مواعيد كلمة الله الثمينة. ثانياً: كل ما يلزم لحياة التقوى ملخص في كلمة واحدة: النعمة. لهذا ففي الأساس، يمكن أن يقال إن نعمة الله محتواة في كلمته. يقول الكتاب المقدس عن المؤمنين: **"فأقاما زماناً طويلاً يجاهران بالرب الذي كان يشهد لكلمة نعمته"**. (أعمال ١٤: ٣). يستخدم الكاتب بلغة محددة عبارة "كلمة نعمته". ثم بعد هذا في سفر الأعمال نجد وصية بولس الأخيرة لأحبائه:

"والآن أستودعكم يا إخوتي لله ولكلمة نعمته، القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع المُقدَّسين". (أعمال ٢٠: ٣٢)

لاحظ مرة أخرى عبارة "كلمة نعمته". أي أن كل النعمة – كل تمكين الله لنوال كل بركة روحية – محتواة في كلمته. ولهذا نقرأ أن يسوع **"حامل كل الأشياء بكلمة قدرته"** (عبرانيين ١: ٣). لا تقول الآية "قدرة كلمته". لو كانت الآية قد وردت هكذا، لكانت ستعني فقط أن كلمته قديرة. لكن الطريقة التي صاغ بها الروح القدس هذه الآية تشير بكل وضوح إلى أن كل قدرة الله، وكل نعمته، محتواة داخل كلمته!

النعمة لا تُمنح لنا لأننا لطفاء، أو لأننا نحب الله، أو لأننا صادقون، أو لأننا نعمل باجتهاد في الخدمة، أو لأننا نريد بصدق أن نرضي الله، أو لأننا نصادق من يجب أن نصادقهم، أو لأي شيء من الأشياء الأخرى. بل كل النعمة محتواة داخل كلمته، ويجب أن نؤمن بكلمته حتى يمكننا أن نُفعل عطية نعمته المجانية أو ندخل إليها:

"لأننا نحن أيضاً قد بُشِّرنا كما أولئك، لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك. إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا". (عبرانيين ٤: ٢)

هذه الآية تتحدث عن بني إسرائيل، فقد كانت حمولة بركات السماء تصل بالقرب من منازلهم مباشرة، لكنهم لم يوصلوا أنابيب إيمانهم. ولهذا لم ينالوا بركات الله الرائعة التي قدمها لهم لكي يعيشوا حياة فوق العادة لأنهم ببساطة لم يؤمنوا.

يقارن الكاتب بين شعب إسرائيل وبيننا: نحن أيضاً لنا بركات النعمة المتدفقة بالقرب من منازلنا – بل مواعيد عهد أعظم مما كانت لبني إسرائيل. لكن إذا لم نقم بتوصيل أنابيب إيماننا، سوف لا ننتفع نحن أيضاً من النعمة لأنه ليس لنا حق الدخول أو الوصول إليها.

الخلاص من الموت

دعونا ننظر إلى بعض جوانب النعمة التي ناقشناها في ضوء هذا. يقول الكتاب المقدس: "**لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**". (يوحنا٣: ١٦). لقد بذل الله يسوع ليكون فدية عن كل إنسان في العالم أجمع. ويشرح بطرس هذا قائلاً: "لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة". (٢بطرس ٣: ٩). لم تقدم نعمة الله الخلاص بيسوع المسيح فقط، بل أيضاً رغبته في أن يقبل كل إنسان هذا الخلاص. إن اشتياق الله وإرادته هما أن يخلص الجميع من الموت الأبدي.

لكن الحقيقة هي أنه لن يخلص الجميع. في الحقيقة كما قال يسوع، فإن غالبية الجنس البشري سوف يهلكون. يقول يسوع: "**ادخلوا من الباب الضيق، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه! ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه!**" (متى ٧: ١٣ ــ ١٤).

لماذا لن يدخل السماء سوى القليلين من البشر بينما يجد الكثيرون أنفسهم في الجحيم إلى الأبد؟ لقد تحمل يسوع ألماً وعذاباً وتضحية عظيمة لكي يأتي بالبشر جميعاً إلى الملكوت. فلماذا إذاً لن يجده سوى القليلين؟ الكلمة لن تفيدهم لأنها لم تمتزج بالإيمان. تذكر الكلمات الواردة في (يوحنا ٣: ١٦): "**لا يهلك كل من يؤمن به**". الأمر يحتاج إلى الإيمان. استمع إلى كلمات بولس:

"**لأنكم بالنعمة مخلّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله**". (أفسس ٢: ٨)

النعمة هي عطية الله الأبدية، وهي الوسيلة الوحيدة التي يمكننا بها أن ننال الغفران والتجديد ويكون مصيرنا هو السماء. لكن من الواضح أننا لا يمكننا أن ننالها إلا من خلال خط أنابيب الإيمان: "**إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان**". (رومية٣:٢٨). بدون خط أنابيب الإيمان، لا توجد نعمة، مع أنها مقدمة لنا بوفرة.

يقول بولس: "**فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟**" (رومية١٠: ١٤). يجب أن يسمع الناس "كلمة نعمته" حتى يكون لهم الإيمان أن يخلصوا.

لكن السماع بآذاننا الجسدية هو مجرد البداية، لأن بولس يكمل فيقول: "**لكن ليس**

الجميع قد أطاعوا الإنجيل" (ع ١٦). لماذا لا يطيع كل من يسمع؟ هناك أسباب عديدة، لكن بولس يقرر السبب الرئيسي في الآية التالية:

"إذاً الإيمان بالخَبَرِ، والخَبَرُ بكلمة الله". (ع ١٧)

لاحظ أن بولس يشير إلى نوعين من السمع: الأول بآذاننا الطبيعية، والثاني بقلوبنا. كان يسوع يقول باستمرار: "من له أذنان للسمع، فليسمع" (متى ١١:١٥، ١٣:٩، ٤٣، مرقس ٤:٩، ٢٣، ٧:١٦، لوقا ٨:٨، ١٤:٣٥). كل من كان يتحدث معه كان بمقدوره أن يسمع بأذنيه الجسديتين، لكنه كان يشير إلى سمع القلب، لأن هذا هو مقر الإيمان.

سوف يسمع القلب عندما يكون نبيلاً وجائعاً ومستعداً للتجاوب (انظر لوقا ٨:١٥). في هذه الأحوال عندما تخرج كلمة النعمة، سوف نسمعها، لأنها هي فقط التي لها القدرة على اختراق جوهر كياننا. "لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى ... القلب". (عبرانيين ٤: ١٢). الاختراق يعني المرور من خلال الشيء والوصول إلى الوجهة المرادة. كلمة الله فقط هي التي يمكنها أن تمر داخل عقلنا الواعي، أو فكرنا، أو مشاعرنا، وتصل إلى قلب كياننا، حيث تزرع الإيمان الحقيقي. عندما نعرف هذا سوف ندرك مدى أهمية النطق بكلمة الله – وليس النطق بالتقاليد، أو مبادئ القيادة، أو الأفكار الفلسفية، أو مفاهيم الله، وما شابه ذلك. الكلمة فقط يمكنها أن تخترق لكي تنتج إيماناً حقيقياً.

دليل الإيمان

لابد أن نسمع داخل قلوبنا؛ لأننا لا نخلص بالوعي الذهني أو المشاعر الدافئة أو حتى الموافقة العقلية، بل "القلب يؤمن به للبر". هذا هو الإيمان الحقيقي الذي ينشأ في كياننا الداخلي. قام كثيرون بتعقيد هذا الأمر، لكنه بسيط للغاية. الإيمان يصدق بعمق أن الله سوف يفعل ما يقوله، وبالتالي ينتج كلمات الموافقة وأعمال الطاعة. هذه الكلمات والأعمال هي ببساطة دليل على أن قلوبنا قد تشبثت بما قاله الله. هذا هو الأمر، وهو بسيط وواضح، ومع ذلك يصعب على الكثيرين فهمه.

دعونا نناقش باختصار الكلمات والأعمال المرتبطة بالإيمان، لأنها معاً تمثل الدليل على أن شخصاً ما قد دخل إلى النعمة.

أولاً، الإيمان له لغة. قال بولس: "أما البر الذي بالإيمان فيقول هكذا" (رومية ١٠: ٦).

وأيضاً: "**فإذ لنا روح الإيمان عينه، حسب المكتوب: «آمنت لذلك تكلمت». نحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلم أيضاً**". (٢ كورنثوس ٤: ١٣). إذاً، الإيمان الحقيقي يتحدث بلغة معينة.

يقول يسوع:

"**فأجاب يسوع وقال لهم: «ليكن لكم إيمان بالله. لأني الحق أقول لكم: إن من قال لهذا الجبل: انتقل وانطرح في البحر! ولا يشك في قلبه، بل يؤمن أن ما يقوله يكون، فمهما قال يكون له**". (مرقس ١١: ٢٢ ـ ٢٣)

لاحظ أن يسوع يؤكد على أن الإيمان الحقيقي بالله سوف يتكلم بما يتوافق مع ما يؤمن به، هذه هي لغة الإيمان. تتكرر كلمة "قال" في هذه الآية ثلاث مرات، وكلمة "يؤمن" مرة واحدة فقط. وهذا يؤكد كثيراً على لغة الإيمان. الإيمان الصادق يتكلم بما يتفق مع ما يؤمن به، لأن يسوع يقول: "**فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم**". (متى ١٢: ٣٤). لا يمكننا أن نبرهن على إيماننا بمجرد النطق بما نعرف أنه صحيح، بل بأن نتكلم بتلقائية بما نؤمن حقاً به. وكما قال كاتب المزامير: "**آمنت لذلك تكلمت**" (مزمور ١١٦: ١٠). فالإيمان يأتي أولاً، ثم يتبعه الدليل بالقول. ويؤكد بولس هذا فيقول: "نحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلم أيضاً". عندما نتعرض للضغوط، أو عندما لا نفكر عن وعي، فالذي يخرج من أفواهنا هو ما نؤمن به في الحقيقة، هذا هو دليل إيماننا أو قلة إيماننا.

يتصور الحق بشكل واضح في تجربة عاشها التلاميذ مع يسوع، فقد ظل يعلمهم طوال اليوم مبدأ كلمة الله والإيمان، ثم سألهم: "أفهمتم هذا كله؟"

وكانت الإجابة هي: "**نعم يا سيد**". (متى ١٣: ٥١). وكان يسوع على وشك اختبار ما إذا كانوا قد فهموا أو لم يفهموا تعاليمه طوال اليوم، لأن الروح القدس وضع في قلب يسوع أن يعبر بحر الجليل، لأن الله كان يريد أن يحرر شخصاً به شيطان على الضفة الأخرى. فقال يسوع: "**لنجتز إلى العبر**". (مرقس ٤: ٣٥).

دخل التلاميذ – الذين كان من بينهم صيادون مهرة عبروا هذا البحر مرات لا تحصى – إلى السفينة وبدأت الرحلة. كان يسوع مرهقاً نتيجة انشغاله طوال اليوم، فنام في المؤخرة.

ثم هبت عاصفة كبيرة مصحوبة بريح شديدة، وبدأت السفينة تمتلئ بالماء، ولم يعد أحد يرى الشاطئ. فاستنتج هؤلاء البحارة المخضرمون أنهم قد هلكوا.

والآن لاحظ رد فعلهم: "**فأيقظوه وقالوا له: «يا معلّم أما يهمك أننا نهلك؟»**" (**مرقس ٤: ٣٨**). صرخوا من فضلة قلوبهم. تكلموا بلغة الحواس الطبيعية بدلاً من لغة الإيمان لأنه لم يكن لديهم إيمان. وكانت المأساة كلها في أن يسوع قال لهم: "لنجتز إلى العبر". لم يقل لهم: "هيا بنا، ندخل السفينة، ونصل إلى منتصف الطريق، ثم نغرق".

لقد سمعوا كلمته بآذانهم الطبيعية، وليس بآذان قلوبهم. ولهذا قام وانتهر الريح وأمر البحر العاصف قائلاً: "**اسكت! ابكم!**" (آية ٣٩). ثم التفت إليهم وقال: "**ما بالكم خائفين هكذا؟ كيف لا إيمان لكم؟**" (آية ٤٠). كان يسوع يعلم أنهم لا إيمان لهم لأنه تحت الضيقة لم يسمع أية لغة إيمان تخرج من أفواههم؛ لقد تكلموا من فضلة قلوبهم، وبدون إيمان لم يمكنهم الدخول إلى النعمة اللازمة لاجتياز البحر. وبالتالي اضطروا أن يعملوا من منطلق قوتهم البشرية، الخاضعة لظروف معارضة ومغرقة، بدلاً من أن يتخطوا ما هو عادي ليعملوا بقوة الله في ما هو فوق العادة.

والخلاصة هنا مذهلة، لقد قالوا إنهم فهموا ما علمهم يسوع إياه في ذلك اليوم وآمنوا به. لكن عندما طغت الضغوط، خرج ما كان بداخل قلوبهم فعلياً؛ ففي العاصفة تكلموا، ولم تكن لغتهم هي لغة ما فوق العادة، بل ما يقوله الرجال العاديون في مثل هذه الظروف.

أعمال الإيمان

أما فيما يتعلق بأعمال الإيمان، فقد أوضح الرسول يعقوب هذا قائلاً: "**أرني إيمانك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالي إيماني**". (**يعقوب ٢: ١٨**). دعني أفسر كلماته أكثر بالعودة إلى مثال برج المياه. لقد كان البرهان على أننا ركبنا خط الأنابيب وثبتناه هو تدفق المياه من الصنبور. يمكنك أن تقف أمام حوض المطبخ وتعلن بجرأة أنك قمت بتوصيل منزلك بمصدر المياه الرئيسي. لكن إذا فتحت الصنبور ولم تخرج منه أية مياه، فالحقيقة هي أنك لم توصل منزلك بالمصدر.

هذا أيضاً صحيح مع النعمة والإيمان. يمكنك أن تعلن مراراً وتكراراً قائلاً: "أنا مخلَّص بالنعمة". وتفتخر بصلاح الله وتتحدث عن المحبة وتستخدم العبارات

المسيحية الرنانة الأخرى. لكن ما لم تكن هناك أعمال مرتبطة بهذه الكلمات – مثل أسلوب الحياة الذي يرضي الله – فإيمانك عبارة عن لغو فارغ. ولهذا السبب عينه يقول يسوع: "فإذاً من ثمارهم [أسلوب حياتهم] تعرفونهم" (متى ٧: ٢٠). ويعزز الرسول يعقوب كلماته بالقول:

"ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلّصه؟....لكن يقول قائل: «أنت لك إيمان، وأنا لي أعمال. أرني إيمانك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالي إيماني». أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون! ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت؟ ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال، إذ قدم اسحق ابنه على المذبح؟ فترى أن الإيمان عمل مع أعماله، وبالأعمال أكمل الإيمان ... ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده ... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت".

(يعقوب ٢: ١٤، ١٨ ـ ٢٢، ٢٤، ٢٦)

هذه كلمات قوية يجب أن ننتبه إليها؛ فرسالة يعقوب هي رسالة موحى بها من الله ضمن العهد الجديد، تماماً مثل الرسائل إلى أهل غلاطية ورومية أو أية رسالة أو إنجيل آخر. يريد يعقوب أن يحمينا من مجرد الموافقة العقلية على الحياة المسيحية التي بلا قوة، ويحمينا مما هو أسوأ من ذلك، وهو الخداع. فهو يحمينا من الموافقة العقلية على كلمة الله بدون الوصول إلى مصدر القوة الرئيسي، أي النعمة. كما أن جسد الإنسان ميت بدون الروح، هكذا يعتبر الإيمان ميتاً، أو غير أصيل، إذا لم تكن هناك ثمار للقداسة والبر في حياة الشخص، هذا يعني أنه لا يوجد إيمان حقيقي من القلب.

يتحدث يعقوب عن إبراهيم "الذي هو أب لجميعنا" (رومية ٤: ١٦)، وهو أبو الإيمان. نال إبراهيم وعداً بابن، لكنه احتاج إلى سنوات لكي يصدق هذا الوعد. كان اسمه في الأصل أبرام. لكن بمجرد أن آمن بقوة بأن الله سوف ينفذ ما وعد به، وبتوجيه من الله، سمى أبرام نفسه إبراهيم، الذي يعني "أباً لجمهور كثير".

هل يمكنك أن تتخيل ما ظنه الناس عن إبراهيم؟ عندما بلغ من العمر التاسعة والتسعين، قال لهم: "لم يعد اسمي أبرام، بل هو الآن 'الأب لجمهور كثير'." لابد أنهم ضحكوا عليه واعتقدوا أن هذا نتيجة الشيخوخة. "إما أن أبرام العجوز قد فقد عقله،

أو أنه في حالة إنكار للواقع". لكن إبراهيم لم يهمه ما ظنه الآخرون أو قالوه، لأنه كان يؤمن في قلبه، ولهذا فقد كان كلامه وعمله متوافقين.

قبل وصول ابن الموعد، تكلم إبراهيم بما كان يؤمن به وصار كما قال. لقد كانت كلمات إيمانه، المصحوبة بأعمال إيمانه، هي التي عززت قوة النعمة في حياته. اقرأ بعناية ما يقال لنا عن إبراهيم:

"كما هو مكتوب: «إني قد جعلتك أباً لأمم كثيرة». أمام الله الذي آمن به، الذي يحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة. فهو على خلاف الرجاء، آمن على الرجاء، لكي يصير أباً لأمم كثيرة، كما قيل: «هكذا يكون نسلك». وإذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان لم يعتبر جسده ـ وهو قد صار مماتاً، إذ كان ابن نحو مئة سنة ـ ولا مُماتيَّة مستودع سارة. ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله، بل تقوّى بالإيمان معطياً مجداً للّه. وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً". (رومية ٤: ١٧ ـ ٢١)

يمكننا أن نرى أن أعمال إبراهيم أظهرت أنه كان يؤمن؛ فهو لم يتصرف بطريقة ما لكي يقنع نفسه والآخرين أن لديه إيماناً. لا، بل الإيمان أتى أولاً، وتبعته كلمات الثقة والأعمال المرتبطة به.

وبعد سنوات، كان على إبراهيم أن يظهر دليلاً أيضاً على إيمانه؛ فقد طلب منه الله أن يذهب إلى أرض المريا ويقدم إسحق ذبيحة. هل يمكنك أن تتخيل مدى صعوبة هذا الطلب؟ ظل إبراهيم طيلة خمسة وعشرين عاماً ينتظر ابن الموعد الذي أحبه كثيراً، والآن يطلب منه الله أن يقدم ابنه للموت؟ لكن اسمع ما يسجله الكتاب المقدس: "فبكّر إبراهيم صباحاً وشدّ على حماره، وأخذ اثنين من غلمانه معه، وإسحق ابنه، وشقّق حطباً لمحرقة، وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله". (تكوين ٢٢: ٣). يا له من إيمان مذهل! لم يتردد إبراهيم، بل رحل في الصباح التالي. كيف يمكنه أن يكون سريعاً هكذا في تقديم الشيء الثمين لديه للموت؟ لماذا لم يصارع مع مشاعره لأسابيع قبل أن يستسلم في النهاية ويقوم بهذه الرحلة؟ والإجابة واضحة في كلماته:

"وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد، فقال إبراهيم لغلاميه: «اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد، ثم نرجع إليكما".
(تكوين٢٢: ٤ ـ ٥)

لماذا قال إبراهيم "نرجع إليكما"؟ إذا كان سيقدم إسحق للموت، كيف يمكن أن

يتحدث بلغة المثنى عن الرجوع؟ لقد كان إيمانه هو الذي يتكلم. كان متمسكاً بالإيمان بإعلان الله أنه بإسحق سوف يتحقق وعد الأمة العظيمة. ولذلك استنتج إبراهيم بطريقة ما أن الله سوف يقيم إسحق من رماد المحرقة. يخبرنا كاتب العبرانيين أنه: "**بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مُجَرَّب. قدم الذي قبل المواعيد، وحيده الذي قيل له: «إنه بإسحق يدعى لك نسل». إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً**". (**عبرانيين** ١١: ١٧ ـ ١٩)

بنى إبراهيم المذبح، وربط إسحق، ووضعه على المذبح، ورفع سكينه – في تمام الاستعداد لأن يميته. ثم ناداه الله من السماء قائلاً: "**لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمت أنك خائف الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني**". (**تكوين** ٢٢: ١٢). كانت أعمال طاعة إبرهيم دليلاً على أنه كان حقاً يخاف الله ويؤمن بكلمته فوق أي شيء آخر. كانت أعماله دليلاً على إيمانه.

ولهذا يقول يعقوب عن إبراهيم:

> "**فترى أن الإيمان عمل مع أعماله، وبالأعمال أُكْمِلَ الإيمان، وتم الكتاب القائل: «فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً» ودعي خليل الله. ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرر الإنسان، لا بالإيمان وحده**". (**يعقوب** ٢: ٢٢ ـ ٢٤)

لقد اختار الله قصة إبراهيم لكي يعلمنا إيمان العهد الجديد. ولهذا السبب، قال الرسول بولس: "**ولكن لم يكتب من أجله وحده ... بل من أجلنا نحن أيضاً**". (**رومية**٤: ٢ ـ ٢٤)

هذه المبادئ نفسها تنطبق علينا، بما أن الإيمان الحقيقي لا يتكلم فقط عما يؤمن به، بل يتصرف أيضاً بمقتضاه، ويكشف في النهاية عن تمكين النعمة.

الاقتداء بإبراهيم

لنرجع مرة أخرى إلى مثال خط أنابيب المياه. ما نطلبه في النهاية ليس هو خط أنابيب الإيمان بل مياه النعمة التي تتدفق من الصنبور؛ فالأنبوبة ما هي إلا قناة تأتينا بما نحتاجه بشدة. لذلك أكرر أن الهدف النهائي ليس هو الإيمان، بل نتيجة الإيمان، التي هي النعمة. فبها ننال الغفران، ونتغير إلى صورة الله، ونتمكن من أن نحيا حياة البر ونأتي بالسماء إلى الأرض. خلاصة القول: "بها نختبر حياة تفوق العادة وترضي الله".

من يعيشون بالناموس، هؤلاء الذين كان على بولس أن يواجههم مراراً كثيرة، كانوا يعلمون الناس أن البر يأتي من خلال أعمالنا. فإذا قمنا بأعمال صالحة، وحفظنا وصايا موسى، ولم نتعد قوانين الله، سوف نضمن دخول ملكوت الله. وبما أن هذا مستحيل على أي شخص سوى يسوع، فقد سلب هذا التعليم الحرية والقوة من الناس.

هذا التفكير ذاته يمكن أن يتخلل الحياة المسيحية أيضاً؛ فمن الممكن أن يؤمن الناس أنهم سوف يفلتون من الجحيم بنعمة الله، لكن من الناحية الأخرى، يؤمنون خطأ أنهم يمكنهم أن ينالوا بركات الله فقط إذا حفظوا كل وصاياه من خلال قوتهم الذاتية. هذا التوجه بالطبع يضع الإنسان مرة أخرى على مقعد القيادة لأنه يعني أن بركات الله يمكن استحقاقها من خلال الجهد والصلاح.

هذا التفكير ناموسي وسوف يبعدنا عن الإيمان الحقيقي وتمكين النعمة، وهو يناقض ما لاحظناه للتو في إبراهيم. فقد آمن أولاً، ثم تبع هذا الحياة الممكنة. ولمن وقعوا في شرك الناموسية، يقول بولس: "أهكذا أنتم أغبياء! أبعد ما ابتدأتم [حياتكم الروحية الجديدة] بالروح [القدس] تكملون الآن [بالاعتماد على] بالجسد؟" (غلاطية ٣: ٣)

الإيمان الحقيقي يعرف أن التقوى نتاج النعمة، وهو ما يمكن الوصول إليه فقط عن طريق تصديق ما قاله الله (كلمته المعلنة). إذا آمنا فبالتالي سننال التمكين، وطالما نختار ألا نعيش في جسدنا بل أن نبقى في الروح، حيث توجد النعمة، فحياتنا سوف ترضي الله وسوف تتدفق البركات التابعة لذلك. إذاً الكفاية هي من الله، وليست من مجهوداتنا البشرية الخاصة؛ فنحن نعرف أن لنا هذا التمكين ونتكل عليه، وأن لنا القدرة التي لا يمتلكها من يحيون بدون الإيمان.

صراعاتي الخاصة

عندما كنت شاباً، اصطحبني أبي لمشاهدة فيلم "الوصايا العشر" الذي كان يقوم بالبطولة فيه "تشارلتون هيستون". وأثناء الفيلم، وقعت تحت تبكيت هائل. كنت مراهقاً متمرداً أعيش حياة بعيدة عن الله، وكشف هذا الفيلم خطيتي. عندما رأيت مشهد الأرض وهي تنشق لتبتلع داثان وأصدقاءه المتمردين وتهلكهم، شعرت بالرعب.

خرجت من الفيلم وأنا أتوب بشكل جنوني عن خطاياي الكثيرة، واتخذت قراراً حازماً أن أعيش حياة تقية من ذلك اليوم فصاعداً. ونتيجة لذلك، تغيرت حياتي ... لحوالي أسبوع. بعدها عدت إلى كل أنماطي السلوكية القديمة. لماذا لم أستطع أن أعيش كما كنت أريد؟ والإجابة بسيطة – لأني لم أكن قد نلت تمكين النعمة؛ فقد كانت هناك توبة لكن بدون نعمة لأنني لم أسلم حياتي ليسوع المسيح من خلال الإيمان. ولهذا استمرت داخلي طبيعة الخطية ذاتها.

بعدها بسنوات قليلة قبلت يسوع المسيح رباً لي، وآمنت بصدق وسلمت حياتي له، وعندها أصبحت أرى بعض التغيير في حياتي وأنماط سلوكي. لكن بطرق عديدة كنت لاأزال أعيش حياة مسيحية خالية من القوة لأنني لم أكن أعرف ما كان بداخلي. لم أكن أعرف عن طبيعتي الجديدة، وكيف جُعلت بر الله في المسيح. كل ما عرفته هو أنني نلت الغفران ولم أعد مضطراً أن أذهب للجحيم.

وبعد فترة تعلمت أهمية أن أعيش حياة التقوى والقداسة، وفي غيرتي لكي أرضي الله، بدأت أطالب نفسي والآخرين أيضاً بأسلوب الحياة المقدسة. كان هذا أمراً فوضوياً ومدمراً؛ فقد كنت أتسبب في عدم راحة للقريبين مني، بل إن بعضهم تجنبوا الوجود بالقرب مني. كنت قاسياً، ناموسياً، وبلا شفقة. بدأت بالروح، لكنني الآن كنت أحاول أن أكمل بقوتي الذاتية.

ومع مرور الوقت، كشف لي الله من خلال كلمته ما كتبته في هذا الفصل؛ فقد اكتشفت أن القوة والكفاية كانتا منه هو، لا مني. وتماماً كما لم أستطع أن أعيش حياة التقوى بعد مشاهدة فيلم "الوصايا العشر"، فمع كوني مؤمناً كنت لا أستطيع أن أخدم الله الخدمة المرضية بدون الدخول إلى النعمة من خلال الإيمان. خلاصة القول هي أنني كنت أحاول أن أعيش حياة التقوى بدون قوة النعمة، وهذا غير ممكن.

يقول الله في كلمته إن شعبه هلكوا أو تعرضوا للسبي بسبب "عدم المعرفة" (هوشع ٤:٦، إشعياء ٥: ١٣). لم تكن لدي المعرفة عن تمكين النعمة لأنها لم تكن حقيقة داخل قلبي. ولهذا فبالتأكيد لم يكن لي الدخول إلى تلك القوة التي كنت في أمس الحاجة إليها؛ فبدون الإيمان لم أكن قادراً على أن أحيا الحياة التي ترضي الله، مع أنني كنت أؤمن أن دم يسوع قد طهرني من كل خطية وأنني سوف أدخل السماء.

ومثل الكثيرين اليوم، كنت أعرف أنني مسيحي مخلَّص بالنعمة، لكنني كنت أعيش حياة عادية جداً، بل والانهزام في بعض المناطق.

يجب أن نواجه الحقائق: لا يمكننا أن نعيش حياة التقوى بقدرتنا الشخصية، ولا يمكننا أن نرضي الله بقوتنا. لابد أن نتذكر مثال إبراهيم. فقد قرر أن يعيش لا على أساس ما تقول ظروفه الطبيعية إنه لا يقدر أن يفعله، بل على أساس ما قال الله إنه سيفعله. آمن إبراهيم. كان هذا هو كل ما يمكنه فعله، وكان هذا أكثر من كاف. وكما كان مستحيلاً بالنسبة لسارة وله أن ينجبا طفل الموعد، هكذا نحن أيضاً لاً يمكننا أن نحقق خطة الله في حياتنا بقدرتنا الخاصة. الحل الوحيد هو ببساطة أن نتضع ونؤمن، وعندما نفعل هذا، سنكون متصلين بقوة المسيح الفائقة بمجرد الإيمان. هذا هو ما يفصل بين شخص يغلب قبضة العالم وشخص لازال مسجوناً داخلها؛ فالأول لديه الإيمان، بينما الثاني ليس كذلك.

بدون الإيمان لا يمكن إرضاء الله. بدون الإيمان والنعمة، سوف نعيش حياة عادية وليست فوق العادة.

تأملات لرحلة فوق العادة

هل اختبرت قوة كلمة الله في حياتك؟ اذكر بعض الأمثلة.

في اعتقادك كيف سيكون رد فعلك لو كنت في السفينة أثناء العاصفة الرهيبة في بحر الجليل؟

ما هي الطرق التي يمكنك بها أن تفتح خط أنابيب الإيمان في حياتك حتى تتدفق نعمة الله بحرية أكثر؟

الفصل الثالث عشر
فـــوق الإدراك

مع أن النعمة تُمنح مجاناً، إلا أنه يمكن الدخول إليها فقط عن طريق الإيمان، ويمكننا أن نتصل بغناها من خلال الإيمان. إذا استقرت هذه الحقيقة في قلبك وفكرك، سوف توفر على نفسك الانقياد بالمشاعر غير الدقيقة أو الظروف المعاكسة أو أكاذيب العدو، فالأمر كله لا يتعلق بكم نحن لطفاء أو متحمسين أو صادقين أو نشطاء، بل يتعلق بالإيمان بكلمة الله.

"لأن فيه (الإنجيل) معلن بر الله بإيمان، لإيمان (نحن نتبرر في نظر الله من البداية إلى النهاية بالإيمان)" (رومية ١: ١٧)

إن مسيرتنا المسيحية بأكملها، منذ اليوم الذي ننضم فيه إلى عائلة الله إلى أن نراه وجهاً لوجه، يتعلق كله بالإيمان بكلمته أكثر مما يتعلق بما نراه أو نسمعه أو نختبره. لاحظ أنني ظللت أكرر عبارة "يتعلق كله بـ". أنا لا أكرر الكلام فقط، بل إن الأمر كله يتعلق بالإيمان. ولهذا السبب يقول لنا الكتاب المقدس: **"أما البار فبالإيمان يحيا"**. (**عبرانيين** ١٠: ٣٨).

الله يعطي نعمة للمتواضعين

ربما تتساءل قائلاً: "ولكن ماذا عن الاتضاع؟ ألا يقول الكتاب المقدس 'أما المتواضعون **فيعطيهم نعمة**' (**يعقوب** ٤: ٦)؟" هذا صحيح بالتأكيد، لكن من هم المتواضعون سوى الذين يؤمنون بمشيئة الله ويطيعونها أكثر مما يشعرون به أو يعتقدونه أو حتى يريدونه؟ يقول لنا الكتاب المقدس:

"(الرجل المتكبر) هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه. والبار بإيمانه يحيا". (**حبقوق** ٢: ٤)

ترسم لنا الكلمة المقدسة صورة للكبرياء والإيمان على أنهما متضادان. كان يمكن أن تكتب هذه الآية هكذا: "(الرجل غير المتضع) هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه. والبار بإيمانه يحيا". واضح أن الاتضاع والإيمان يسيران جنباً إلى جنب، وهكذا الكبرياء وعدم الإيمان. عدم الإيمان بالله يعني أن نقول إننا نعرف أفضل من الله ونثق في حكمنا أكثر مما نثق في حكمه، عدم الإيمان ما هو إلا كبرياء مقنَّع.

اسمح لي أن أوضح هذا. عندما كان بنو إسرائيل في البرية، تم إرسال الجواسيس لينظروا أرض الموعد لبني إسرائيل. قال الرب لموسى: "**أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل**". (**عدد**١٣:٢).

وتم إرسال اثني عشر قائداً (واحداً عن كل سبط)، لكن عشرة منهم كانوا في غاية الاتضاع، واثنان كانا متكبرين (أتكلم ظاهرياً). رجعت المجموعة من أرض الموعد بعد استكشافها لمدة أربعين يوماً. وقف الرجال العشرة المتضعون أولاً وقالوا: "لقد تجسسنا الأرض، وهي بالحق تفيض لبناً وعسلاً. انظروا إلى الثمار التي جلبناها! لكن توجد بها جيوش قوية فيها عمالقة، وهم محاربون متمرسون، ولديهم أسلحة أعظم بكثير مما لدينا. دعونا نواجه الحقيقة: نحن لسنا إلا مجموعة من العبيد الذين تحرروا حديثاً. يجب أن نفكر في زوجاتنا وأطفالنا. كيف يمكننا أن نعرض أحباءنا للقسوة وإمكانية التعذيب والاغتصاب والموت المحقق؟ يجب أن نكون آباء وأزواج صالحين ونقدم لكم حقيقة هذا الموقف: من المستحيل أن نأخذ الأرض" (انظر عدد ١٣–١٤).

ووافق الجمع، بل وأثنوا على اتضاع و"حكمة" هؤلاء الرجال. وأنا متأكد أن غالبية الآباء والأمهات الذين سمعوا تقريرهم كانوا ممتنين لتصرفهم المعتدل. وعزى شعب إسرائيل أنفسهم بالقول: "نحن سعداء لأن هؤلاء الرجال ذهبوا قبلنا. يا لهم من قادة عظماء، فلم يتصرفوا بدافع كبريائهم ويعرضونا للأذى. ماذا كان سيحدث لنا بدون تفكيرهم العاقل هذا؟"

وفجأة تقدم القائدان "المتكبران" كالب ويشوع، وصرخا قائلين: "تمهلوا لحظة! ما الذي تفعلونه؟ لابد أن نذهب ونأخذ الأرض – الآن. يمكننا أن نفعل هذا! لدينا كلمة وعد من الرب بهذه الأرض. هيا لنتحرك!"

هل يمكنك أن تتخيل رد فعل القادة الآخرين تجاه كالب ويشوع؟ "ما الذي تتحدثان عنه؟ اخرسا أيها المولعان بالمظاهر. هل جننتما؟ لقد رأينا كل تلك الجيوش – وهم محاربون مهرة. نحن مجرد مجموعة عبيد ولا نضاهيهم. أنتما لا تفكران في زوجاتنا وأولادنا وخير أمتنا. أنتما متغطرسان، ومتهوران، ومثاليان!"

تنهد الجميع قائلين: "شكراً لله أن الحكماء هم الأقوى ولم يتراجعوا عن موقفهم.

نحن محظوظون للغاية بأن أغلبية الاثني عشر متضعون ومتعقلون. هل يمكن أن تتخيل ماذا كان سيحدث لنا لو كنا كلنا أنانيين مثل كالب ويشوع؟"

وفجأة تدخل الله وقال: "**حتى متى يهينني هذا الشعب؟ وحتى متى لا يصدقونني؟**" (**عدد**١٤: ١١). واضح أنه لم يسر بهم؛ فما كان يبدو تواضعاً لم يكن تواضعاً على الإطلاق، بل كان عدم إيمانهم هذا في حقيقته كبرياء. كانوا يبنون كل حساباتهم على قوتهم الخاصة. يقول الله في موضع آخر على لسان النبي إرميا: "**هكذا قال الرب: ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان، ويجعل البشر ذراعه، وعن الرب يحيد قلبه ... مبارك الرجل الذي يتكل على الرب، وكان الرب متكله**". (إرميا١٧: ٥،٧). عشرة من الجواسيس رأوا عظمة العمالقة وبنوا توقعاتهم في المعركة على القوة البشرية. لكن كالب ويشوع رأيا عظمة الله في مقابل العدو وبنوا تقديراتهم بالكامل على قوة الله. هذان الاثنان نالا البركة في النهاية، بينما لُعن العشرة الآخرون. أي من القادة إذاً كان حقاً متضعاً أو متكبراً؟ في نظر الله، كان العشرة متكبرين، وكان الاثنان فقط هما المتضعان.

الإيمان بالله يتطلب تواضعاً صادقاً لأنك يجب أن تتكل على قدرته وليس على قدرتك أنت. أقول مرة أخرى إن هذا هو ما يقوله الله: "(الرجل المتكبر) هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه. والبار بإيمانه يحيا".

موطدون في الإيمان

لابد لكلٍ منا أن نكون "**موطدين في الإيمان**" (**كولوسي** ٢: ٧). إذا كنا ثابتين في إيماننا، فلن نتزعزع بسهولة عن قلب الله ومقاصده. قال بولس إن مهمته بالنسبة لمن أُرسل إليهم، بما في ذلك نحن بالتأكيد، هي أن "**نكمل نقائص إيمانكم**" (١ **تسالونيكي**٣: ١٠). ترجمة أخرى تورد كلمات بولس هنا على أنها "نصلح ونصحح ما قد يكون غير كامل وناقصاً في إيمانكم". هذا القصد نفسه هو ما جعلني أكتب هذا الكتاب، فأنا أتصفح بعناية إعلانات العهد الجديد عن مَن نحن وما المتاح لنا في المسيح، وبينما تقرأ بنظام هذا الإعلان عن النعمة، سوف تكتشف هويتك، وأثق أن إيمانك سوف يتقوى.

هناك مثال سوف يساعد على توضيح هذا. تخيل أنك ولدت ابناً لملك، ووارثاً لعرش المملكة التي قُدر لك أن تحكمها. لكن بعد ولادتك مباشرة، اختطفك بعض

الأشخاص وأخذوك إلى منطقة بعيدة في الريف، بعيداً عن القصر. وبينما كان هؤلاء الأوغاد يربونك كانوا يرددون باستمرار أنك ولدت فقيراً وأنك شخص عادي وفاشل ولن تصل إلى أكثر من مجرد عبد. ماذا ستكون النتيجة؟ بالرغم من أنك من سلالة ملكية، لكنك ستكبر وتعيش وتتصرف وتتحدث وتفكر مثل العبيد.

ظل أبوك الملك على مدار سنوات طويلة يرسل فرق إنقاذ للبحث عنك بلا توقف. وفي أحد الأيام، وبعد مرور حوالي عشرين عاماً من تمشيط المملكة كلها، استطاعت إحدى الفرق العثور عليك وتحريرك وإحضارك إلى بيتك في القصر. وأقيم احتفال كبير لأن وريث العرش قد عاد إلى مكانه الصحيح.

ومع أنك الآن في مكانك الصحيح في الحياة، إلا أن مسألة تغيير أنماط سلوكك من عبد إلى وريث للعرش سوف تستلزم الكثير من التدريب وإعادة البرمجة. هل يمكنك أن تتخيل أول يوم لك في القصر؟ سوف تنهض من فراشك وتتجه إلى الحدائق والحظائر الملكية لكي تجمع طعام إفطارك. وعند عودتك إلى القصر بالفاكهة والخضروات والحليب الطازج، سوف يتساءل خدامك قائلين: "ما الذي تفعله يا سيد؟"

فتجيب: "أجلب الطعام".

فيقولون: "لكنك لديك خدام يقومون بهذا، بما في ذلك الطباخ الملكي، الذي يعد أشهى الأطباق في البلاد." وسرعان ما تعود إلى غرفتك لكي ترتب فراشك، وتنظم الغرفة، وتغسل ثيابك في المغسلة. مرة أخرى سوف يسألك الخدام: "يا سيد، ما الذي تفعله؟"

"أرتب غرفتي وأنظف ثيابي".

فيقولون: "ولكنك لديك مدير للمنزل لكي ينظف غرفتك وثيابك".

عندما كنت أسيراً، لم يكن لديك خيار في هذه الأمور، كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي يُسمح لك بالعيش بها، فقد كان عليك أن تجلب الطعام لسادتك القساة، وتأكل فتات الطعام، وتنظف ثيابهم – بالإضافة إلى ثيابك، كنت عبداً حقيراً بكل الصور.

سوف يكون سلوكك في اليوم الأول في القصر غريباً، لكن هذا يسهل تغييره؛ فلن يصعب إقناعك بأن تسمح للخدام أن يقوموا بالتنظيف والطهي. لكن ما تم غرسه في نسيج كيانك لسنوات، هو ما سيصعب التعامل معه. فسوف يلزم التعامل مع

عملية التفكير لديك بوجه عام على مستويات أعمق. إذ يجب مواجهة وتغيير الطريقة التي تفكر بها وتتعامل بها مع الناس وتتخذ بها القرارات. يجب أن تُنزع عقلية العبد التي لديك طبقة بعد الأخرى وتُستبدل بعقلية الأمير. ومع أنك وريث للعرش، فيمكن أن تستمر في الحياة على مستويات كثيرة بالطريقة التي تربيت عليها. يجب أن تتم إعادة برمجة اللاوعي لديك حتى يمكنك أن تفكر كأمير. يجب أن تتعلم هويتك الجديدة وماذا يعني أن تكون لك مصادر الأمير. وهذا سوف يستلزم وقتاً وجهداً.

وهذا بالضبط ما يقوله بولس؛ فقد ولد كل منا عبداً لما هو "عادي". ولكن الآن يجب أن نتحرر لكي نفكر ونؤمن بطريقة "فوق العادة". يريد بولس أن "**يصلح ويصحح ما قد يكون غير كامل وناقصاً في إيمانكم**" (١ تسالونيكي ٣: ١٠). إذا صدقنا أننا لا نختلف عمَّن لم يتحرروا بنعمة الله، سوف نعيش مثلهم، في ما هو عادي. سوف نعيش بالطريقة التي تدربنا عليها، كمسبيين لنظام هذا العالم. لكن إذا سمحنا لكلمة الله أن تغير الطريقة التي نرى بها أنفسنا، وصدقنا هذا حقاً في قلوبنا، فسوف نبدأ في العيش بما يتفق مع ملكية السماء، أي في نطاق ما هو فوق العادة!

يريد الله أن يعيد تدريب تصوراتنا عن أنفسنا، والتي توجد بعمق في كياننا الداخلي؛ فكلمته تقول: "**وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب**". (١ بطرس ٢: ٩).

وأيضاً "**الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكاً**" (رؤيا ١: ٥ ـ ٦). وأيضاً "**الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح**". (رومية٨: ١٦ ـ ١٧).

أنت وارث لملك الكون! أنت واحد من الجنس الملوكي؛ لقد أفرزك الله لتكون واحداً من الطبقة الحاكمة من أولاد وبنات الله. يجب أن نعي هذا كمؤمنين في قلوبنا، لأنه عندها فقط يمكننا أن ندخل إلى قوة الطبيعة الإلهية ونأتي بالمجد لأبينا السماوي.

الأمر كله يتعلق بتصديق الحق عن أنفسنا، لأننا إذا لم نؤمن، فلن يكون لنا الدخول إلى إمدادات النعمة العجيبة لإلهنا.

عظمة قدرته

لنتعمق أكثر في دور الإيمان في قوة طبيعتنا الجديدة الموروثة، وأيضاً كيف يأتي الإيمان بإمدادات الملكوت إلى الأرض. يقول بولس بجرأة: "**بنعمة الله أنا ما أنا**" (١ كورنثوس ١٥: ١٠). يا لها من عبارة! عندما تقول "أنا" فهذا يعني أنك تعرف بكل تأكيد من أنت. هذه هي لغة الإيمان – لا يوجد فيها شك، أو تشتت، أو حيرة. تتحدث بثقة لأنك تعرف في داخلك أن هذا هو الحق. هناك حسم في القول "أنا". فأنت تقول للآخرين "يمكنكم أن تسموني ما شئتم، يمكنكم أن تعيّروني بماضيّ الحقير أو بأن أسرتي ليست ذات شأن عظيم، أو يمكنكم أن تقولوا إنني سأفشل حتماً. لكن هذا لا يشكّل صورتي على الإطلاق، لأنني أعرف من أنا؛ فحالتي ليست مؤسسة على ما فعلته أو ما أستحقه، لقد قبلت هذه الحالة بالإيمان، وأنا واحد مع يسوع – كل هذا بنعمة الله!"

لم يحيا بولس بنفسه فقط في قوة هذه المعرفة، بل كان يصلي أيضاً بحرارة حتى تكون هذه الحقيقة نفسها في قلب كل المسيحيين. فقد كان يطلب من الله أن تستنير عيون أذهاننا:

"**لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين (خاصته) وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين (الذين نؤمن) حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات**". (أفسس ١: ١٨ ــ ٢٠).

هذه الصلاة عميقة؛ فبولس يقول إن هناك قوة غير محدودة ولا يمكن قياسها فينا نحن الذين نؤمن بهذا. وكلمة "مؤمنين" هي المفتاح. أي أن هذه القوة متاحة فقط لمن لديهم الإيمان. يصلي بولس قائلاً: "أطلب من الله أن يمنحكم القدرة على أن تعرفوا من أنتم بنعمة الله. لماذا؟ حتى يمكن أن يكون لكم الإيمان الذي يغلب تأثير العالم وقوته".

ويلقي يوحنا ضوءاً أكبر على هذا فيقول:

"**فإن هذه هي محبة الله: أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة، لأن كل من ولد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا**". (١ يوحنا ٥: ٣ ــ ٤).

والسبب الذي لأجله تعد وصايا الله ليست ثقيلة أو صعبة هو أننا نلنا من خلال النعمة القدرة على أن نحفظها. لم تعد نواميس الله قيوداً علينا، كما كان الحال مع

أناس العهد القديم، بل أصبحت لنا الإمكانية أن نعيش بسرور في طرق الله. وهذه القدرة نصل إليها فقط من خلال الإيمان. ولهذا السبب يعلن يوحنا أن "الإيمان" هو الغلبة التي تغلب العالم الذي يأسر غير المؤمنين جميعهم في عبودية الخطية. ولهذا السبب يقول لنا الكتاب المقدس إننا "**بالإيمان نسلك لا بالعيان**" (٢ كورنثوس ٥: ٧). أي أننا نحيا بما نؤمن به، وليس بما نراه أو نسمعه أو نتذوقه أو نشمه. كل شيء يتناقض مع كلمة الله قابل للتغيير؛ لأن كلمة الله فقط هي التي تظل للأبد. ولهذا يجب أن يكون تركيزنا على ما يقوله الله، وليس على الظروف المتغيرة باستمرار.

لكن الأمر يتخطى مجرد الحرية من العبودية؛ ففي صلاة بولس يصلي بحرارة أيضاً لنا لكي نعرف "ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين (خاصته)". إنه يصلي لنا لكي ندرك أننا لم نخلص فقط من عبودية الخطية، بل أصبحنا ورثة ملوكيين للسماء أيضاً. ولهذا يقول أيضاً إن هذه القوة غير المحدودة التي لا يمكن قياسها التي أقامت يسوع من الأموات قد أُعطيت لنا. تأمل في مدى روعة هذا الأمر!

الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى قوة هي dunamis. وهي تُعرَّف على أنها قوة وقدرة. يورد معجم "ثاير" اليوناني الإنجليزي تعريف هذه الكلمة على أنها "القوة الكامنة في شيء ما بطبيعته". هذا التعريف يتوافق جيداً مع ما صلى بولس لأجله، فهي قوة متأصلة. تذكر ما جاء في إنجيل يوحنا: "**ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة**". (يوحنا ١: ١٦). لقد أعطتنا نعمة الله طبيعة جديدة، ليست أقل من ملء الله، وهي قوة متأصلة وهي ذاتها القوة التي أقامت يسوع من الأموات. هذا الأمر رائع لدرجة تفوق الإدراك!

إن القوة التي أقامت يسوع من الأموات تسكن فينا، ولذا تخاف الشياطين من اكتشافك لما أعطته إياك النعمة. ولهذا عمل العدو باجتهاد لكي يقلل من قدر النعمة لتكون مجرد "تأمين ضد الحريق" أو "الساتر الأكبر". إذا اكتشفت من أنت، سوف تنهض وتمثل تهديداً عظيماً لعمله، وسوف تعيش حياة فوق العادة وترضي أباك السماوي كثيراً.

والآن هل يمكنك أن تفهم لماذا قال يسوع: "**الأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها**" (يوحنا ١٤: ١٢)؟ إنه يقول لنا: "**إن ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم** [الإيمان]

تطلبون ما تريدون فيكون لكم. بهذا يتمجد أبي: أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي". (يوحناه ١:٧ـ٨). يتمجد الله عندما نعيش كما عاش يسوع. فهو لا يتمجد عندما نصارع مع عدم القدرة التي دفع يسوع ثمناً كبيراً ليحررنا منها. لقد خُلقنا لكي نملك في الحياة – أجل نملك في الحياة. استمع إلى كلمات بولس:

"لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح!" (رومية ٥:١٧)

هذا يعني أن نرتفع فوق المعتاد. لم نعد نحيا في الوضع الراهن، بل إننا الآن أصحاب نفوذ ولسنا تابعين. إذا كنت معلماً، يجب أن تنتج أكثر الطرق إبداعاً وابتكاراً في توصيل المعرفة والحكمة، يجب أن يندهش المعلمون الآخرون من إبداعك. إذا كنت مصمماً، فيجب أن تكون أفكارك المبتكرة متقدمة ومحددة وجديدة، يجب أن تكون رائداً في مجالك. وإذا كنت صاحب أعمال، يجب أن تأتي بأفكار ابتكارية واستراتيجيات تسويق متميزة وسباقة، يجب أن يكون بمقدورك أن ترى ما هو مربح وما ليس كذلك. سوف تعرف متى تشتري ومتى تبيع. سوف يصاب أصحاب الأعمال الآخرون بالحيرة وهم يحاولون أن يكتشفوا سبب كل هذا النجاح الذي تتمتع به.

إذا كنت ربة بيت، يجب أن تكوني أكثر امرأة لها اتساع خيال وشغف وحكمة بين جيرانك الأخريات اللواتي لم تخلصن بالنعمة سوف تأتين إليك للحصول على النصيحة. وإذا كان لديهن أطفال مرضى، سوف تضعين يديك عليهم، مثل يسوع، فيبرأون. عبارة "نملك في الحياة" تعني في الأساس أننا نسدد احتياجات الناس بقوة النعمة الفائضة التي بداخلنا، هذه هي الغلبة التي تغلب العالم، والتي تجعلنا نملك في الحياة – إيماننا!

لماذا لا نؤمن؟ لماذا أصبح إيماننا في غاية التعقيد؟ لماذا لا نستمتع بحياة تقية غالبة متقدمة في كل مجالات الحياة؟ لماذا لا نكون أكثر الناس إبداعاً وابتكاراً ونجاحاً وحكمة على الأرض؟ لماذا لا نتحنن ونشفي المرضى ونحرر المأسورين؟ السبب الذي لأجله صلى بولس هذه الصلاة هو أن ننال إعلاناً عن تلك القوة المدهشة المتاحة لنا عندما نؤمن. ولهذا يعلن بعد ذلك قائلاً:

"والقادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا، له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور. آمين". (أفسس ٣:٢٠ـ٢١)

هل أدركت معنى هذه الكلمات؟ إنه "القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر". هل يمكنك أن تسمع الصفات التي يستخدمها بولس للحديث عن عظمة ما يمكن أن يفعله الله من خلالنا ولأجلنا؟ وليس هذا فقط، فإن قوته لا تُعطى من عرشه بين الحين والآخر، أو في مناسبات نادرة عن طريق الملائكة. كما أنها ليست قوة خاصة كانت على التلاميذ عندما أرسلهم يسوع لكي يشفوا المرضى ويقيموا الموتى. كلا، إنها قوته التي تعمل وتسكن فينا، وقد أعطيت لنا في طبيعتنا من خلال روحه. عندما ننال هذا الإعلان في قلوبنا، سوف نملك عندئذ في الحياة، ونغلب قوى العالم وتأثيراته. لن نكون مهزومين أو مدانين أو غير مثمرين، سوف نأتي بثمر كثير ونحيا متمثلين بالله كأولاده الأحباء.

تأتي كلمات بولس في الترجمة المنقحة للكتاب المقدس بصورة أقوى فتقول: **"والقادر، [بأعمال] قوته التي تعمل فينا، أن [يحقق مقصده و] يفعل بفيض كثير أعلى وأسمى من كل ما [نجرؤ على أن] نطلبه أو نفتكر فيه [بلا حدود بما يفوق أكبر صلواتنا أو رغباتنا أو أفكارنا أو آمالنا أو أحلامنا] ـ له المجد".**

يا لروعة هذه الكلمات! فالأمر ليس فقط أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بل بفيض كثير أعلى وأسمى! وكأن هذا لا يكفي، فيضيف بولس قائلاً: "بلا حدود بما يفوق أكبر صلواتنا أو رغباتنا أو أفكارنا أو آمالنا أو أحلامنا"! توقف وتأمل في كل هذا للحظة واحدة فقط. إن هذه العبارة "بلا حدود بما يفوق" تتخطى كل إدراك بشري، إنها تفوق العادة! لماذا إذاً لا نرى هذه القوة تعمل باستمرار من خلال المسيحيين؟

الله القادر

والإجابة موجودة في كلمة صغيرة واحدة يؤكد عليها بولس وهي القادر. دعونا نفكر في هذا من خلال مثال توضيحي. افترض أن هناك إعصاراً عصف بمدينتك، وحدث دمار واسع وانقطعت الكهرباء في كل مكان، والأسوأ من كل هذا أنه لا توجد مياه عذبة.

وسرعان ما أحضرت القوات العسكرية شاحنات محملة بالصهاريج المملوءة بالمياه الصالحة للشرب. وأعلنوا أنهم قادرون أن يعطوك مياهاً على قدر ما تستطيع حمله. كل ما عليك أن تفعله هو أن تحضر أوعية فارغة، وهم سيملأونها لك.

سوف يكون شيقاً أن ترى استجابات الناس لهذا الأمر؛ فهناك من أتى إلى صهريج المياه بعبوة مياه غازية فارغة كان قد اشتراها من أحد المتاجر قبل العاصفة. هذا الرجل مضى ومعه أقل من لتر من المياه. وهناك من أتى بوعاء سعته جالون واحد ومضى ومعه حوالي أربعة لترات من المياه. ثم أتى آخر بدلو سعته خمسة جالونات ومضى ومعه حوالي ١٩ لتراً من المياه. وأخيراً أتى آخر ومعه حوض استحمام وضعه في خلفية شاحنته ومضى ومعه ٤٠ جالوناً أي ما يعادل حوالي ١٥١,٥ لتر من المياه العذبة.

ثم عاد هذا الرجل الذي كان معه الحوض في سيارته إلى بيته، الذي اتضح أنه مجاور للرجل الذي لم يكن معه سوى عبوة المياه الغازية. وعندما أدرك الرجل صاحب عبوة المياه الغازية أن جاره عاد إلى المنزل ومعه أكثر من ١٥٠ ضعفاً لما حصل هو عليه، غضب وثار. واحتج أمام الجيران الآخرين وأمام البلدية، وأخيراً أمام القوات العسكرية قائلاً: "لماذا لم أحصل على المزيد من المياه؟ لماذا حصل جاري على الكثير؟"

فأجابه اللواء المسئول عن هذه العملية إجابة بسيطة قائلاً: "لقد أخطرناك أننا قادرون على أن نعطيك كل المياه التي تقوى على حملها. لماذا لم تحضر إناءً أكبر؟"

وهذا هو ما يحاول بولس أن يقوله. الله قادر أن يفعل، من خلال القوة التي وضعها فينا، بفيض كثير أعلى وأسمى من كل ما يمكننا أن نطلب أو نفتكر. وهكذا فإن "إناءنا" هو مقدار ما يمكن أن نفتكر فيه أو نطلبه، وبالطبع سيكون هذا متطابقاً مع ما نؤمن به في قلوبنا فعلياً. مهما كان عمق تفكيرك أو بُعد صلاتك، فإن قوة الله فينا قادرة على أن تفعل أكثر منه. ولهذا فإن تفكيرنا هو الذي يحد قوة الله الساكنة فينا.

للأسف فإننا كثيراً ما رضينا بأقل من قدرة الله! لماذا لم نفكر ونتخيل ونصلي على نطاق أكبر؟ والإجابة بسيطة: لأن إيماننا لم يكبر. لم نفحص وعود عهده ونؤمن بها ببساطة. فقد تأثرنا بالعالم وانسقنا أكثر بمشاعرنا ومنطقنا وخبراتنا بدلاً من أن تلهمنا كلمته.

لماذا نسمع هذا الصوت العادي بل والانهزامي من على منابرنا، في حين أن الله قد أتاح لنا هذه النعمة العظيمة من خلال الإيمان؟ لقد حارب العدو بدون كلل لكي يحجب عنا حق النعمة. وفعل كل ما بوسعه ليقنع الوعاظ والخدام والكتاب والرعاة وغيرهم من المؤمنين أن يتكلموا من منطلق فهمهم، وخبراتهم الشخصية، أو أمثلة الآخرين الذين آمنوا بما هو أقل بكثير من ميراثهم. هؤلاء أعلنوا وعلَّموا ما هو منطقي بالنسبة للعقل البشري وما شهدوه في الماضي.

لكن هذا خطأ صريح! يجب أن ننمو إلى صورة الله من مجد إلى مجد. إذا استطاع العدو أن يبقينا مقيدين بخبراتنا السابقة بدلاً من أن نؤمن بما تقوله كلمة الله ونظهره، فعندئذ يمكنه أن يعوقنا عن أن ننمو لنكون أناساً أقوياء ومثمرين. كما يمكنه أيضاً أن يعوق الكنيسة عن اختبار المجد الذي قصده الله لها.

كثيراً ما نرى اليوم أنه بدلاً من أن تمتلك الكنيسة قوة أعظم من القوة المذكورة في سفر الأعمال، تبدو وكأنها نادٍ اجتماعي. وفي مثل هذا المناخ، حتى إذا كنا نرغب حقاً في مساعدة الآخرين، فقد لجأنا إلى فعل هذا بقوتنا الشخصية. كيف يختلف هذا عن الجواسيس العشرة؟ كانوا يريدون مشيئة الله لكنهم لم يستطيعوا أن يروا أنه يمكنهم الحصول عليها سوى بقدرتهم الذاتية. كانوا يرون أن هذا مستحيلاً وقد أثروا على مئات الآلاف من الناس الذين رأوا الأمر من وجهة نظرهم هم. ونتيجة قلة إيمانهم، لم يدخلوا إلى مشيئة الله لحياتهم مطلقاً. لقد ماتوا وهم يؤمنون بالله، لكنهم لم يصلوا إلى المستقبل الذي أعده الله لهم.

في كثير من الأوقات كان التلاميذ يريدون الاشتراك في ما يفعله يسوع – إطعام الآلاف، أو مساعدة المتألمين، أو شفاء المرضى. لم يريدوا أن يموتوا في العاصفة بينما كان السيد ينام في مؤخرة السفينة. لكنهم استمروا يفشلون لأنهم لم يستطيعوا أن يروا سوى تقديم المساعدة من خلال قوتهم الذاتية. لقد فشلوا في الوصول إلى ما أراده لهم يسوع. لكن بعد ثلاث سنوات ونصف مع يسوع، تغير هذا كله.

أعذار لنقص القوة

لم يكن أعضاء الكنيسة الأولى يواجهون مشكلة في أن يصدقوا عظمة القوة التي لديهم. وقد تناولنا بالفعل بعض المؤمنين العاديين مثل استفانوس الذي تحرك

بدون عائق بنعمة الله. قيل عنه: "**وأما استفانوس فإذ كان مملوّاً إيماناً وقوة، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب**". (أعمال ٦: ٨). لم يكن استفانوس رسولاً أو حتى راعياً. كان مجرد عضو عادي في الكنيسة وكانت وظيفته الدائمة هي الخدمة في المطعم.

إذا كانت الكنيسة الأولى قد عاشت هكذا، لماذا نصارع نحن كثيراً في يومنا هذا؟ والإجابة ليست معقدة – كان قدوتهم هو يسوع. لقد رأوا ما كان يستطيع فعله، ولذلك لم يكن بمقدور إبليس أن يقنع شعب الله أن القوة قد تلاشت أو ماتت. لم تكن لديهم أفكار أو خبرات مغلوطة من أشخاص يقاومون إيمانهم، كانوا ببساطة يؤمنون.

لكننا اليوم سمحنا لما يعتقده الناس ويقولونه أن يعلو فوق الحق. وكثيراً ما نسمع مثل هذه العبارات الآن:

"كان جدي خادماً وصلى لأجل شخص لكي ينال الشفاء، لكن هذا الشخص مات".
"عمتي طلبت من الله أن ينقذ جنينها، لكنها تعرضت للإجهاض".
"صديقي طلب من الله أن يشفي ظهره المتألم، ولكنه الآن وبعد عشرين سنة لازال متألماً".

نسمع هذه القصص ونخرج باستنتاجات غير موجودة في الكتاب المقدس لكي نفسر بها السبب الذي لأجله لم تعد قوة هذه النعمة للجميع أو متاحة لكل المؤمنين. هذه التفسيرات قد تريحنا، لكنها زائفة. وبدلاً من أن نتصرف بجرأة في إيمان، أصبحنا لا نطلب من الله الكثير لأننا لا نريد أن نعرض أنفسنا لخيبة الأمل. فلماذا نشغل بالنا بالطلب في حين أننا في الحقيقة لا نتوقع أن ننال ما طلبناه؟ ومع هذا فإذا ظهر موقف نجد أنفسنا فيه بدون حيلة، عندها سوف نطلب من الله، لكن سيكون هذا من منطلق الاحتياج الشديد أكثر من الإيمان.

لم يكن مسموحاً للتلاميذ الأوائل بهذه الأعذار؛ فعندما كانوا يفشلون في إيمانهم، كان يسوع يقول عبارات مثل: "يا قليلي الإيمان" بل وأيضاً "لا إيمان لكم".

بعد صعود يسوع إلى السماء، كان لدى تلميذ مثل بطرس الكثير من الأحداث التي

يمكنه تذكرها بسهولة. فمنذ عام أو اثنين رأى يسوع ماشياً على الماء وصرخ قائلاً: "**يا سيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك**" (متى ١٤: ٢٨)، وقد فعل يسوع هكذا، ومشى بطرس على الماء. لكنه عندما لاحظ الريح العاصفة وحول عينيه عن يسوع، خاف فبدأ يغرق. عندها أنقذه يسوع وقال له: "**يا قليل الإيمان لماذا شككت**؟" (آية ٣١).

يقول كثيرون إن بطرس قد فشل بالتمام، لكنني لا أتفق معهم؛ فإن التلميذ الآخر هو الذي فقد فرصة عظيمة لأنه لم يكن له إيمان وظل جالساً في السفينة يراقب ما يحدث. على الأقل كانت لبطرس الشجاعة أن يمشي على الماء لفترة قصيرة "بإيمان قليل" ومع هذا وبخه السيد أيضاً لأنه لم يكن لديه الإيمان الكافي.

كان درس الإيمان هذا بالنسبة لبطرس ذكرى حديثة، مثلما نتذكر نحن أننا قمنا برحلة في الإجازة منذ عام أو اثنين. ما الذي يحدث اليوم؟ كثيرون لازالوا في السفينة، يخافون من أن يسألوا الرب قائلين: "إذا كان هذا العمل لمساعدة الآخرين منك يا رب، فمرني أن آتي إليك".

في أوقات عديدة، وبخ يسوع تلاميذه بشدة لأنهم لم يكن لديهم إيمان. في إحدى المرات نزل من على الجبل واستوقفه أب وسأله لماذا لم يستطع التلاميذ أن يشفوا ابنه من الصرع؛ استمع إلى رد يسوع الموجه إلى التلاميذ: "**أيها الجيل غير المؤمن، الملتوي، إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم؟ قدموه إليّ ههنا!**" (متى ١٧: ١٧). قال يسوع هذه الكلمات الشديدة لفريقه، لتلاميذه. هل يمكنك أن تتخيل يسوع وهو ينظر إليك ويقول: "إلى متى أحتمل عدم إيمانك؟" ثم تحول يسوع من توبيخهم، وشفى الشاب، وأعاده إلى أبيه.

تحير التلاميذ، لذلك أتوا إلى يسوع وسألوه لماذا لم يستطيعوا هم أن يشفوا الولد. فأجاب يسوع ببساطة: "**لعدم إيمانكم**" (آية ٢٠). وبما أن يسوع كان حاضراً بالجسد في وسطهم، لم يستطع التلاميذ أن يختلقوا تفسيراً روحياً لطيفاً مثل: "حسنا، نعمة الله لا تنطبق حقاً على هذا الموقف لأن هناك بعض الأمراض التي يريدنا الله أن نتعايش معها حتى يعلمنا من خلالها شيئاً ما". أمر سخيف! إذا كنا نؤمن حقاً أن الله يريد أن يعلمنا شيئاً ما من خلال مرض شنيع، فلماذا إذاً نستمر في الذهاب إلى الطبيب أو تناول الدواء؟ لماذا نقاوم الله؟ إذا كان يعلمنا شيئاً، فيجب إذاً ألا

نقاوم دروسه عن طريق الذهاب إلى الطبيب لكي يشفينا. هل ترى مدى سخافة هذا التفكير؟

لقد قال الله بوضوح: "أيها الحبيب، **في كل شيء أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً، كما أن نفسك ناجحة**". (٣يوحنا ١: ٢). كما يقول الكتاب المقدس أيضاً بكل وضوح: "**باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته. الذي يغفر جميع ذنوبك. الذي يشفي كل أمراضك**". (مزمور١٠٣: ٢ ـ ٣). وفي العبارة نفسها التي يقال لنا فيها إن الله يغفر ذنوبنا، يقال لنا أيضاً إن الله يشفي كل (وليس بعض) أمراضنا. لماذا لا نقول: "حسناً، الله يريد أن يعلمني شيئاً عن طريق عدم غفران هذه الخطية، ولذلك يبقيني مقيداً بها"؟ أمر سخيف! إذا وقف يسوع بيننا، كما وقف بين التلاميذ، سوف يعرفنا أن الإيمان بأن الله لا يريدنا أن نكون أصحاء هو أمر مضحك.

لم يستطع التلاميذ أن يشفوا الولد، وقد وبخهم يسوع على ذلك. لم يستطيعوا أن يقولوا: "أتعلم، أنا أذكرأن عمي، الذي كان راعياً، أخبرني أن الشفاء لا ينطبق علينا جسدياً بل عاطفياً فقط". هل تمزح؟ بعد عبارة مثل هذه كان يسوع سينظر إليهم ويتأوه ويقول: "إلى متى أحتملكم؟"

وبناء على مثل هذه الاختبارات، لم يستطع التلاميذ أن يبطلوا قوة النعمة. فقد كان يسوع يذكرهم قائلاً:

- "**أين إيمانكم؟**" (**لوقا ٨: ٢٥**)
- "**كيف لا إيمان لكم؟**" (**مرقس ٤: ٤٠**)
- "**يا قليلي الإيمان**" (**متى ٦: ٣٠**)
- "**ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان؟**" (**متى ٨: ٢٦**)
- "**يا قليل الإيمان. لماذا شككت؟**" (**متى ١٤: ٣١**)

وبعد موقف آخر كشف عن قلة إيمانهم، دعاهم يسوع "**قليلي الإيمان**" (**متى ١٦: ٨**) وجاءت في إحدى الترجمات بمعنى "المؤمنين الأقزام". لم يستطع يسوع أن يحتمل هذا النوع من الأعذار الصبيانية التي نحلم بها هذه الأيام؛ فقد كان يحب تلاميذه كثيراً لدرجة أنه أراد أن يبعدهم عن أية أفكار زائفة يمكنها أن تدمر إيمانهم.

لابد أن ندرك أننا قد اقتنعنا بالكثير من التعاليم أو النظريات التي سلبت إيماننا منا. ماذا كان يسوع سيقول لو كان هنا في كنائسنا الأمريكية في وقتنا هذا؟ ربما تتصور يسوع وهو ينظر إلى قلة إيمانك بشفقة ولطف. حسناً، الحقيقة هي أن "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد". (عبرانيين ١٣: ٨). فهو لم يتغير قط، وسوف يتكلم الآن عن قلة الإيمان بجسارة تماماً كما فعل عندما كان على الأرض.

الروح القدس هنا اليوم، لكن صوته يمكن بسهولة أن يضيع. إنه هنا ليتكلم لا من ذاته، بل لكي يوضح ما يقوله يسوع. الجزء الصعب هو أنه بما أن يسوع ليس حاضراً بالجسد أمامنا، يمكننا أن نتجاهل عبارات الحق الجسورة التي يقولها، والتي يتكلم بها لنا الروح القدس. يا له من أمر مرعب! ليتنا نكون أمناء. هل صممنا آذاننا عنه؟ هل نكرز حقاً بيسوع كما كانت الكنيسة الأولى تفعل؟ لا يمكننا تجنب الإجابة عن مثل هذه الأسئلة الصعبة.

الإيمان باسمه

لم يكن للكنيسة الأولى فرصة اختلاق الأعذار التي تسلبهم أنفسهم أو تسلب الآخرين إيمانهم، وقد ذكرت هذه القصة مسبقاً، لكنها جديرة بإعادة النظر إليها. هل تتذكر الرجل المقعد الذي كان يستعطي النقود عند مدخل الهيكل؟

"فهذا لما رأى بطرس ويوحنا مزمعين أن يدخلا الهيكل، سأل ليأخذ صدقة. فتفرس فيه بطرس مع يوحنا، وقال: «انظر إلينا». فلاحظهما منتظراً أن يأخذ منهما شيئاً. فقال بطرس: «ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فإياه أعطيك»". (أعمال٣:٣ـ٦)

لم يكن لبطرس حقيبة مملوءة نقوداً، لكن كان له شيء أفضل بكثير – نعمة الله. انظر إلى ما فعله بطرس بعد ذلك:

"باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش! وأمسكه بيده اليمنى وأقامه، ففي الحال تشددت رجلاه وكعباه، فوثب ووقف وصار يمشي، ودخل معهما إلى الهيكل وهو يمشي ويطفر ويسبح الله". (آية ٦ـ٨).

كان يسوع قد قال لبطرس ولبقية أتباعه إنه عندما يأتي ملكوت الله، سوف تتحقق مشيئة الله على الأرض كما هي في السماء. كان بطرس يعلم أنه لا يوجد مقعدون في السماء، ولذلك نظر إلى الداخل انتظاراً لإرشاد الله وشعر برغبة الله في

أن يقيم ذلك الإنسان، لقد استمع إلى الروح القدس. كم من المرات حاول الروح القدس أن يقودنا لكي نخدم شخصاً ما لديه احتياج، ولم ننصت إليه؟

بمجرد أن بدأ ذلك الرجل يمشي ويقفز، تجمع الناس. وأخبرهم بطرس كيف أصبح هذا الإنسان صحيحاً:

"وبالإيمان باسمه [يسوع] شدد اسمه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه، والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم". (آية ١٦)

إن نعمة الله متاحة في اسم يسوع. فكر في الأمر في ضوء هذا، إننا باسمه نخلص: **"وليس بأحد غيره الخلاص [النعمة]. لأن ليس اسم آخر تحت السماء، قد أعطي بين الناس، به ينبغي أن نخلص"**. (أعمال ٤: ١٢). إن نعمة الله تتاح لنا من خلال سلطان اسمه. ونفس الشيء صحيح في مجالات النعمة الأخرى. لكن لم يكن اسم يسوع وحده هو الذي شفى هذا الإنسان، بل بالتحديد "الإيمان باسم يسوع". كان على الإيمان أن يقرع باب قوة النعمة. انظر إلى كلمات بولس من ترجمة الرسالة الإنجليزية: "أجل، **الإيمان وليس سوى الإيمان هو الذي شفى هذا الإنسان وأوقفه صحيحاً أمام عيونكم"**. (أعمال٣:١٦). أقول مرة أخرى إن الإيمان هو خط الأنابيب الذي يوصلنا بالنعمة التي نحتاجها من الله.

المشكلة الجوهرية هي أننا فصلنا أنفسنا عن تدفق النعمة؛ فربما يكون لدينا الإيمان الذي يصدق أن نعمة الله قد غفرت لنا كل الخطايا وخلصتنا من الجحيم الأبدي، لكن هناك مناطق أخرى من الخلاص، مثل قوة طبيعتنا الجديدة، والقدرة على أن نسلك في القداسة، والقدرة على أن نأتي بمشيئة السماء إلى الأرض لتسديد احتياجات البشرية.

وإليك مثالاً توضيحياً لشرح ما أقصده. لنفترض أنه يوجد نهر يجري بجوار عدة حقول يديرها فلاحون مختلفون. صاحب كل هذه الأراضي هو في الوقت ذاته حاكم الإقليم، ويقوم بتأجير قطع الأراضي لهؤلاء الفلاحين. والمناخ في هذا الإقليم جاف جداً، ولذلك لابد من توافر مياه النهر لري أية محاصيل. كل حقل من الحقول يزرع صنفاً مختلفاً كما هو موضح فيما يلي.

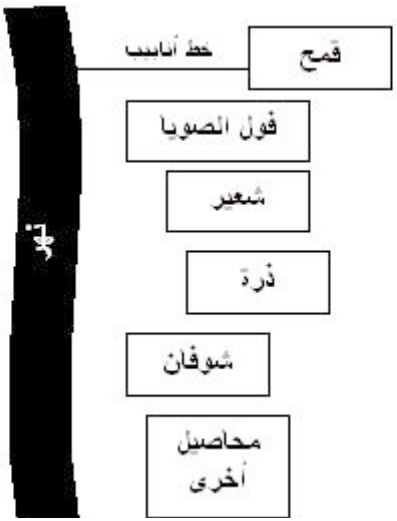

كما ترى، فإن أحد الفلاحين يزرع القمح، والآخر فول الصويا، والآخر الشعير، وهكذا. لكن فلاحاً واحداً فقط هو الذي كانت لديه الحكمة لتوصيل خط أنابيب من النهر إلى حقله وتركيب رشاشات لري محصوله. أما الفلاحون الآخرون فلم يتصلوا بالنهر. وما هي النتيجة؟ حقل القمح فقط هو الذي يروى، وعلى مدار الزمن سينمو هذا الحقل ويزدهر وينتج محصولاً. لكن الحقول الأخرى لن تنمو، بل سوف تظل أراضيها خاملة، وفي النهاية سوف تجف.

في النهاية سوف يأتي حاكم الإقليم كله للتفتيش على الحقول المختلفة. وسيمدح الفلاح الذي وصل حقله بالنهر. لكنه سوف يوبخ الفلاحين الآخرين لأنهم أهدروا الأرض التي ائتمنهم عليها. "لماذا لم توصلوا حقولكم بالنهر؟ لماذا أهدرتم الأرض؟"

والآن سوف نغيّر هذا المثال التوضيحي قليلاً. فبدلاً من حقول القمح وفول الصويا والشعير والذرة وغيرها، سوف يكون لدينا حقول تسمى "غفران الخطايا" و"الحياة المقدسة" و "الشفاء" و "الموارد التي تسدد احتياجات البشرية" و "المُلك في الحياة". وهناك حقول أخرى، لكن هذا يكفي لفهم الفكرة. وبدلاً من الإقليم الذي به عدة فلاحين، سيكون هذا هو قلب المؤمن كما هو موضح فيما بعد.

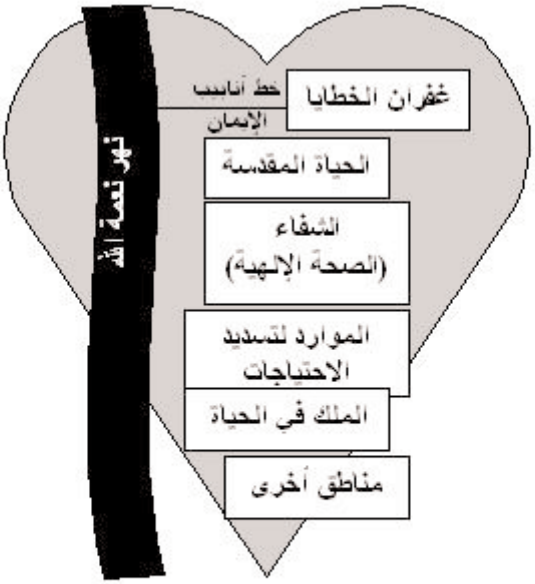

في هذا السيناريو، هناك حقل واحد فقط، وهو "غفران الخطايا" هو الذي تم توصيله بنهر النعمة عن طريق خط أنابيب الإيمان. ولهذا فإنه الحقل الوحيد المروي في قلب المؤمن. وهنا أيضاً، هذا الحقل فقط هو الذي سوف ينمو بينما تذبل الحقول الأخرى ولا تنتج محاصيل. وكما كان الحال سابقاً، ما هو العامل المحدد لاختلاف النتائج؟ لماذا ينمو حقل واحد بينما تجف الحقول الأخرى – مع أن النهر يجري بجوار كل منها؟ إنه خط أنابيب الإيمان. كل الحقول كان يمكنها أن تنمو بنفس مياه النعمة من نفس النهر. لكن حقلاً واحداً فقط هو الذي استطاع الوصول إليها.

كل واحد من هذه الحقول يمثل مجالات الحياة المختلفة التي تؤثر عليها النعمة وتغيرها. هذا المؤمن ربما فتح قلبه لأحد مجالات النعمة، الذي هو "غفران الخطايا"، لكنه أغلق النعمة عن المجالات الأخرى في الحياة والتي كانت بحاجة إلى تمكين

النعمة، نتيجة عدم الإيمان. لم يكن هناك وصلة من خلال الإيمان إلى القداسة والشفاء والموارد لتسديد احتياجات البشرية والمُلك في الحياة، وغيرها الكثير.

ماذا سوف يحدث في اليوم الأخير الذي سيأتي فيه يسوع ليفحص حقول حياتنا؟ كيف سنخبره أننا اخترنا ألا نؤمن بكلمة الله نتيجة أعذار أبطلت قوة نعمته؟ كيف سنشرح له أننا لم نعلن قوة النعمة الكاملة حتى يستطيع من يستمعون إلينا أن يأتوا بثمر أكثر؟ بماذا سنجيب على السؤال: "يا قليل الإيمان لماذا شككت؟" (متى ١٤: ٣١)

يقول يسوع بوضوح: "**وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه... الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير**". (يوحنا ١٢: ٤٧ ـ ٤٨). في اعتقادك، لماذا يورد الروح القدس أمثلة كثيرة هكذا في الكتاب المقدس عن يسوع وهو يوبخ أتباعه على نقص إيمانهم في مناطق الشفاء أو تسديد احتياجات الجموع أو تهدئة العواصف والكثير غيرها؟ سوف يتم تقييم أفعالنا أمام كرسي المسيح بناء على كلماته هو. لن يُسمع أمام كرسي المسيح ما قالته عمتي أو خالي أو صديقي أو خبراتنا، بل كلمات نعمة الله الأبدية هي فقط التي سوف تستخدم لقياس إيماننا وأفعالنا أمام كرسي المسيح. وكما هو مكتوب:

"**فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء؟ أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا! بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً. كما هو مكتوب: «لكي تتبرر في كلامك، وتغلب متى حوكمت»**".
(رومية ٣: ٣ ـ ٤)

ليتنا لا نتشكك بل نصدق ما قاله الله، ليتنا نكون أصحاب الإيمان؛ لأن الكتاب المقدس يقول: "**كل ما ليس من الإيمان فهو خطية**". (رومية ١٤: ٢٣). بالإضافة إلى أنه ليس من الصعب تصديق كلمة الله، لأنه كيف يمكن أن يكون الله مخطئاً!

تأملات لرحلة فوق العادة

لماذا يعتبر الإيمان والكبرياء متضادين؟

في اعتقادك، لماذا يعيش الكثيرون من المسيحيين المؤمنين بدون قوة؟

ما هي التحديات التي تواجهها في المناطق التي تريد فيها أن تتمسك بالحق أن "الله قادر"؟

الفصل الرابع عشر
الإيمان الحقيقي لا يلين

لن أنسى أبداً مقابلة مع الرب غيرت حياتي.

كنت قد تقابلت مع الرب منذ بضع سنوات، وكنت لازلت أعزب وأعيش في شقة في "نورث كارولينا". وفي إحدى الليالي، استيقظت من نوم عميق، ووجدت نفسي أقفز من فراشي وأقول: "أنا أبحث فقط عن شخص يؤمن!"

فانتفضت لكي أستيقظ، ونظرت إلى ساعتي، واكتشفت أن الساعة الرابعة فجراً. احتجت إلى بضع لحظات لأتحقق أين أنا وما الذي يحدث. ثم أضأت النور الذي بجوار فراشي، ولاحظت أن الفراش كان مبللاً بالعرق، لكنني كنت أعرف أنني لم أكن مريضاً أو محموماً. فذهلت وشعرت بالرهبة، لقد أدركت أن الله قد تكلم للتو على فمي. وبمجرد أن استنتجت هذا، كانت فكرتي التالية هي: "لماذا لم تكن الرسالة أعمق من هذا؟ أنا أعلم أنه يبحث عن أناس يؤمنون". كنت لازلت في حالة النعاس، فأطفأت النور، واستلقيت على الفراش، وعدت للنوم على الفور.

وبعد أن استيقظت في ذلك الصباح، ظلت هذه الكلمات ترن في كياني أنا أبحث فقط عن شخص يؤمن ... أنا أبحث فقط عن شخص يؤمن ... أنا أبحث فقط عن شخص يؤمن... وبحلول منتصف النهار، بينما كنت أسير في مكان خالٍ لتوقيف السيارات، فجأة صدمني هذا الإعلان. فصرخت: "يا له من إعلان عميق!"

ومنذ تلك اللحظة بدأت أتأمل في سؤالين عن الفترة التي قضاها يسوع على الأرض: ما هو أكثر شيء كان يحزِن يسوع؟ و ما هو أكثر شيء كان يسر يسوع؟

وبعد تفكير كثير، أدركت أنه كان يُسَر كثيراً عندما كان الناس يؤمنون ببساطة أنه سوف يفعل ما يقوله، ويحزن كثيراً عندما لم يكن الناس يؤمنون بذلك. أي أن نقص إيمانهم كان يحزنه حزناً عميقاً! فالإيمان يصدق أن الله يقول ما يعنيه وأنه يعني ما يقوله. ليس الله إنساناً فيكذب، بل إنه يؤيد كلمته بكرامة اسمه. فهو

يقسم بذاته بما أنه لا يوجد من هو أعظم منه. لذلك فإننا عندما نشك فيه، فنحن بهذا نهين استقامته.

الله يستجيب لإيماننا

كل شيء ننالـه من الرب هو من خلال الإيمان، وهناك حقيقة اكتشفت أن الكثيرين من المؤمنين يجهلونها، وهي أن الله لا يستجيب لاحتياجنا، بل يستجيب لإيماننا! يمكنني أن أقدم أمثلة كتابية كثيرة لشرح هذه الحقيقة، لكن اسمح لي أن أذكر بعضها فقط. في أحد الأيام، كان يسوع راحلاً عن أريحا مع تلاميذه وكان هناك جمع كثير يحيط به. وبينما كانوا مسافرين على الطريق، كان هناك رجل أعمى اسمه "بارتيماوس" كان جالساً على الطريق. عندما سمع أن يسوع يمر، بدأ يصرخ إلى السيد. لقد انتهره كثيرون من الواقفين، وأرادوا منه أن يسكت، ولا يزعج المعلم. لكن بارتيماوس صرخ بصوت أعلى. وانظر ما حدث نتيجة هذا الإيمان المثابر:

"**فوقف يسوع**" (**مرقس ١٠: ٤٩**)

يا للروعة! لقد ثبت يسوع وجهه إلى أورشليم لكي يتمم ما أُرسل ليتممه، وكان مركزاً على مهمته. كانت حوله جموع كثيرة، وأنا على يقين أن معظمهم كانت لديهم احتياجات. لكن احتياجاتهم لم تجعله يتوقف ويؤجل مهمته لفترة قصيرة. أما هذا الرجل الأعمى فقد صرخ ليسوع ولم يرضَ أن يسكت، لم تستطع أية مقاومة أن تسكته، وقد كان صوته هو ما جعل السيد يقف، وليس صمت الآخرين.

ثم أعطى يسوع تعليماته:

"**وأمر أن يُنَادى. فنادوا الأعمى قائلين له: «ثق! قم! هوذا يناديك»**". (آية ٤٩)

من الواضح أن المحيطين ببارتيماوس لم يكونوا يؤيدونه، بل كانوا في الحقيقة يعارضون قضيته. لكن هذا لم يزعجه لأنه صمم على ألا يوقف أحد إيمانه. فألقى برداء الشحاذين، وقفز، وساعده البعض فأسرع إلى يسوع. واسمع ما سأله يسوع:

"**ماذا تريد أن أفعل بك؟**" (آية ٥١)

هل أنت جاد؟ ما هذا السؤال؟ شخص أعمى، كان على الناس أن يساعدوه لكي يصل إلى حيث يقف يسوع لأنه لا يستطيع أن يرى، ويُسأل عما يحتاجه! الأمر واضح، فلماذا يحتاج يسوع حتى أن يسأله؟ هل يجهل يسوع احتياجه؟! هل يريد

يسوع أن يهينه أو يفضحه؟! بالطبع لا. لكن يسوع كان يشتاق أن يرى الدليل على إيمان بارتيماوس. **تذكر أن الإيمان يتكلم.**

لو كان بارتيماوس قد قال: "أعلم أنه سيكون أمراً كبيراً أن أطلب الحصول على البصر، لكن هل يمكنك أن تشفي ألم المفاصل في يدي؟" فهذا بالضبط ما كان سيحصل عليه. أنا متأكد من هذا لأن يسوع يقول بعد أن انفتحت عينا بارتيماوس: "**اذهب. إيمانك قد شفاك**". (آية ٥٢).

إن إيمانه هو الذي جعله يتلامس مع نعمة الله، كانت هناك احتياجات أخرى بين الجمع، لكن احتياجه هو الوحيد الذي سُدد. لأنه تكلم إيمانه، فنال من الله ما طلبه.

أتذكر أنني كنت أصلي لأجل بعض الشباب في إحدى الخدمات. كان هذا في اجتماع مساء يوم الجمعة، وتقدم الكثيرون للأمام. وكنت أسأل كلاً منهم عن سبب مجيئه للصلاة وظللت أسمع نفس الإجابة: "أريد المزيد من الله". ولفترة قصيرة كنت أصلي لكل منهم، لكن لم تكن هناك قوة كبيرة أو حضور قوي لله. شعرت أن هناك شيئاً ما خطأ، فتوقفت ثم شعرت بالروح القدس يصحح طريقتي في الخدمة ويقودني إلى أن أواجه هذه العمومية في الصلوات.

تقدم أحد الشباب، وقدم نفس الطلبة: "أريد المزيد من الله". وكان يبدو على وجهه، مثل الآخرين، الاحتياج الشديد – وكأنه يقول: "سوف أصلي طوال الليل إذا لزم الأمر". لم يكن صعباً أن أميز الدوافع النقية لهذا الشاب. لكننا يمكن أن يكون لنا القلب الصادق بدون أن يكون لنا الإيمان.

فأجبته قائلاً: "ما هو بالتحديد الأمر الذي ترجوه من طلبك المزيد من الله؟ ما لم تحدد بالضبط ما تريده من الله، لن أصلي معك".

حدث تغيير فوري في ملامح ذلك الشاب، إذ بدا متحيراً ولم يستطع الرد؛ فقد بدأ يدرك عمومية صلاته أمام الله.

دعونا نقارن هذا بما رأيناه للتو في قصة بارتيماوس. كل الناس الذين أحاطوا

بيسوع في ذلك اليوم كانوا يريدون المزيد من الله؛ فهذا هو ما جعلهم يبحثون عنه ويتبعونه، لكن هذا الرجل الأعمى فقط هو الذي نال الإبصار.

بعدها قلت لذلك الشاب: "ابق هنا وفكر جيداً في هذا الأمر، وعندما يكون لديك شيء محدد تحتاجه من الله، عندها سوف أصلي". وفعلت الشيء ذاته مع كثيرين آخرين.

وبعد فترة، أتى إليّ هؤلاء الشبان والشابات بطلبات محددة. وفجأة، أصبح حضور الله وقوته شديدين. فالاحتياجات أصبحت تسدد، وهؤلاء الطالبون نالوا بصيرة أعظم في طرق الله، وتحققت طلبة "المزيد من الله".

بالرغم من أن هؤلاء الطالبين كانوا غالين جداً وفي غايةٍ الجوع لإرضاء الله، إلا أنهم انزلقوا إلى وقت صلاة عقيم لأن إيمانهم لم يوجّه نحو طلبة معينة. وبعد إعادة توجيههم، أصبحوا الآن يتصرفون مثل بارتيماوس، الذي كان يعرف بالتحديد ما يحتاجه وتكلم بما يؤمن به. خرج بارتيماوس وهؤلاء الشباب وهم يعرفون عن طرق الله أكثر من باقي الجموع.

اثنتي عشرة سنة من النزيف

لننظر إلى مثال كتابي آخر. كانت هناك امرأة وسط الجموع تتبع يسوع، وكانت مصابة بنزف الدم منذ اثنتي عشرة سنة. كثيرون من الأطباء عالجوها على مدار السنوات، وبدلاً من أن تتحسن حالتها، زادت سوءاً.

"لما سمعت بيسوع، جاءت في الجمع من وراء، ومسّت ثوبه. لأنها قالت: 'إن مسست ولو ثيابه شفيت'". (مرقس ٥: ٢٧ ـ ٢٨)

لاحظ أنها سمعت عن يسوع. يمكنني أن أقول بكل تأكيد إنه كان يمكن أن يكتب عنها: "لما سمعت بيسوع في قلبها"، لأن القلب هو التربة الصالحة التي ينمو فيها الإيمان. بعد أن فشل الأطباء في مساعدتها، كانت بحاجة إلى أن تسمع في كيانها الداخلي، وقد سمعت وكان لها الإيمان أن تُشفى. ولذلك تكلمت تبعاً لإيمانها فقالت: "إن مسست ولو ثيابه شفيت". لم تكن هذه المرأة مثل بقية الشباب في اجتماع ذلك المساء، بل كانت كلماتها في غاية التحديد. وانظر ما حدث:

"فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت في جسمها أنها قد برئت من الداء". (آية ٢٩)

لقد حدث ما تكلم به إيمانها بالتمام. ولهذا بدأ هؤلاء الشباب في مساء تلك الجمعة في نوال البركات فجأة. فقد آمنوا، وكانوا محددين، وتكلمو بإيمانهم، ونالوا ما طلبوه. والآن استمع إلى بقية القصة المذهلة لتلك المرأة:

"فللوقت التفت يسوع بين الجمع شاعراً في نفسه بالقوة التي خرجت منه، وقال: 'من لمس ثيابي؟' فقال له تلاميذه: 'أنت تنظر الجمع يزحمك، وتقول من لمسني؟' وكان ينظر حوله ليرى التي فعلت هذا". (آية ٣٠ ـ ٣٢)

لم يكن يسوع يعلم أن هذه المرأة قد أتت لتنال الشفاء إلا بعد أن خرجت القوة من داخله بالفعل. لم يكن الشفاء نتيجة إيمان يسوع، أو مبادرته، أو رغبته في أن يبحث عن هذه المرأة ويشفيها؛ فكل جزء من هذا الفعل كان نتيجة مبادرة المرأة وتصرفها قبل أن يعرف هو أي شيء عنه! ولهذا التفت، وبحث عنها، وبمجرد أن وجدها قال:

"يا ابنة، إيمانكِ قد شفاكِ. اذهبي بسلام وكوني صحيحة من دائكِ". (آية ٣٤)

فرصة ضائعة

يمكنك أن ترى بصورة متكررة عبر الأناجيل أن الله يستجيب للإيمان. في حادثة أخرى كان يسوع يعلم قادة كثيرين داخل منزل:

"وكانت قوة الرب لشفائهم". (لوقا ٥: ١٧)

أحب الكتاب المقدس لأنه يخبرنا بالتحديد أن قوة الله كانت موجودة لشفاء هؤلاء القادة. أقول كملاحظة جانبية إن الله لا يهدر أي شيء أبداً. ومثال على ذلك هو أن يسوع جمع ما فضل من طعام في معجزتي إشباع الجموع (الأربعة الآلاف والخمسة الآلاف)، لأن الله يستخدم كل شيء. ولذلك يمكننا أن نفترض بثقة أنه إذا كانت قوة الرب موجودة لشفاء هؤلاء القادة، فلابد أنه كان هناك على الأقل واحد (وربما أكثر) بحاجة إلى شفاء الجسد، ولكن ولا واحداً منهم نال الشفاء. لماذا؟ لأنه لم يكن لأي منهم الإيمان أن يناله.

لكن، لم يكن الكل مهدراً؛ لأنه بعد فترة قام مجموعة من الرجال بإحضار رجل مفلوج إلى البيت موضوعاً على نقالة. لكنهم لم يستطيعوا أن يدخلوا بسبب الزحام الشديد، ولذلك أخذوا الرجل المقعد إلى السطح، وعملوا فتحة في السقف، وأنزلوه بالحبال أمام يسوع:

"فلما رأى إيمانهم قال له ... "لك أقول: "قم واحمل فراشك واذهب إلى بيتك!". ففي الحال قام أمامهم وحمل ما كان مضطجعاً عليه ومضى إلى بيته وهو يمجد الله. فأخذت الجميع حيرة ومجدوا الله، وامتلأوا خوفاً قائلين: "إننا قد رأينا اليوم عجائب!"". (لوقا ٥: ٢٠، ٢٤ ـ ٢٦)

لقد رأى يسوع إيمانهم. عندما نخدم بكلمة الله، من الرائع أن نرى الإيمان في الطالبين ويبهجنا أن نراهم يقبلون نعمة الله. لكن أقول بحزن إنني كثيراً لم أر الإيمان. يمكنك أن تعرف الكثير من وجه أي شخص، لأن ما تراه في عينيه هو انعكاس لما يجري داخل قلبه. وكما قال يسوع، فإن سراج كيان الإنسان هو العين.

هذا الرجل المفلوج، مع من كانوا يحملونه، كان يعرف أن الرب صادق في كلمته. وأغلب الظن أنهم كانوا يعرفون أن كلمة الله تقول: **"باركي يا نفسي الرب، ولا تنسي كل حسناته. الذي يغفر جميع ذنوبك الذي يشفي كل أمراضك"**. (مزمور ١٠٣: ٢ ـ ٣). كان إيمان الرجل المفلوج وأصدقائه مبنياً على كلمة الله.

لكن القادة، من الناحية الأخرى، دهشوا عندما رأوا المفلوج يشفى، بل إنهم مجدوا الله. ومع ذلك لم ينل ولا واحد منهم الشفاء، لأنه لا يوجد فينا من يمكنه الحصول على أي شيء، حتى إذا كان الله يريده لنا، ما لم نحصل عليه بالإيمان! كانت إرادة الآب لهؤلاء القادة المرضى هي أن ينالوا الشفاء، لكنهم لم ينالوه! الله يستجيب عندما نؤمن، وهذا الإيمان هو الذي ينعكس في أعمال وكلمات إيماننا.

نوال الطلبة التي تم رفضها من قبل

إحدى أكثر معجزات النعمة المدهشة في الأناجيل حدثت مع امرأة يونانية. جاءت إلى يسوع تتوسل إليه مراراً أن يشفي ابنتها، ولكن **"لم يجبها بكلمة"**. (متى ١٥: ٢٣)

كم منا كانوا سييأسون بعد هذا مباشرة ويصابون بالإحباط أو الألم أو الغضب؟ كانت تتوسل لأجل حياة ابنتها، ومع هذا بدا أنها كانت تقابل بالتجاهل. لكن هذه المرأة لم تقبل الرفض، ولهذا استمرت تتضرع في إيمان إلى يسوع. وأخيراً، لأنها لم تستسلم، التفت إليها وقال:

"دعي البنين أولاً يشبعون، لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب".

(مرقس ٧: ٢٧)

يمكنك أن تفسر هذه العبارة بالطريقة التي تعجبك، لكن الحقيقة هي أنه دعاها كلبة. كان يمكنها أن تهينه وتتهمه بالتمييز العنصري، وتثور وترحل. لكنها كانت تعرف شخصيته وأجابت على الفور: "**نعم يا سيد! والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها**". (متى ١٥:٢٧).

كانت تعلم أنها في محضر ابن الله وكانت تعرف صلاحه وتؤمن أنه ليس لديه عجز في القوة، وكانت مصممة. كانت تعلم أن كل ما عليها أن تفعله هو أن تثابر في طلبتها ولن تُرفض. فثابرت في إيمان، وعن هذا قال يسوع:

" **يا امرأة! عظيم إيمانكِ! ليكن لك كما تريدين**". (متى ١٥: ٢٨)

عندما رجعت إلى بيتها، وجدت ابنتها وقد شفيت بالتمام. يجب ألا يفوتنا ما حدث هنا. فما رفضه يسوع المسيح – الله المستعلن في الجسد، الله المتجسد – في البداية لأنها لم تكن ابنة العهد، أُعطي لها بعد ذلك بسبب مثابرتها. وهنا أيضاً نجد يسوع يستجيب للإيمان وليس للاحتياج، لأن هذه المرأة نطقت بطلبتها في البداية من منطلق الاحتياج، لكن ردها على رفضه الأول كان مشحوناً بالإيمان.

الإيمان هو المفتاح لنوال كل شيء

هل اتضح الآن لماذا لا ينال الناس النعمة التي قُدمت لهم بالفعل؟ لماذا لا يعيشون الحياة التي تفوق العادة؟ يقول يعقوب بكل وضوح: "**لستم تملكون لأنكم لا تطلبون**" (**يعقوب** ٤: ٢). هذا الكلام لا يحتاج إلى أي تفسير؛ فهو لا يتحدث عن الطلب بقلب غير كامل، بل عن الطلب في إصرار الإيمان، كما رأينا في الأمثلة السابقة.

وينطبق هذا المبدأ الذي يقول إن الله يستجيب لإيماننا وليس للاحتياج على كل مجالات الحياة، سواء كان هذا يعني قدرتنا على السلوك بالقداسة، أو الحياة المبدعة، أو فهم الحكمة، أو الأفكار الإلهامية، أو نوال الشفاء أو التحرير من عادات سلوكية، أي بالاختصار، نوال أي شيء تقدمه السماء لحياتنا، أو الأهم من ذلك، توصيل الإنجيل إلى العالم. لا يمكننا أن نخدم بفعالية إلا إذا تم ذلك بالإيمان. في الحقيقة، يتجاسر يعقوب فيقول إن أي شخص يأتي إلى الله طالباً أي شيء يجب أن يفعل هذا

"**بإيمان غير مرتاب البتة، لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه. فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب**". (**يعقوب** ١: ٦ ـ ٧)

هذا أمر مهم حقاً، ولذلك دعونا ننظر مرة أخرى إلى هذه الكلمات: "**فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب**". فكر في هذه العبارة "لا ينال شيئاً". هذه عبارة تأكيدية بدون أية مواربة في المعنى وبدون استثناءات! يحرص الله على توصيل هذه النقطة بوضوح: أنه يستجيب للإيمان وليس غيره.

التكلم إلى الجبل

في عام ٢٠٠٢، تعرضت ولاية "كولورادو" إلى أسوأ حريق في تاريخها، وقد أُطلق عليه اسم "حريق رجل القش"، لأنه بدأ عندما قامت سيدة بإحراق خطاب من زوجها السابق في منطقة محظور فيها الحرق. وفي خلال شهر واحد، اشتعلت النيران في أكثر من ١٣٠ ألف فدان. كانت كارثة مروعة.

وأثناء أسوأ جزء من الحريق، عندما بدا إخماده أمراً مستحيلاً، كنت خارج الولاية أخدم لمدة أسبوع وظللت أسمع الأخبار عن أن الحريق كان يقترب من مكتبنا ومنزلنا. لا حاجة لي أن أقول إنني كنت أريد بشدة أن أعود للبيت لأنه قد ورد إخطار لمدينتا بالإخلاء الاختياري. وعند هبوط الطائرة، توجهت مباشرة إلى مبنى مكتبنا. أذهلني منظر الطريق المؤدي إلى مبنى الخدمة. فقد كان مكتبنا يقع بالقرب من سفح جبال "فرونت رينج"، وهي صف من القمم الصغيرة التي تتجه من الشمال إلى الجنوب وتمثل بداية جبال "روكي" الشهيرة. وخلف فرونت رينج مباشرة، والتي تبعد مسافة نصف ميل فقط غرب مكتبنا، كان هناك منظر بشع: فقد كانت هناك كتل هائلة من الدخان والسواد ترتفع إلى السماء، وكان الرماد يتساقط على زجاج سيارتي، كان الأمر وكأنني أغطس داخل منطقة حرب.

عندما دخلت إلى مبنى المكتب، رأيت معظم موظفينا يحملون أغراضاً من مبنى الخدمة إلى شاحنة نقل واقفة عند المدخل الخلفي. كل كتبنا وموادنا التي كانت في المخزن تم ترتيبها على نقالات في موقف السيارات الخلفي مع دواليب الملفات وأجهزة الكمبيوتر والأثاث والأغراض الأخرى.

كنا قد نقلنا الخدمة إلى كولورادو منذ عام فقط، وكثيرون من موظفينا تم تعيينهم من سكان كولورادو. كنت أعرف أنهم كلهم يحبون الله كثيراً ويعيشون حياة صالحة، لكن الغالبية كانوا فقراء في منطقة نوال البركات من الله. أثناء

العام الأول لنا معاً كنت أعلِّم فريق العمل أسبوعياً الحقائق الجوهرية للمسيحية بسبب أوجه النقص في إيمانهم.

وبعد أن أوقفت سيارتي، ذهبت أبحث عن مدير العاملين، الذي تم تعيينه أيضاً من سكان كولورادو. كان قد اتخذ القرار بالإخلاء، وبمجرد أن وجدته قلت له: "أوقف تحميل شاحنة النقل، واستدعِ العاملين إلى غرفة الاجتماعات حتى أتحدث إليهم".

وبينما كان العاملون يجتمعون، تابعت آخر أخبار الحريق وسياسة الإخلاء المتبعة وقتها. وعرفت أننا كنا لا نزال في موقف الإخلاء الاختياري. كانت حافة الحريق تشتعل بشكل لا يمكن السيطرة عليه في الجبال التي تقع إلى الغرب منا، وكانت على بعد ستة أميال من طريق رامبارت رينج، الذي يبعد عن مكتبنا مسافة سبعة أميال فقط. وقد قالت السلطات إنه بمجرد أن تعبر النار هذا الطريق، فسوف يصدرون قراراً بالإخلاء الإجباري لمدينتنا. هذه النيران، التي كانت تدفعها ريح تهب من الغرب إلى الشرق، كانت تقترب من مكتبنا بسرعة ميل في الساعة. وبسبب اتجاه الريح، إذا لم تحدث معجزة، فسوف تشتعل النيران في مدينتنا "بالمر ليك" بكاملها، وهو ما كان سيحدث طبقاً للحسابات المتوقعة في وقت لاحق من ذلك اليوم. كان هناك مقران لخدمات أخرى في آخر الشارع تم إخلاؤهما بالفعل في اليوم السابق.

بمجرد أن تجمع الموظفون في غرفة الاجتماعات، فتحت كتابي المقدس على إنجيل مرقس وكتبت هذه الآيات الثلاثة على اللوحة:

"ليكن لكم إيمان بالله. لأني الحق أقول لكم: إن من قال لهذا الجبل: انتقل وانطرح في البحر! ولا يشك في قلبه، بل يؤمن أن ما يقوله يكون، فمهما قال يكون له. لذلك أقول لكم: كل ما تطلبونه حينما تصلون، فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم". (مرقس ١١: ٢٢ ـ ٢٤)

وكان أول شيء قلته بعد ذلك هو: "أيها العاملون، هذه الكلمات مكتوبة في كتابنا المقدس باللون الأحمر. وهذا يعني أن يسوع هو الذي قالها – وليس أي معلم أو واعظ من أيامنا الحالية أو حتى من الماضي. ولهذا يجب أن نتذكر أنها أتت من فم الله مباشرة".

وبعد أن سكتُّ لبضع لحظات حتى يستقبلوا هذه الحقيقة، سألتهم: "هل قال

يسوع إننا يجب أن نطلب من الله أن ينقل الجبل، أم أن علينا نحن أن نتكلم إلى الجبل مباشرة؟"

فأجابوا قائلين: "يجب أن نتكلم إليه مباشرة". وبسرعة ذكَّرتهم أن هناك أجزاء أخرى في العهد الجديد تخبرنا أننا يجب أن نفعل هذا في اسم يسوع، لكن تظل مسئولية التكلم إلى المشكلة مسئوليتنا نحن.

وواصلت القول: "ما الذي دفع يسوع إلى أن يقول هذه العبارة؟" ورجعت معهم إلى قصة الكتاب المقدس التي حدثت في اليوم السابق، عندما طلب يسوع ثمراً من شجرة تين معينة. وعندما لم يجد ثمراً، بل أوراقاً فقط، "**قال لها لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد**" (آية ١٤). الأمر واضح: كان يسوع يتكلم مباشرة إلى الشجرة.

في اليوم التالي عندما مر يسوع والتلاميذ بهذه الشجرة نفسها، كانت قد ذبلت وأصبحت جذعاً جافاً عليه أغصان عارية. فتذكر بطرس ما حدث وعلق قائلاً: "**يا سيدي، انظر! التينة التي لعنتها قد يبست!**" (آية ٢١). وكان جواب يسوع هو الكلمات التي كتبتها على اللوحة.

إن سرد هذه الحادثة في إنجيل متى يظهر بأكثر تحديد كيف تجاوب يسوع مع فضول بطرس:

"**الحق أقول لكم: إن كان لكم إيمان ولا تشكّون، فلا تفعلون أمر التينة فقط، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل: انتقل وانطرح في البحر فيكون**". (متى ٢١: ٢١)

ثم سألت العاملين: "هل تدركون هذا الأمر؟ استمعوا إلى كلماته مرة أخرى 'لا تفعلون أمر التينة فقط، بل أيضاً...'. كان يسوع يريد أن يقول 'اسمعوا'. تماماً كما قمت وتكلمت إلى العاصفة وأمرتها أن تهدأ، فهدأت، وتماماً كما تكلمت إلى التينة وأمرتها أن تموت، فماتت، هكذا أولادي أيضاً يمكنهم أن يفعلوا مثل هذا!؟"

كان الجميع يصغون بانتباه، مع أنهم كانوا يشمون رائحة دخان الحريق ويرون الرماد وهو يتجمع على نافذة غرفة الاجتماعات. وأكملت قائلاً: "لا يجب فقط أن نطلب من الله، بل لابد أن نتكلم مباشرة إلى هذه الكارثة. يجب أن نتكلم من منطلق

سلطاننا أننا واحد معه، ووارثون معه، ونملك في هذه الحياة بفيض النعمة. دعونا ننظر إلى مزمور ٨".

"وتنقصه قليلاً عن الملائكة، وبمجد وبهاء تكلله. تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه". (مزمور ٨: ٥ ـ ٦)

"بما أننا سفراء عن الله، فقد نقصنا قليلاً عن الله نفسه، ويجب أن نأتي بالحياة كما في السماء كذلك على الأرض! لا يوجد مبنى محترق في السماء! وهكذا فإنها ليست مشيئة الله لمبنانا الذي أعطاه لنا، أن تشتعل فيه النيران. يقول يسوع بوضوح: **'السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويهلك، وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل'**. (**يوحنا ١٠: ١٠**). هناك خط فاصل في كل الأمور. إذا تعلق الأمر بالقتل أو السرقة أو التدمير، فهذا هو قصد عدونا. لكن إذا تعلق الأمر بأسلوب حياة السماء – ملء الحياة – فهذا هو قصد الله".

ثم واصلت قائلاً: "إن الحريق ليس من الله، والدمار الناتج عنه ليس من الله. هذا الحريق بدأه السارق، والظلمة. ويجب ألا نهرب منه وندع مدينتنا ومبنانا يتحولان إلى الرماد. سوف نقف ونأمره أن يتوقف!"

رأيت التعبيرات تتغير على وجوه العاملين – بدأ الخوف يزول مفسحاً المجال للحماس. كان بمقدوري أن أرى الإيمان وهو يزداد لأن ما قاله يسوع عن مواقف مثل هذه أصبح واضحاً للغاية.

ثم قلت: "حسناً، سوف نعمل قائمة بما سوف يحدث وما لن يحدث، وهذا هو ما سوف نصلي به ونأمر بحدوثه". وبدأت بعمل قائمة على اللوحة. "أولاً، نحن نتفق على أن مبنانا لن يحترق، ولا بوصة واحدة منه. ثم سيكون من الخطأ أن نصدق أن الله يريد أن يخلص مبنانا بينما نشاهد كل جيراننا يعانون من الخسارة. بالإضافة إلى أننا لم ندفع ثمناً باهظاً مقابل هذه البقعة الجميلة التي تطل على الجبال الرائعة، والمدينة الجذابة، والزراعات الجميلة، لكي تتحول بعد ذلك إلى قطعة أرض محترقة ومتفحمة. ولهذا فإن هذه النيران لن تحرق ولا قطعة واحدة مما يمكننا أن نراه من حول مكتبنا". أصبح هذا ثاني بند في القائمة.

ثم قلت: "لن نخسر كل الوقت والطاقة والمال الذي سنتكلفه للانتقال من مبنانا،

خاصة وأننا يمكننا أن نستخدم هذه الأشياء الثمينة في خدمة الناس. هل يمكنكم أن تتخيلوا مدى صعوبة الاستمرار بكفاءة أثناء العمل من موقع مؤقت بسبب الإخلاء؟ لذلك فثالث بند على قائمتنا هو أن النيران لن تعبر طريق رامبارت رينج، لن نضطر للإخلاء".

وبينما كنت واقفاً امام اللوحة والقلم في يدي، أكملت وقلت: "كما نحتاج أيضاً أن تغير الريح اتجاهاتها؛ لابد لها أن تهب من الشرق إلى الغرب". وكان هذا هو البند الرابع على القائمة.

بدأ العاملون يتحمسون للأمر، وبدلاً من أن أرى الناس يقعون تحت ضغط الخوف والهزيمة، بدأت أرى طاقة وتصميماً جديدين بينهم. اقترح أحدهم أننا نحتاج إلى عاصفة مطيرة لتخمد النيران؛ فقد ظلت تشتعل لمدة ثلاثة أسابيع، ولم يستطع رجال الإطفاء أن يسيطروا عليها بسبب قلة المطر وكثرة الرياح. وكلنا وافقنا على أن تكون العاصفة المطيرة هي البند الخامس على القائمة.

كانت النقطة السادسة والأخيرة هي أن تخمد النيران، سوف نأمرها أن تتوقف، سواء كان ذلك نتيجة نقص الأكسجين أو الوقود أو نتيجة إخمادها بالماء. سوف تتوقف!

أثناء ذلك الاجتماع، كنت أشجع العاملين مثل مدرب فريق كرة القدم الذي يحفز فريقه قبل المباراة الفاصلة. وعند هذه النقطة أصبحوا في غاية الحماس لدرجة أنهم لم يستطيعوا الانتظار للخروج إلى موقف السيارات حتى يتكلموا إلى الحريق. استمتعت وأنا أرى عيونهم تتلألأ، وأشاهد إيمانهم المتزايد يزيل الخوف والقلق من على وجوههم.
فقلت: "حسناً، هناك أمر واحد آخر أريد أن أناقشه. متى سوف ننال ما نطلبه؟"

لم يقل أحد كلمة واحدة؛ فقد بدت الإجابة المنطقية هي: "عندما يتوقف الحريق". لكن أعضاء فريقنا أذكياء، وعرفوا بطريقة ما أن هذه لم تكن الإجابة الصحيحة. وساد عليهم هدوء مفاجئ، لكن هذا لم يكن يقلل بأي حال من الأحوال إيمانهم المتصاعد. فحتى في هذا الصمت يمكنك أن تشعر بقوتهم التي عثروا عليها أخيراً.

وبعد لحظة أو اثنتين، قطعت الصمت وقلت بكل حماس: "انظروا إلى الآية التي

على اللوحة مرة أخرى: 'لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم'. بعدها كررت هذه الآية:

"حينما تصلون، آمنوا أن تنالوه".

"أيها العاملون، لقد قالها يسوع بوضوح: 'عندما نصلي ونأمر الشيء أن يحدث، فهذا هو الوقت الذي نؤمن فيه وننال ما طلبناه'. وفي حالتنا هذه، سوف يتحقق الأمر في اللحظة التي نتكلم فيها بهذه النقاط الستة. لا يهم ما تراه عيوننا أو تخبرنا به حواسنا، فلدينا تقرير أصدق يجب أن نؤمن به – وهو كلمة إلهنا".

ثم وجهتهم إلى ما قاله بولس لأهل كورنثوس: **"ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى، بل إلى التي لا ترى [كلمة الله]. لأن التي ترى وقتية، وأما التي لا ترى فأبدية".** (٢ كورنثوس ٤: ١٨). وقلت لهم: "النيران التي نراها ليست هي ما يجب أن نركز انتباهنا عليه، بل ما عقدنا العزم عليه في هذه الغرفة وما سوف نأمر به في موقف السيارات هو الذي سوف نركز عليه. لأن الذي يُرى، والذي هو النيران، قابل للتغيير".

ثم التفت إلى مدير العاملين ووجهته أن يخبر شركة النقل أننا لم نعد نحتاج إلى خدماتهم. بعدها أخطرت الفريق أنه بمجرد أن ننتهي من التكلم إلى الحريق، سوف يقومون بجمع كل الأغراض التي تم إنزالها ويعيدونها إلى داخل المبنى.

وصرخت قائلاً: "والآن، هل أنتم مستعدون للتكلم إلى الحريق؟"
وكانت إجابتهم الحماسية هي: "أجل!"

سرنا كلنا إلى موقف السيارات، ثم صلينا بهذه الطريقة: "أيها الآب، نشكرك لأنك أعطيتنا هذا المبنى الجميل لنخدم شعبك. نشكرك لأجل المنظر الجميل الذي باركتنا به، إننا نتضرع إليك ألا يُفقَد ولا شيء واحد من هذا، وألا تحرق النار ولا جزءاً واحداً من مبنانا أو أي شيء يقع في محيطنا – أي المباني الأخرى أو الزراعات. نصلي ألا نضطر إلى الإخلاء وأن تغير الريح اتجاهها وتهب من الشرق إلى الغرب. وأخيراً نطلب أن تأتي عاصفة مطيرة وتنهي الحريق. نسأل هذ في اسم يسوع".

ثم حان الوقت للتكلم إلى الحريق: "والآن أيها الروح القدس، نشكرك لأنك تدعمنا بينما نقف بسلطان اسم يسوع ونتكلم إلى هذه المحنة". ثم أشرنا كلنا بأصابعنا

باتجاه أعمدة الدخان والسواد الضخمة التي تعلو فوق الجبال التي تقع غربنا. قمت بالقيادة وكان الفريق يكررون ورائي في اتحاد. وصرخنا قائلين: "أيها الحريق، نحن نتكلم إليك في اسم يسوع المسيح: 'لن تحرق مبنانا، ولا مدينتنا، ولا أية زراعات نطل عليها. نحن نأمرك أن تكف عن التقدم، ولن تعبر طريق رامبارت رينج. يجب أن تخمد!، نحن نتكلم إليكِ أيتها الرياح، في اسم يسوع: 'يجب أن تغيري اتجاهك. نحن نأمركِ أن تهبي من الشرق إلى الغرب. كما نستدعي عاصفة مطيرة أن تهيلَ المياه عليكِ. نحن نعلن هذا كله في اسم يسوع المسيح!'

كان الجميع يصلون بحرارة، لأن الإيمان كان متزايداً في قلوبنا. كنا كلنا بنفس واحدة، ولنا فكر واحد، ومتحدين في الهدف، ولم يكن شيء ليوقفنا؛ إذ كنا نعلم أن السماء تساندنا.

وفجأة تغيرت الرياح. الله وفريقي شهود على هذا! كانت الرياح تهب متسارعة من الغرب إلى الشرق وظلت على هذه الحال عدة أيام. والآن، بصورة مفاجئة، أصبحت تهب بثبات من الشرق إلى الغرب. وفكر البعض منا قائلين: "هل هذا حلم؟ كنا نؤمن أن هذا سوف يحدث، لكن هل معقول أنه كان يحدث بينما كنا لانزال نتكلم إلى هذه العناصر؟"

فجأة، بمجرد أن أنهينا الصلاة، هرعت موظفة الاستقبال، التي ظلت داخل المبنى لاستقبال المكالمات التليفونية، إلى موقف السيارات وصرخت قائلة: "لقد تغيرت الرياح!" توجهت إلى مدير العاملين مباشرة وإليّ وقالت: " رجال الإطفاء في غاية السعادة، وهم يقولون إن الرياح فجأة تغيرت وأصبحت تهب من الشرق إلى الغرب!" كان لديها جهاز استقبال بجانب مكتبها وكان مضبوطاً على موجة رجال الإطفاء. وظلت تراقب ما يأتي عليه طوال اليوم، وسمعت للتو رجال الإطفاء وهم يصيحون في فرح عبر اللاسلكي عن هذا التغير الجذري الذي حدث للتو في الرياح. كانوا يعلمون أن هذا سوف يوقف تقدم الحريق نحو المناطق المدنية.

بدأنا كلنا نصيح بتلقائية قائلين: "شكراً لك أيها الآب! أنت رائع جداً! أنت أمين جداً!"

في تلك الليلة وقفت على الدرج الخلفي لمنزلي، وشهدت ظاهرة أخرى. كان منزلنا يبعد أميالاً قليلة إلى الشرق عن مبنى الخدمة، وكانت الريح لاتزال تهب من الشرق

إلى الغرب، وبينما كنت أنظر باتجاه مكتبنا، شهدت عاصفة رعدية آتية من الغرب. فناديت زوجتي لكي تأتي وقلت لها: "يا ليزا، كيف يمكن أن تهب الريح من الشرق إلى الغرب ومع هذا تأتي العاصفة من الغرب إلى الشرق؟" وهطلت أمطار غزيرة، وفي غضون أيام قليلة، كانت النيران قد خمدت بالتمام، كانت هذه حقاً معجزة.

ومنذ ذلك الأسبوع، تغير العاملون ولم يعودوا كما كانوا؛ فهم الآن في غاية الجرأة والتحديد عندما يأتون إلى عرش الله في الصلاة. وهم يعرفون في أعماقهم أن "**طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها**" (**يعقوب ٥: ١٦**). والترجمة المنقحة للكتاب المقدس تقول إن صلاة البار: "تتيح قدراً هائلاً من القوة [الفعالة في عملها]". لدينا لوحة كبيرة في قاعة المؤتمرات عليها طلبات محددة من كل قسم في خدمتنا. كثيرون من الزائرين يأتون إلى مكتبنا أثناء اجتماع الصلاة الصباحي للعاملين ويتقوون بالإيمان والشغف الذي يصلي به فريقنا.

وسؤالي هو: "كم من الأمور لا ننالها لحياتنا، أو الأهم من ذلك، لمساعدة الآخرين في نطاق تأثيرنا، لأننا لا نحيا بالإيمان؟"

كم منا تنساق مسيحيته بالمشاعر أو العواطف أو المعلومات العقلانية التي تقتل قدرتنا على أن نؤمن؟ هل نحن مثل تلك المرأة اليونانية، التي لم ترضَ بالرفض حتى عندما تعرضت له في البداية؟ هل نحن مثل بارتيماوس الذي لم يسمح لأحد أن يعوقه، حتى عندما كان الآخرون بجواره يخبرونه أن يهدأ ويقبل أوضاعه ويكون عاقلاً ويتصرف مثل بقيتهم؟ هل نحن مثل الرجال الذين أتوا بالمفلوج ولم يستطيعوا الاقتراب من يسوع، لكن بسبب إصرارهم، تسلقوا السطح وفتحوه لكي ينالوا الشفاء من الله؟ هل نحن مثل المرأة التي قالت: "فقط دعوني ألمسه" وسارت وسط الجمع، وكانت تزحف على التراب بين أقدام الجموع فقط لتلمس هدب ثوبه؟

ما هو نوع الإيمان الذي نعمل به؟ هل نحن مصممون على أن ننال من الله ما لنا؟ هل نجاهد في سعي لا يلين؟ أم أننا خانعون ونتعايش مع الأشياء التي دفع يسوع ثمناً كبيراً لكي يحررنا منها؟ هل نحن من هذا الجيل الذي سأله يسوع قائلاً: "**ولكن متى جاء ابن الإنسان، ألعله يجد الإيمان على الأرض؟**" (**لوقا ١٨: ٨**)

يشرق، وليس ينزل!

نال إشعياء لمحة عن الكنيسة المجيدة التي سوف يعود إليها يسوع. فكتب:

"قومي استنيري
لأنه قد جاء نورك،
ومجد الرب أشرق عليك.
لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض،
والظلام الدامس الأمم.
أما عليك فيشرق الرب،
ومجده عليك يُرى.
فتسير الأمم [الهالكون] في نورك،
والملوك في ضياء إشراقك.
ارفعي عينيك حواليك وانظري.
قد اجتمعوا كلهم. جاءوا إليك.
يأتي بنوك من بعيد،
وتُحمل بناتك على الأيدي.
حينئذ تنظرين وتنيرين،
ويخفق قلبك ويتسع،
لأنه تتحول إليك ثروة البحر،
ويأتي إليك غنى الأمم". (إشعياء ٦٠: ١ ـ ٥)

كان إشعياء يصف الحياة التي تفوق العادة التي دعا الله الكنيسة لكي تعيشها. لكنني قابلت الكثيرين جداً على مدار سنوات كثيرة أثناء خدمتي، كان لديهم توجه أو اعتقاد أن الله سوف يأتي في يوم ما قريب بنهضة عظيمة على الكنيسة. وكأننا نبحث عن الله حتى يقوم فجأة بإنهاض الكنيسة وإقامتها وسكب قوته بشدة عليها.

ومع مرور السنوات وبينما تأملت أكثر وأكثر في هذا الأمر، وصلت إلى نتيجة هي أن الله ينتظرنا! إنه فقط يبحث عن جيل يؤمن. أعلن إشعياء أن مجد الله سوف يكون قوياً علينا لدرجة أن الهالكين سوف يأتون إلى نورنا، سوف يأتون بأعداد هائلة، وستكون هذه بداية حصاد عظيم للنفوس لملكوت الله الأبدي.

لكن مجده وقوته لن ينزلا، بل انظر إلى ما يقوله إشعياء: "مجد الرب أشرق عليك".

فهو لن ينزل من السماء، بل سوف يشرق من داخلنا. هل يمكن أن يعني هذا أننا سوف نزيل الغطاء من علينا ككنيسة ونبدأ أخيراً في أن نؤمن بالله؟ هل يمكن أن يعني هذا أن إيماننا سوف يصير أخيراً مثل الكنيسة الأولى، بل وأقوى؟ هل سنؤمن حقاً بما يقوله يسوع ونسعى وراءه بإيمان لا يلين؟ أعتقد أن الله ينتظرنا! فقد رأى مسبقاً أنه سيوجد جيل يفهم أخيراً أن "البار بالإيمان يحيا"، وينال ويعلن أخيراً ذلك المجد الفائق الذي كان متاحاً لكل الأجيال من قبل لكن بسبب عدم الإيمان ضاع منهم.

هل ترى مدى أهمية الإيمان؟ هل يمكنك الآن أن ترى لماذا يخبرنا الكتاب المقدس أنه يستحيل أن نرضي الله بدونه؟ (انظر عبرانيين ١١:٦) لقد دعينا إلى ما هو فوق العادة، ولكن لا يمكننا أن نصل إليه بدون الإيمان الذي لا يلين! دعونا ننفض عنا ثياب الموت؛ فنحن لسنا من أهل هذا العالم، نحن كهنوت ملوكي، جيل مقدس، نوعية مختلفة من الشعوب، لنا الطبيعة الإلهية، نحن أبناء وبنات النور، ولدينا قوة فائقة بداخلنا.

لن يستطيع الشيطان أن يقف أمام الكنيسة المجيدة التي تنبأ عنها إشعياء. لماذا لم نسعَ وراء تعاليم يسوع بمثابرة شديدة؟ لقد دفع ثمناً لكي يحرر الأمم، وهم ميراثه. وقد أعطانا سلطانه لكي نذهب ونأتي بالهالكين للخلاص ونعلّمهم كيف يعيشون مثله. يقول لنا يسوع:

"فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: «دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر». آمين". (متى ٢٨: ١٨ ــ ٢٠)

هذه هي كلماته لك ولي. كل سلطان في السماء وعلى الأرض قد دُفع له، لكنه بعدها مباشرة يقول: "فاذهبوا ..." لقد نقل سلطانه لنا ويتوقع منا أن نذهب ونثبّت ما دفع هو ثمنه. علينا الآن أن نذهب باسمه، وبالنيابة عنه، وبسلطانه، لأننا واحد معه، ولأنه "كما هو في هذا العالم، هكذا نحن أيضاً". (١ يوحنا ٤: ١٧). هل تدرك مقدار ما ائتمنك عليه؟ يجب أن نذهب بدون كلل ونأتي بالسماء إلى الأرض – في حياتنا وفي العالم الذي نؤثر عليه.

هل يشرق إيمانك؟ أرجو أن تدرك أن هذا الإيمان لا يمكن أن يعوقه أو يغلبه أو

يهزمه أي شيء أو أي شخص. أنت هو الشخص الوحيد الذي يمكن أن يستسلم. لا توجد قوة للظلمة يمكنها أن توقف إيمانك! فيسوع يقول: "ها أنا **أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيّات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضركم شيء**". (لوقا ١٠: ١٩). لقد أعطانا سلطانه، ذلك السلطان الذي لا يفوقه شيء آخر. لقد ائتمننا عليه وأوضح قائلاً: "ولا يضركم شيء".

لقد آن الأوان. الوقت هو الآن – وليس بعد عشرة أعوام من الآن، ولا حتى بعد عام واحد من الآن. لقد حان الوقت للكنيسة لكي تقوم وتسلك في ما هو فوق العادة بقوة النعمة من خلال الإيمان الذي لا يلين. كف عن النظر إلى قدراتك، بل ركز على سلطانه وقدرته وقوته الساكنة في داخلك. لقد أعطاك الكثير! لا توجد حدود لما يمكن أن نفعله لمساعدة الناس على أن يصلوا إلى ملء الحياة.

تأملات لرحلة فوق العادة

هل سيستجيب الله لاحتياجك أم لإيمانك؟ اذكر أسباباً لإجابتك.

في اعتقادك، لماذا يعد إيمانك مهماً جداً بالنسبة لله؟

هل هناك "جبال" في حياتك تحتاج إلى أن "تتكلم إليها" في اسم يسوع؟ افعل هذا الآن باسمه القدير!

الفصل الخامس عشر
ما الذي تصغي إليه؟

دعونا نراجع بعضاً مما ناقشناه حتى الآن.

إن هدفنا المطلق في الحياة كمؤمنين هو أن نرضي الله. واشتياق كل مؤمن حقيقي هو أن يجلب السرور لأبينا السماوي. وعلى العكس، فلن تجد هذا الدافع في المؤمن "المدّعي"، لأنه يرى التقوى من خلال عدسة المنفعة الشخصية. لا يوجد مثل هذا النوع من النوايا الملتوية لدى من هم فوق العادة لأن الصورة الشخصية أو محبة الذات لا تثقلهم. فمن يعيشون الحياة الممكّنة بالنعمة لا ينساقون وراء المنفعة الشخصية، أو الحياة المترفة أو الطمع، بل يعيشون لكي يأتوا بالإبداع والابتكار والبصيرة والموارد والفوائد الأخرى الخاصة بالحياة والقوة الإلهية إلى المحيطين بهم. وإذ يهتمون بتسديد احتياجات البشرية المتألمة، يزدهرون تلقائياً في كل جوانب حياتهم الشخصية.

يستحيل علينا إرضاء الله بقدرتنا الذاتية. لكن "**قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى**". (**٢بطرس** ١: ٣)، وهذه القدرة ليست سوى نعمته الرائعة. وقد اكتشفنا أن النعمة أكثر من مجرد غفران الخطايا، فهي أيضاً حضور الله الذي يعطينا القدرة على أن نفعل ما يتطلبه الحق منا. ويؤكد بولس على هذا قائلاً: "**لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة**". (**فيلبي** ٢: ١٣). وهذه الحياة فوق العادية من جانبنا هي أكثر شيء يسر الله.

فعل الله هذا أولاً بأن أعطانا طبيعة جديدة؛ فلم ننل غفران الخطايا فقط، بل أصبحنا خليقة جديدة أيضاً، أولاداً على صورة ومثال المسيح نفسه. وأصبح بإمكاننا الآن، من خلال قوة هذه الطبيعة الجديدة وبالاتحاد مع الروح القدس، أن نحيا مثل يسوع حياة مقدسة وقوية وفوق العادة، ونعمل أعماله ونأتي بثمار أعظم أيضاً.

يمكننا أن ندخل إلى هذه النعمة العجيبة عن طريق الإيمان، ولا يوجد طريق آخر للحصول عليها غير ذلك؛ فالإيمان هو خط الأنابيب الذي ينقل النعمة إلى حياتنا.

إذا كان لنا الإيمان لغفران خطايانا فقط، فسوف نعيش حياة طابعها العام هو العقم والهزيمة. إذا كان لنا الإيمان لغفران الخطايا والحياة بالتقوى فقط، فسوف نعيش حياة نقية لكننا سنجد أنفسنا معطّلين بعوائق ومشكلات تمنعنا من أن نصل إلى من يحتاجون لقوة الملكوت. لكن إذا كان لنا الإيمان أن ننال غفران الخطايا، ونعيش بالتقوى، وننال كل البركات الروحية التي قدمها الله لنا في المسيح، فعندئذ يمكننا أن نحقق ما أوصانا الكتاب المقدس أن نفعله، وهو أن نسلك **"كما سلك ذاك"** (١ يوحنا ٢: ٦)، ونأتي بالرجاء والحلول للمحتاجين.

يجب أن نتذكر أن يسوع عاش بمهمة مركزة، فقد أتى وله قصد وهدف؛ لم يأتِ فقط لكي يمر بالحياة ويخدم الناس بعشوائية حسبما تتاح له الفرصة. استمع إلى كلماته وانتبه بوجه خاص لفكرة القصد والهدف: **"لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك أيضاً، لأني لهذا خرجت"**. (مرقس ١: ٣٨). وأيضاً **"لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق"**. (يوحنا ١٨: ٣٧). يقول يوحنا عنه: **"لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس"**. (١ يوحنا ٣: ٨).

ثم يقول يسوع أروع العبارات لكل منا قبل صعوده إلى السماء مباشرة:
"كما أرسلني الآب أرسلكم أنا". (يوحنا ٢٠: ٢١)

إنه يقول لكل منا: "لقد أتيت لأجل قصد وهدف، وهما أن أشهد للحق، وآتي بثمار أبدية، وأنقض أعمال إبليس. وهكذا أرسلك". وبعد أن فهمت هذا، استمع إلى ما كان برنابا يحرض كل عضو في كنيسة أنطاكية بقوه عليه: **"الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح، ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب"**. (أعمال ١١: ٢٣).

إذا لم يكن لنا الإيمان للدخول إلى نعمة الله لنعيش حياة فوق العادة، سوف لا تكون لنا القدرة على أن نأتي بثمار أبدية وننقض أعمال إبليس، ولن نستطيع أن نحقق قصدنا بالتمام. كيف يمكننا إذاً أن نرضي الله؟

زد إيماننا

لهذا السبب يقول لنا الكتاب المقدس بكل تأكيد: **"ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه"**. (عبرانيين ١١: ٦). وقد جاءت هذه العبارة في ترجمة أخرى هكذا: "ولكن بدون إيمان يستحيل إرضاؤه". هل لاحظت كلمة يستحيل؟ ها هو المعنى باختصار: عدم

الإيمان يعني عدم الدخول إلى النعمة وعدم القدرة على إرضاء الله. الإيمان القليل يضمن دخولاً قليلاً إلى النعمة وقدرة قليلة على إرضاء الله؛ فالأمر كله ينتهي عند الإيمان. وقد احتاج التلاميذ إلى بعض الوقت لفهم هذه الحقيقة. وبمجرد أن فهموها، رأوا أوجه قصورهم بعدسة مكبرة، واتضح لهم السبب الذي لأجله لا يحتمل يسوع إيمانهم الضعيف. وأخيراً صرخوا قائلين:

"زد إيماننا!" (لوقا ١٧: ٥)

أخيراً أدرك الرسل أهمية الإيمان، ولا يمكنني أن أتخيل سوى سرور السيد نتيجة هذا الإدراك من جانبهم. أخيراً أتى هؤلاء الرجال الذين عمل معهم بصبر لسنوات يطلبون ما هو ضروري للحياة الناجحة في الملكوت. وكان هذا هو رده عليهم:

"لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذه الجميزة: انقلعي وانغرسي في البحر. فتطيعكم". (آية ٦)

لاحظ أن يسوع يتحدث عن حبة الخردل، التي تعتبر صغيرة جداً ويصل قطرها إلى ملليمترين فقط. وهي تشبه بذرة الخشخاش أو نقطة من قلم أسود سميك على ورقة. كان يسوع يشير إلى أن الإيمان ينبع مما يبدو غير مهم، ولهذا يغفله الكثيرون. فهم يبحثون عما هو فوق العادة في مواضع منطقية – في المادي، ويفشلون في إدراك أن ما فوق العادة يبدأ بكلمة الله، التي هي البذرة.

مزروعة في قلوبنا

يمكننا أن نرى المفتاح لوجود كلمة الله في كياننا في: "القلب يؤمن به". (رومية ١٠: ١٠). هذا القلب هو مركز عدم إيماننا، ولهذا يجب أن تزرع البذرة فيه. وقد تناول يسوع هذه الحقيقة المحورية في مثَل الزارع. في الحقيقة يعد فهم هذا المبدأ في غاية الأهمية لدرجة أن يسوع يقول:

"أما تعلمون هذا المثل؟ فكيف تعرفون جميع الأمثال؟" (مرقس ٤: ١٣)

وهذا يعني ببساطة أن هذا المثل يشرح المبدأ الأساسي للإيمان، وبدون أن نفهمه ستظل مبادئ الملكوت لغزاً بالنسبة لنا.

يقول المثل الكتابي إن زارعاً خرج إلى حقله ليزرع بذاره، وبينما كان ينثر البذار، سقط بعضها على الطريق، حيث انداس وأكلته الطيور. بذار أخرى وقعت بين

الحصى وطلعت، ولكنها ذبلت بعد ذلك لأنها لم تكن لها جذور ثابتة. وقعت بذار أخرى بين الأشواك، فطلعت ونمت، لكن الأشواك نمت معها وفي النهاية خنقتها. وأخيراً سقطت بقية البذار على الأرض الخصبة فأنتجت حصاداً ومحصولاً عظيماً.

بعد ذلك عندما أصبح التلاميذ وحدهم مع يسوع، سألوه عن معنى ذلك المثل: فأجاب يسوع: "**هذا هو المثل. الزرع هو كلام الله**". (**لوقا** ٨: ١١). وهذا الأمر له أهمية كبيرة؛ فعندما قال يسوع: "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل"، كان يشير إلى الكلمة التي يتحدث بها الروح القدس إلى قلوبنا، سواء من الكتاب المقدس أو من مصادر تتوافق مع الكتاب المقدس. وكما قيل سابقاً، فإن البذرة تحتوي على كل ما يلزم لتحقيق ما يجب أن تكون عليه. كل ما تحتاجه لكي تحيا وتنمو هو التربة. وكما سنرى، فإن التربة تمثل قلوبنا.

يريد الله أن يعلن ملكوته على هذه الأرض، وأن يأتي ببركات السماء إلى العالم المظلم. لكن حالة قلب المؤمنين هي التي تحدد ما يمكن لله فعله من خلال جسد المسيح. عندما سار يسوع على هذه الأرض، كان يؤمن تماماً بكلمات الآب. لم يكن هناك نقص في إيمانه، ولهذا قيل عنه: "**هأنذا أجيء. في درج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله**". (**عبرانيين** ١٠: ٧). لقد تمم يسوع رغبة الله بصورة كاملة. لكنه رجع إلى الآب وترك لنا مهمة إتمام العمل الذي بدأه. والآن يمكن إتمام مشيئة الله – التي هي الشهادة للحق ونقض أعمال إبليس – ليس فقط من خلال شخص واحد هو يسوع المسيح، بل من خلال جسده بأكمله، الذي هو مجموع المؤمنين. الشرط الوحيد هو أننا يجب أن نتعاون معه، وهذا كله يبدأ في القلب.

دعونا نكمل تفسير يسوع لهذا المثل المهم للغاية:

"**الذين على الطريق هم الذين يسمعون، ثم يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا**". (**لوقا** ٨: ١٢)

يسمع الناس الكلمة، لكن يأتي الشيطان ويأخذها من قلوبهم لهدف واحد: لأنه لا يريدهم أن يؤمنوا لأن الإيمان سوف يفسد أعماله. وهكذا يصبح السؤال المنطقي الذي يجب أن نطرحه هو: "كيف يخطف الشيطان كلمة الله؟" الشيطان لديه أساليب رئيسية يستخدم فيها خبرات الإحباط، والتقاليد "المسيحية" التي من صنع البشر، والعقلانية البشرية، والمعتقدات المغلوطة التي نتمسك بها، وغير ذلك – فالقائمة

طويلة. يجب أن نتذكر أن الشيطان لا يأتي بشوكة ثلاثية وذيل مدبب وقرنين ويقول: "أنا الشيطان، وقد أتيت لكي أسرق كلمة الله". فإذا فعل ذلك، سوف يقاوم معظمنا بشدة، بل ويؤمنون أكثر بما سمعوه. كلا، فإن الكتاب المقدس يقول إن إبليس ماكر وذكي، واستراتيجياته تبدو طبيعية إلى أقصى حد، بحيث يصعب على الإنسان أن يميز أنه هو الشيطان. وهدفه هو أن يجعل كلمة الله تبدو غريبة في حين تبدو حكمته هو طبيعية. هذه هي أكثر استراتيجيات إبليس فعالية!

استمع إلى عبارة يسوع مرة أخرى: " **يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا**". هنا أيضاً نرى أن الرسالة تُزرع في القلب وليس في العقل، وهذا تهديد للظلمة. عندما يقول يسوع: "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل" فهو لا يتحدث عن أن تكون كلمة الله في أذهاننا بل في قلوبنا. دعني أكرر عليك هذه الآية: "**القلب يؤمن به**" (**رومية ١٠: ١٠**). فالتركيز الأساسي للمثل إذاً ليس هو البذار بل حالة الأرض أو القلب، وسوف يتضح هذا أكثر بينما نواصل الحديث.

يكمل يسوع فيقول:

"والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح، وهؤلاء ليس لهم أصل، فيؤمنون إلى حين، وفي وقت التجربة يرتدون". (**لوقا ٨: ١٣**)

العبارة المفتاحية هنا هي "ليس لهم أصل" أو كما تقول الترجمة الإنجليزية الحديثة: "لا تغوص الكلمة بعمق فيهم". فهم يسمعون الرسالة بسرور ويقبلونها بعقولهم، بل وأيضاً في قلوبهم بدرجة ما، لكنها لا تتعمق داخلهم حتى تصبح حقيقية أكثر من العالم الطبيعي. وبمجرد أن تظهر المشكلات أو أية ظروف معاكسة لما تقوله كلمة الله، يتراجعون، مما يكشف ببساطة إيمانهم الضحل، فيسهل اقتلاع معتقداتهم من جذورها.

كثيراً ما أتى إليّ أشخاص وقالوا: "يا جون، أنا أؤمن بكلمة الله، لكنها لم تتحقق معي؛ فصلواتي لم تنل استجابات". ما حدث لهم في غاية البساطة. هناك عادة فترة من الوقت تبدأ عندما نؤمن بالله لأجل شيء ما محدد وتستمر حتى يكتمل العمل أو يستعلن. وأنا أسمي هذه الفترة "فترة الإيمان الحَرِج". وهي الفترة التي يكون فيها ما نؤمن به معلقاً على ميزان، ويمكنه أن يصعد أو يهبط، وكل هذا تبعاً

لإيمانك. أقول لمن يسألونني لماذا لم يأتِ الله لمعونتهم: "في وقت ما أثناء فترة الإيمان الحرج، أصبحت تؤمن بالمشكلة أكثر مما تؤمن بكلمة الله".

أعلم أن هذا يبدو قاسياً ويبدو أنه يضع الكثير من المسئولية على إيمان الفرد. لكنني أعتقد أن الدليل الكتابي يؤيد وجهة نظري هنا.

على سبيل المثال، تذكر كيف آمن بطرس في البداية بأمر يسوع: "تعال وامش على الماء". ولوقت ما آمن بطرس، ومشى بالفعل على الماء. فكر في هذا الأمر: إذا دخلت في سفينة، ثم خرجت منها وأنت في وسط بحيرة في غاية الهدوء، بالتأكيد لن تمشي على الماء، بل ستغوص فيه! ومع ذلك مشى بطرس على الماء. لكن بمجرد أن بدأ يركز على المشكلة، ابتدأ يغرق، وقال يسوع لاحقاً إن إيمان بطرس كان قليلاً، لم يقل إن تلميذه لم يكن عنده الإيمان، بل لم يكن إيمان بطرس متأصلاً بعمق داخله.

يقف الكثيرون في هذا الموضع ذاته؛ فهم يؤمنون في البداية، لكن عندما تظهر المشكلات، ينكشف إيمانهم الضحل. يجب أن نؤمن بعمق. استمع إلى وصف يسوع للنوعية الأخيرة من الأراضي (وقد تخطيت النوعية الثالثة لأركز على النقطة التي أريد توصيلها):

"والذي في الأرض الجيدة، هو الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح، ويثمرون بالصبر". (لوقا ٨: ١٥)

لاحظ عبارة "يثمرون بالصبر". عندما تؤمن بعمق، سوف تتحمل الصعوبات وتصبر على أية مشقات تتعارض مع ما أعلنه الله لك. ولهذا يعد أمراً في غاية الأهمية أن نسمع صوت الله في قلوبنا من الكتاب المقدس. وعندما نفعل هذا، سوف نثبت في هذا الصوت، ونتأمل فيه، ونركز على الصورة التي يرسمها لنا، ثم نتكلم به.

الكلمات ترسم صوراً

لابد أن نفهم أن الكلمات ترسم صوراً. كثيرون لم يتوقفوا للتأمل في هذا الأمر. فإذا قلت كلمة "الغروب"، سوف يظهر في ذهنك على الفور منظر جميل. وإذا كنت تحب البحر ولديك ذكريات جميلة مع الإجازات بالقرب منه، فربما ترى في

مخيلتك الشمس وسط السحب الرائعة فوق المياه. وإذا كنت تعيش في "أريزونا"، فربما تتصور كرة حمراء نارية تنزل إلى الصحراء المقفرة. أما إذا كنت تعيش في "كولورادو"، فربما ترى الشمس وهي تختفي خلف القمم المدببة لجبال روكي وتشكيلاً جميلاً من السحب يعكس الألوان البديعة. هكذا أيضاً ترسم كلمة الله صوراً في مخيلتنا لأنه يعرف طبيعتنا.

فكر فيما فعله الله مع إبراهيم [أبرام] على سبيل المثال؛ فقد ظهر وقال له: "**لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك. أجرك كثير جداً**". (**تكوين** ١٥: ١). هل يمكنك أن تتخيل أن يظهر الله لك ويقول لك عبارة مثل هذه؟ أمر رائع!

لكن جواب أبرام كان متشككاً: "**فقال أبرام: «أيها السيد الرب، ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيماً... إنك لم تعطني نسلاً، وهوذا ابن بيتي وارث لي**". (آية ٢ ـ ٣). لم يكن لإبراهيم رجاء في أن ينجب ابناً لأن امرأته كانت قد تخطت سن الإنجاب؛ فالصورة الوحيدة التي كانت في قلبه هي الصورة التي رسمتها الحياة له. فالخبرة والمعرفة رسمتا له صورة أنه بمجرد أن تتخطى المرأة سناً معينة – تكون قد توقفت فيه دورتها الطمثية – يكون من المستحيل أن تنجب. كانت سارة قد تخطت هذه المرحلة منذ سنوات، ولذلك كان رد إبراهيم منطقياً في النطاق الطبيعي. لكن الله يمكنه أن يتخطى النطاق الطبيعي، لأن كل الأشياء مستطاعة لديه. لم يكن إبراهيم مستنيراً، مع أن الله ظهر له وقال: "أجرك كثير جداً"، ولم يكن هذا يعني الكثير في عيني ذلك الرجل العجوز لأن كل شيء في يوم ما سوف يؤول إلى خادمه.

لذلك انظر إلى ما فعله الله: "**ثم أخرجه إلى خارج وقال: «انظر إلى السماء وعدّ النجوم إن استطعت أن تعدّها»**". (آية ٥).

أنا على يقين أن هذا الأمر حدث في أول الليل. يقول العلماء إن هناك حوالي ثمانية آلاف نجم يمكن رؤيتها بالعين البشرية في الأحوال الجيدة. لكن في الشرق الأوسط القديم، حيث لم يكن هناك تلوث أو رطوبة أو أنوار المدينة، لابد أن عدد النجوم المرئية كان أكبر بكثير. هل يمكنك أن تتخيل هذه المهمة؟ أنا متأكد أن إبراهيم ظل يعد النجوم لساعات، وفي النهاية شعر بالإرهاق فنام. في الصباح التالي عندما استيقظ إبراهيم، كان الله بالتأكيد هناك. بل يمكنني حتى أن أسمعه يسأل إبراهيم: "حسناً يا إبراهيم، هل قمت بعدها كلها في الليلة الماضية؟"

وربما أجاب إبراهيم قائلاً: "هل تمزح؟ لا يمكن. هذا مستحيل. فهي لا تُحصى ولا تُعد!"

ثم قال الرب: "سوف يكون نسلك هكذا – أكثر من أن يُعد!" لقد رسم الله صورة على شاشة مخيلة إبراهيم. ومن هذا الوقت فصاعداً، كلما كان إبراهيم يتأمل في وعد الله عن نسله، كان يرى سماء الليل الممتلئة بعدد لا يحصى من النجوم. وتتحول هذه النجوم في خياله فجأة إلى وجوه أطفال تصرخ كلها: "يا أبي إبراهيم!"

كما استخدم الله أيضاً صورة الرمل لكي يوصل هذه الحقيقة لإبراهيم: "أكثّر **نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر**". (**تكوين** ٢٢: ١٧). كانت لإبراهيم رحلات كثيرة بجوار البحر، لذلك أعتقد أن إبراهيم كان مغرماً به. وربما كانت له ذكريات عظيمة مع الرمال الدافئة تحت قدميه. وربما في يوم سابق لليوم الذي تحدث فيه الله مع إبراهيم رأى إبراهيم الرمل وفكر في نفسه قائلاً: "يوجد الكثير من الرمال – يا ترى كم حبة رمل موجودة فيها؟ لابد أنها تفوق الحصر!" ففي عالم إبراهيم، كانت النجوم والرمال تمثل الأعداد التي لا حصر لها، ولهذا استخدمها الله كأمثلة.

لو كان إبراهيم بيننا اليوم وكان عالماً بيولوجياً، ربما كان الله قد قال له: "سوف يكون نسلك كثيراً مثل عدد خلايا جسم الإنسان".

وقد فعل يسوع الشيء نفسه في توصيل كلمة الله؛ فقد كان يحكي قصصاً عن الأسماك للصيادين، وقصصاً عن الزراعة للفلاحين، وقصصاً متعلقة بالأعمال والماليات لرجال الأعمال، وقصصاً عن الزفاف والعلاقات الأسرية، وقصصاً عامة أخرى للجموع. وقد فعل هذا حتى يمكن لكل واحد أن يربط الحق بشيء ملموس في حياته اليومية. اليوم، يفعل الله نفس الشيء لك ولي – فهو يستخدم كلمات لكي يرسم بها صوراً لما يريده على شاشة مخيلتنا. وبما أن العدو والله يجاهدان للحصول على شاشة قلبك، فهي منطقة حرب روحية، لأن ما يملأ هذه الشاشة وما نؤمن به، أياً كان، هو الذي سوف يتحقق في حياتنا. فالكلمات التي نسمعها ونحفظها بصورة يومية سوف ترسم صوراً على شاشة قلبنا. ولهذا يقول يسوع: "**انظروا ما تسمعون**" (**مرقس** ٤: ٢٤).

يتكلم إبليس بكلمات داخل ذهنك عن الفشل والهزيمة والفقر والمرض واليأس وعدم القدرة على مساعدة الآخرين – وغيرها الكثير والكثير. وهو يسر عندما ترى نفسك شخصاً عادياً وغير قادر على اختبار التغيير الإلهي. ويعتبر القلق أداته العظمى، لأنه هو المضاد للإيمان. فالقلق يرسم صورة، بل ويدير فيلماً أيضاً على شاشة قلبك قبل أن يحدث. وما تخاف منه هو الذي يسود على شاشتك.

لكن الله يفعل العكس تماماً؛ فهو يتكلم بكلمات تنتج صور الرجاء. ولهذا يقول الكتاب المقدس عن إبراهيم:

"فهو على خلاف الرجاء، آمن على الرجاء، لكي يصير أباً لأمم كثيرة، كما قيل: «هكذا يكون نسلك»". (**رومية ٤: ١٨**)

لقد تكلم الله بهذه الكلمات بعد أن فشلت محاولة إبراهيم في عد النجوم مباشرة. والآن أصبحت صورة الرجاء مرسومة في قلبه عن آلاف الأولاد. هذه الصورة حلت محل صورة إبراهيم السابقة عن عقم زوجته وأن خادمه هو الوريث الوحيد له.

لماذا كتب بولس عن إبراهيم قائلاً إنه "على خلاف الرجاء آمن على الرجاء"؟ الرجاء الأول هو الرجاء الطبيعي. فقد كانت خبرة إبراهم تجعله يفكر أنه لا توجد فرصة لإنجاب طفل من سارة. لكن هناك رجاء آخر، وهو الرجاء الذي يمنحه الله، والذي هو الرجاء الثاني الذي يذكره بولس. لكننا للأسف قللنا من شأن كلمة الرجاء إلى معنى "ربما يحدث". عندما نقول "أرجو هذا"، فنحن في الحقيقة نعني "ربما لن يحدث هذا الأمر، لكن ربما يحدث". وهذه النظرة ليست كتابية. فكلمة الرجاء في الكتاب المقدس تُعرَّف على أنها "التوقع اليقيني". لقد آمن إبراهيم على الرجاء، الذي هو الصورة التي رسمها الله على شاشة قلبه. وبسبب الإيمان، دعا إبراهيم نفسه "أباً لأمم كثيرة" قبل أن يكون له هو وسارة ابن في النطاق الطبيعي. لقد آمن بأن هذا قد تم بالفعل لأن الله لا يمكن أن يكذب. وهذا يفسر السبب الذي لأجله يقول كاتب العبرانيين:

"أما الإيمان فهو الثقة بما يرجى". (**عبرانيين ١١: ١**).

فالرجاء هو الصورة التي ترسمها كلمة الله على شاشة قلوبنا، والإيمان يحييها أو يحققها في الواقع. والسبب الذي لأجله يصارع الكثيرون مع الإيمان هو نقص الرجاء لديهم. إذا لم يكن لديك رجاء، فلن يجد الإيمان شيئاً لكي يحققه.

توجد طريقة أخرى للنظر إلى هذا الأمر وهي عن طريق وصف الرجاء على أنه التصميم المعماري، والإيمان على أنه مواد البناء. يمكن أن يكون لديك أطنان من المسامير والأخشاب والبلاطات والنوافذ وأنابيب الصرف الصحي، وغيرها. لكن إذا لم يكن لديك تصميم معماري، لن يمكنك أن تبني أي شيء. قد يقول أحدهم: "ولكنني يمكنني أن أفعل هذا، أحتاج فقط إلى أن أبنيه في عقلي". أجل، هذا ممكن، ولكن حتى في هذه الحالة يجب أن تكون لك في ذهنك صورة لما تريد أن يبدو عليه البيت، وهذا في حد ذاته تصميم معماري.

لذلك دعني أكرر أنك إذا لم يكن لديك الإيمان، أي الرؤية، أو الصورة، أو التصميم المعماري في قلبك، فلن يجد إيمانك شيئاً يحققه. ولهذا يكتب بولس إلى مؤمني رومية، الذين كانوا يعانون من اضطهاد عظيم، ويقول:

"وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان، لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس".
(رومية ١٥: ١٣)

هذه الآية رائعة – وهي إحدى الآيات المفضلة لدي – لذلك دعونا نتعمق فيها. إنه يقول: "وليملأكم إله الرجاء ..." هل ترى هذا؟ إن الله يسمى "إله الرجاء"! فقضاء الوقت معه ينتج رجاء ورؤية. وتقول إحدى الترجمات عن هذه الآية: "ليملأكم إلهي، الذي هو مصدر الرجاء، بكل الفرح والسلام عن طريق إيمانكم به، حتى يستمر رجاؤكم في النمو بقوة الروح القدس". هل ترى كيف يعمل الرجاء والإيمان معاً لكي يمنحاك الفرح والسلام والسرور؟ هل ترى من أين يأتي الرجاء؟ إنه يأتي من قوة الروح القدس. فهو الأقنوم الإلهي الذي يريد أن يرسم صور الحق في قلوبنا، وهو يفعل هذا عن طريق الكلمات التي يتحدث بها إلينا.

أقول مرة أخرى إن هذا الموقع هو أرض معركة كبيرة؛ فكل من الروح القدس والعدو يريدان الدخول إلى شاشة مخيلة قلبك. إذا استطاع العدو أن يجعلك تؤمن بالفشل والهزيمة والشهوة والكبرياء والمرض والموت وعدم الفعالية والخراب وغيرها – وهي كلها ترسم صوراً عن أكاذيبه – فقد استولى عليك. الإيمان يحيي الأشياء التي نرجوها، لكن الخوف يحيي ما نقلق بشأنه. قال أيوب: "**ارتعاباً ارتعبت فأتاني، والذي فزعت منه جاء عليّ**". (أيوب ٣: ٢٥).

في أوائل العشرينيات من عمري، بعد أن نلت الخلاص، كانت بعض المعارك التي

مررت بها هائلة. فقد كنت أرسم في ذهني صوراً للانحراف الجنسي، وكنت أرى في أحلامي أيضاً نفس الأمور. هذه الصور كانت تتقوى بالاستماع إلى الآخرين وهم يتحدثون، أو بمشاهدة الأفلام أو برامج التليفزيون، أو من خلال الإعلانات. لكن كثيراً جداً ما كانت هذه الصور المقززة تأتيني من لا شيء. كنت أتعذب بهذه الأفكار، واستولى الخوف علي. وكنت أتساءل: "هل ستكون لي في يوم ما علاقة جنسية صحيحة مع المرأة التي سوف أتزوجها؟ ألن أستطيع أبداً أن أنظر إلى امرأة وأفكر فيها بطريقة سليمة؟ كيف يمكنني أن أخدم الآخرين بينما توجد هذه الخطية في حياتي؟ هل أنا غير طبيعي؟"

ثم اكتشفت في أحد الأيام أن كلمة الله تقول: "**لأننا وإن كنا نسلك في الجسد، لسنا حسب الجسد نحارب. إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون**". (٢ كورنثوس ١٠: ٣ ـ ٤). ما هي الحصون التي يتحدث عنها بولس؟ وهو يجيب قائلاً:

"هادمين ظنوناً (خيالات) وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح." (٢ كورنثوس ١٠: ٥)

الكلمة الأولى التي يذكرها هي الظنون أو الخيالات، أو الصور المرسومة على شاشة مخيلتنا، وبعدها تأتي المعرفة غير الصحيحة، وأخيراً الأفكار الخاطئة (وسوف أناقش هذين الحصنين لاحقاً في هذا الفصل). يوضح بولس أن الحصون جزء من الحرب الروحية، وليس الحرب الطبيعية. والأمر يتطلب سلاح سيف الروح القوي – الذي هو كلمة الله – لهدم الخيالات الخاطئة واستبدالها برجاء الله.

وبمجرد أن أدركت هذا، أصبحت لي اليد العليا في المعركة. كنت أعرف أن مستقبلي مضمون، وبدأت أحارب مستخدماً كلمة الله. تكلمت مباشرة إلى الصور وأمرتها أن تنهدم في اسم يسوع، وتكلمت بما تعلنه كلمة الله على حياتي الجنسية. كانت المعركة شرسة، لكنني كنت أعلم أن هذا الحصن لابد أن ينهدم ويستبدل بصور صحيحة أخرى.

وبمجرد أن انتصرت في تلك المعركة، صرت أواجه معارك أخرى. في البداية كانت معظم المعارك تتعلق بحياتي الشخصية. ولكن كلما ازددت نضجاً كانت المعارك تأتي في منطقة الكرازة. وهذه هي أهم المعارك التي يريد العدو أن يسود عليها، لأنها تتعلق بالكيفية التي تؤثر بها على الآخرين. نظر يسوع إلى بطرس وقال:

"سمعان، سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة! ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك. وأنت متى رجعت ثبت إخوتك". (لوقا ٢٢: ٣١ ـ ٣٢)

في إحدى المرات بينما كنت أخدم في الغرب الأوسط، شرح لي أحد الرعاة الفلاحين ما كان يسوع يقوله لسمعان (بطرس). وعرفت أنه إذا تمت غربلة الحنطة بشكل خاطئ، يمكن أن يؤدي هذا إلى إفسادها مما يؤدي إلى عدم قدرتها على الإثمار. عندما سمعت هذا التفسير، أدركت أن ما كان يسوع يقوله لبطرس هو: "إن إبليس يريد أن ينزع منكم القدرة على الإثمار".

العدو لن يهتم حقاً إذا عشت حياة مسيحية مريحة، وجنيت الكثير من المال، واستمتعت بعائدك، ثم ذهبت يوماً ما إلى السماء. بل ما يخشاه أكثر من أي شيء آخر هو أن تكون مثمراً. بمجرد أن تدخل هذه الحلبة، سوف تواجه معركة شرسة.

أستطيع أن أكتب كتاباً كاملاً عن الحروب الروحية التي عشناها أنا وليزا في الخدمة، وكذلك يستطيع أي شخص يعمل في الصفوف الأولى لإنقاذ النفوس. أتذكر أن ليزا نظرت إلي في إحدى الليالي من عام ١٩٨٨، بعد ثلاثة أشهر من بداية تفرغي للخدمة، وقالت بغضب: "لم أكن أعلم أن هناك شياطين كبيرة بهذا الحجم!"

كانت المعارك التي نواجهها شرسة ووقحة في بعض الأحيان، وفي أوقات أخرى أكثر خبثاً. دعني أشاركك بإحدى المعارك الخبيثة التي تشرح بصورة جيدة ما أقوله بخصوص شاشة مخيلتنا.

محاولة خبيثة للغربلة

في عام ١٩٩٢، تحدث الله إليّ في صباح أحد الأيام وأخبرني أن أكتب كتاباً. كانت هذه إحدى المقابلات الإلهية التي لن أنساها أبداً.

كنت أكره اللغة الإنجليزية في المدرسة وأخفقت في امتحان الالتحاق بالكلية الوطنية بسبب المواد المتعلقة باللغة، ولهذا درست الهندسة. ولذلك عندما قال لي الله أن أكتب الكتاب، شعرت حقاً أنه اختار الشخص الخطأ. وظللت غير مطيع لمدة عشرة شهور ولم أكتب. ثم في خلال أسبوعين، أتت إليّ سيدتان بنفس الرسالة: "يا جون بيفير، إذا لم تكتب ما يعطيك الله إياه لتكتبه، سوف يعطي الرسالة لشخص

آخر، وسوف تحاسب على عدم طاعتك". عندما تكرر هذا الكلام على لسان السيدة الثانية، شعرت بخوف الله وأحضرت الورق والقلم.

كتبت كتابي الأول، لكنني ظللت أصارع مع فكرة "من الذي يمكن أن ينشر هذا؟" لم أكن معروفاً، فلم أكن أعظ سوى في الكنائس التي يبلغ عدد أعضاؤها مائة تقريباً، وكنت قبل ذلك راعياً للشباب نشأت في مدينة صغيرة تعدادها ثلاثة آلاف نسمة في الغرب الأوسط. لم أستطع أن أعرف كيف يمكن لهذه الرسالة أن تنشر للناس عامة. لكن الله كان قد تكلم، ولذلك واصلت التحرك.

قدمت النسخة الأولى من الكتاب إلى دار نشر مسيحية كانت في المدينة التي كنت أقيم فيها، ولم يصلني منهم رد لعدة أسابيع. وأخيراً اتصلت وقال لي شخص من الإدارة العليا: "نحن لا نريد أن ننشر كتابك لأن أسلوبه وعظي أكثر من اللازم". وكأن هذا لم يكن كافياً، فبعد بضعة أيام قرأ صديق لي الكتاب وقال: "يا جون، أنت تستخدم الكثير جداً من الآيات الكتابية".

حاربت الإحباط. كانت كلمات الاثنين ترسم صورة للفشل في مخيلتي. لم أفهم وقتها ما يحدث، لكنني الآن أعرف أنها كانت خطة من العدو لكي يمنعني من الإثمار. كان الشيطان يريد أن يغربلني. لكن الله كان قد تحدث إلي، وكنت أشعر بأن هذا الكتاب سوف يلمس الكثيرين. وكنت أمام اختيار من اثنين: هل سأسمح لكلمات هذين الشخصين ذوي النفوذ أن ترسم رؤية عن الفشل في قلبي، أم سأتمسك بالرجاء الموجود في الكلمات التي تحدث بها الله إلي؟ واخترت أن أؤمن بالله وقاومت "صور الفشل" عن طريق استبدالها بالتكلم بكلمة الله. حدث معظم هذا في مخدع صلاتي ومع من ساندوا القصد المعطى لي من الله، وكانت زوجتي أكبر مشجع لي.

اتصلت بناشر آخر وقوبلت بالرفض مرة أخرى. وبما أنني كنت مصمماً على ألا أستسلم، ولم يكن هناك ناشر يريد أن ينشر الكتاب، فقد اخترنا أن ننشره بأنفسنا.

وعلى مدار العام التالي، كنت أبيع الكتاب في الكنائس الصغيرة التي أتحدث فيها، لكن الرسالة لم تكن تصل إلى الكثيرين. ومع هذا فقد كتبت كتاباً آخر، ومرة أخرى قمنا بالنشر بأنفسنا، وحدث نفس الشيء على مدار العام التالي.

في العام التالي، أي بعد ثلاثة أعوام من بدء كلام الله لي، كنت أخطط لكتاب آخر. وكان هذا الكتاب عن موضوع التغلب على الهجمات. وعزمت على أن أبدأ عملية الكتابة الطويلة، وكانت خطتي هذه المرة أيضاً هي أن أقوم بنشره بنفسي. كنت مصمماً على أن أطيع، ولا أركز على حقيقة أن كتباً قليلة جداً هي التي بيعت. لقد قال لي الله أن أكتب وأن الكتب سوف تصل إلى الكثيرين. ورفضت أن أسمح لآمالي أن تتحطم.

في تلك الفترة دُعيت لتناول الغداء مع صديق لي، ومع أحد أصدقائه – الذي اتضح أنه القائد الجديد لدار النشر التي في مدينتي والتي رفضت كتابي الأول. تعرف كلانا بالآخر وتحدثنا قليلاً، وفي النهاية سألني الناشر عن خدمتنا. فحكيت له كيف أنني أنا وليزا نسافر ونتحدث في الكنائس، كما شاركته أنني كنت أخطط لكتابة كتاب آخر.

زاد فضوله، فسألني عن موضوع الكتاب. وشاركته ببعض منه، فسألني أسئلة أخرى. وأخيراً قال لي: "نحن لا ننشر سوى أربعة وعشرين كتاباً في السنة، معظمها لكتّاب مشهورين أو خدام معروفين على مستوى البلاد، ولهذا لا أستطيع حقاً أن أنشر كتابك. لكنني أحب هذه الرسالة!"

فقلت: "لا بأس" وواصلنا مناقشة الموضوع.

وأخيراً قال لي بكل حماس: "أريد أن أنشر هذا الكتاب، لكن يجب علي أن أحصل على إذن من صاحب الشركة لأن هذا يخرج عن الإجراءات الطبيعية".

في الحقيقة، قامت الشركة بنشر الكتاب، والذي كان عنوانه "فخ إبليس".

في خلال الستة أشهر التالية، كانت مبيعات الكتاب قليلة وبدا أنه سوف يفشل. قاومت فكرة لماذا قضيت ثلاثمائة ساعة في كتابة كل واحد من كتبي بينما لم يقرأها سوى حفنة قليلة من الناس. وكنت أُعزي نفسي قائلاً: "إذا تغيرت حياة شخص واحد فقط أبدياً، فالأمر جدير بالمجهود". لكنني كنت لاأزال أصارع الإحباط ورؤى الفشل. ومع هذا فقد اخترت أن أؤمن بالله وأرجو على خلاف الرجاء. رفضت أن أسمح للأفكار المحبطة أن تحل محل ما تكلم به الله إليّ. كانت

لدي صورة عن هذه الكتب أن الناس من كل أنحاء العالم سوف يقرأونها، وكان الله هو الذي وضع هذه الصورة على شاشتي.

أثناء هذه الفترة جاء إلي أحد الرعاة وقال: "يا جون، لقد أراني الله أنك سوف تبيع مائة ألف كتاب". ربما تظن أن هذه الكلمات أسعدتني لأنني لم أكن قد بعت سوى آلاف قليلة، لكن لم يكن الأمر كذلك. لقد تضايقت من كلماته لأنني كانت لي رؤية لمبيعات الملايين من الكتب. ولم أكن أريد التخلي عن هذا الرجاء.

بعد هذا بوقت قصير، دعيت كضيف في برنامج حوار مسيحي قومي. وكان المخطط أن أجري حواراً مدته خمس وعشرون دقيقة مع مقدم البرنامج وزوجته عن حياتي وخدمتي وكتاب فخ إبليس. لكن لم يكن هناك حوار. فما أن بدأت أتكلم حتى صمت مقدم البرنامج وزوجته تماماً. كان الأمر وكأن الله قد غزا ذلك الاستوديو. وظللت أتحدث لمدة أربعين دقيقة عن موضوع "الهجمات" ولم يقاطعني أحد ولا لمرة واحدة.

في اليوم التالي، كان الكتاب قد نفد من كل مكتبات أمريكا، ومع عطلة نهاية الأسبوع، كانت الكتب قد نفدت بالتمام لدى الناشر وتم طلب عشرين ألف نسخة إضافية. واضطروا للعمل بسرعة. والآن، في وقت كتابة هذا الكتاب، وصلت مبيعات كتبي إلى الملايين وتمت ترجمتها إلى أكثر من ستين لغة. وأنا أقف في ذهول، لكنني أعرف أكثر من أي شخص آخر من الذي كتب هذه الكتب ؟ إنه الروح القدس. اسمي موضوع عليها فقط لأنني كنت أول من قرأها!

عندما أنظر إلى الوراء، أتعجب من استمرار العدو في محاولة غربلتي مثل الحنطة لكن بطريقة خبيثة للغاية. كانت هناك الكثير من أفكار الإحباط والكلمات التي قيلت والتي كان يمكن أن تقودني بسهولة إلى صورة مخيبة للآمال كانت ستؤدي بي في النهاية إلى التخلي عن الكتابة. أعطاني الله صورة عن الناس في مختلف أنحاء العالم وهم يقرأون الرسائل التي ائتمنني عليها. وهو الشخص الذي تمم الأمر!

ما الذي تصغي إليه؟

دعني أكرر ما سبق – المفتاح هو أن تدخل كلمة الله إلى كياننا الداخلي: "**لأن القلب يؤمن به**" (رومية ١٠: ١٠). ولهذا يوصينا الرسول بولس كثيراً أن نكون حذرين:

"هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح". (٢ كورنثوس ١٠: ٥). لاحظ أنه لا يذكر "الظنون" فقط، بل أيضاً المعرفة والأفكار أيضاً، لأن كلاً منهما يمكن أن يخلق صوراً خاطئة في قلوبنا. ويجب أن نتذكر أن القلب هو مركز إيماننا، والموضع الذي يجب أن تُزرع فيه البذرة. ولهذا يقول لنا الكتاب المقدس: **"فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة".** (أمثال ٤: ٢٣).

يوصينا بولس أن نهدم كل معرفة ترتفع فوق كلمة الله. يجب أن نحفظ قلوبنا عن طريق الانتباه إلى ما يدخل إلى أذهاننا، لأن قلوبنا لا يمكنها أن تؤمن إيماناً صحيحاً ما لم تتغذَّ على المعرفة السليمة الآتية من أذهاننا. ولهذا السبب يقول يسوع للقادة المتمردين في أيامه:

"ويل لكم أيها الناموسيون! لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم، والداخلون منعتموهم". (لوقا ١١: ٥٢)

لاحظ أن المعرفة هي المفتاح للإيمان. والتغذي على المعرفة غير السليمة ينتج إيماناً غير سليم، وبالتالي لا يحقق النتائج المرجوة.

لقد قابلت الكثيرين – وأنا أعني أعداداً هائلة – من المسيحيين المؤمنين الصادقين جداً لكنهم لا يصيبون الهدف مطلقاً في ما يؤمنون به. فهناك أعداد لا حصر لها، قد بنوا مسيرتهم مع الله على المنطق البشري، أو عقلانية الجماعة، أو ما يبدو منطقياً للذهن البشري، أو الخبرات الماضية، أو المشاعر بدلاً من أن يبنوها على المعرفة الصحيحة لكلمة الله. من المخيف أن تقابل أشخاصاً لا يهربون مما يعارض مشورة كلمة الله الكاملة ويحاربونه. وهذا راجع إلى زيف إيمانهم. وهم يعزون أنفسهم بهذا المنطق: "بما أنني صادق، فلا يمكنني أن أخطئ". لكن الحقيقة هي أنك يمكن أن تكون صادقاً في قلبك، ومخطئاً للغاية في تفكيرك.

فعل اليهود نفس الشيء. فقد كان بولس ينوح على أقربائه إذ يقول:

"لأني أشهد لهم أن لهم غيرة الله، ولكن ليس حسب المعرفة". (رومية ١٠: ٢)

استمع إلى هذه العبارة "لهم غيرة لله" وليس "لهم غيرة لأنفسهم" أو "لهم غيرة للبشرية" أو حتى "لهم غيرة لدينهم". كلا بل كانت لهم غيرة لله، إله ربنا يسوع، الذي خلق السموات والأرض. وفي ترجمة أخرى يقول بولس: "أعلم أنهم مكرسون

لله بشدة". لا يوجد شك في أنهم يحبون الله وكانوا مكرسين لخدمته، لكن رغبتهم الصادقة والجدية لم تكن "حسب المعرفة".

لم يكن لليهود الذين ذكرهم بولس مفتاح المعرفة في أذهانهم، وبسبب هذا لم يستطيعوا أن يحتفظوا بالبذار في قلوبهم. ولهذا لم يكن لهم الإيمان المخلِّص، وبدونه لم يكن لهم الدخول إلى النعمة المخلِّصة. استمع مرة أخرى إلى محصلة كلماته من خلال دمج ترجمتين للكتاب المقدس معاً: "**أعلم غيرتهم لله، لكنها غيرة موجهة خطأ. فغيرتهم ليست مبنية على المعرفة، بل إنهم يتمسكون بطريقهم الخاص**". (**رومية ١٠: ٢ ـ ٣**).

وفي تمسكهم بطريقهم الخاص، فقدوا الإيمان الحقيقي؛ لأن المعرفة غير الصحيحة تبعدهم عن إمدادات المسيح الرائعة.

والأمر ذاته ينطبق علينا. يمكننا أن نبتعد عن إمدادات المسيح لأننا ليس لدينا بذرة الإيمان التي يشير إليها يسوع – وكل هذا بسبب المعرفة غير الصحيحة. ولهذا يكتب بولس بشغف قائلاً: "**من أجل ذلك ... لم نزل مصلّين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته، في كل حكمة وفهم روحي، لتسلكوا كما يحق للرب، في كل رضى، مثمرين في كل عمل صالح، ونامين في معرفة الله**". (**كولوسي ١: ٩ ـ ١٠**)

المعرفة الصحيحة في أذهاننا تعني تغذية قلوبنا بالمعلومات الصحيحة. ولهذا يحذرنا يسوع قائلاً: "**انظروا ما تسمعون ... لأن من له سيعطى، وأما من ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه**". (**مرقس ٤: ٢٤ ـ ٢٥**). كيف يمكن لبذرة الإيمان أن تودع في قلوبنا إذا كنا نصغي إلى المنطق البشري أو التفكير العقلاني أو الخبرات المتعارضة مع كلمة الله المعصومة؟

المُدخلات غير الصحيحة تؤدي إلى نتائج غير مرغوب فيها

دعونا نستخدم مثالاً توضيحياً لشرح كيفية عمل هذه الرابطة بين الذهن والقلب. افترض أنك تمتلك آلاف الأفدنة من الأرض. وفي أحد الأيام قررت أن تبني بحيرة صناعية كبيرة على أرضك حتى يمكنك أن تضع فيها كميات كبيرة من أسماك القاروس. كان حلمك هو أن تكبر هذه الأسماك، وعندما تكبر، تفتح بحيرتك سنوياً لعقد مسابقة في صيد أسماك القاروس.

وعندما أصبحت البحيرة جاهزة لاستقبال الأسماك، بحثت وانتقيت أفضل شركة لتنظيم المهرجانات الرياضية المائية في منطقتك. أخذت سيارتك إلى مقر الشركة وصرفت مبلغاً كبيراً في شراء مخزونك من سمك القاروس. لكن كان هناك موظف جديد في الشركة ارتكب خطأ كبيراً – فبدلاً من أن ينتقي سمك القاروس، أرسل إلى بحيرتك سمك القرموط.

وانتظرت طيلة أربع سنوات وهي المدة اللازمة لنمو سمك القاروس. ثم حان الوقت. لقد بذلت الكثير من الوقت والجهد والمال في هذا الحلم. وحددت موعد المسابقة وأعلنت عنه. وكان أكثر ما اعتمدت عليه في جذب الناس إلى هذه المسابقة هو أن البحيرة مكتظة بسمك القاروس فقط. لا توجد سمكة أخرى في البحيرة لأنك أشرفت على هذه العملية بنفسك. وبما أنها بحيرة صناعية لا تصب فيها أية أنهار، فلا يمكن أبداً لأية سمكة غير مرغوب فيها أن تعيش في هذه المياه.

ثم جاء يوم المسابقة. ونتيجة لتجهيزاتك الرائعة، فقد توافد الناس من كل الأنحاء، وبعضهم أتى من على بعد مئات الأميال، لكي يصطادوا في المسابقة. وراقبت بحماس كل المشاركين وهم يشغلون قواربهم وينطلقون إلى داخل البحيرة. وكنت متحمساً جداً لرؤية مدى النمو الذي وصلت إليه أسماك القاروس.

مرت أقل من ساعة. وتحيرت إذ رأيت القوارب تعود مبكرة. لم ترَ ابتسامات على وجوه الناس، بل خيبة أمل وغضب وثورة أيضاً. ما الخطأ؟ أتى أول قارب للمتسابقين وكانوا يمسكون بسمكة قرموط في يديهم شاعرين بالتقزز، وصرخوا في وجهك قائلين: "لقد أعلنت إعلاناً كاذباً. لقد ادعيت أنه لا يوجد في البحيرة سوى سمك القاروس. ولكننا لم نجد سمك القاروس. وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل كل ما استطعنا صيده هو أسماك قرموط سخيفة!" وطالبوا بإعادة نقودهم. لقد أهدرت سنوات كثيرة، وضاع كل شيء. كانت نواياك حسنة، كنت صادقاً، لكنك لم تنتبه لما في داخل بحيرتك جيداً.

والشيء ذاته صحيح فيما يتعلق بإيماننا؛ فنحن نريد أن نعيش الحياة التي ترضي الله، وأن يكون لنا الإيمان الذي يصل إلى الهالكين وإلى العالم المائت. لكننا شحنّا أذهاننا بالمنطق البشري أو العقلانية الزائفة نتيجة الخبرات السابقة، أو أفكار كتيبات القادة، أو استنتاجات المشاعر المتقلبة المبنية على عدم الإيمان،

بدلاً من المعرفة الصحيحة لكلمة الله. وأصبحت بحيرتنا – أذهاننا – مليئة بسمك القرموط. ما الذي سوف يستخرجه قلبنا؟

ولذلك فإن السؤال الذي يجب أن نطرحه هو: ما هي البذار المخزونة في حياتنا؟ ما نوع المعرفة التي تدخل إلينا؟ ما نوع التعليم الذي نصغي إليه؟ هل هو أسماك قاروس قيّمة، أم أسماك قرموط غير مرغوب فيها؟ كيف يمكن أن تكون مسيحيتنا صحيحة إذا كان يسوع قد عاش حياة مثمرة وغير عادية، والرسل أيضاً كذلك، لكننا ككنيسة نعيش الحياة العادية وننتج ثمراً أبدياً قليلاً من كل ما أُعطي لنا؟ إذا كنا صادقين، فسوف يزعجنا هذا السؤال. فمع أننا نحضر الكنيسة، إلا أننا تراجعنا، وتخلت قلوبنا عن رجاء الحياة الذي عاش به يسوع والكنيسة الأولى. لنا صورة التقوى ونحن صادقون، لكننا نفتقر إلى القوة. وكل هذا لأننا لم نصغِ إلى الحق حتى تودع بذار الإيمان في قلوبنا.

الأخبار العظيمة هي أننا لسنا مضطرين أن نظل في هذا الموضع؛ فيسوع المسيح هو هو أمساً (في خدمته وفي الكنيسة الأولى) واليوم (في أيامنا الحالية) وإلى الأبد (في كل الأجيال القادمة). وهو ينتظر بصبرٍ أن تقوم الكنيسة وتكون جسد المسيح على الأرض. لم يستسلم. لم يستسلم مطلقاً من قبل ولن يستسلم أبداً. الطبيعة الإلهية معطاة لنا! لدينا إمكانيات فوق العادة! لكننا يجب أن نغذي أذهاننا بالمعرفة الصحيحة، التي سوف تودع في النهاية في قلوبنا، ويجب أن نؤمن بشدة. عندها يمكن أن نقول لأية صعوبات: "انقلعي" فتطيعنا. ومع أن هذه ليست هي النتيجة النهائية، إلا أن النتيجة النهائية تبدأ بما نغذي به أذهاننا. ولهذا السبب يقول بولس بكل تأكيد:

"ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة". (رومية ١٢: ٢)

استمع إلى هذه العبارة "تجديد أذهانكم". أهل هذا العالم يعملون بالمعرفة التي وضعها فيهم رئيس سلطان الهواء، الروح **"الذي يعمل في أبناء المعصية"** (**أفسس** ٢: ٢). إبليس لا يريدك أن تعرف من أنت في المسيح يسوع لأنه يريدك أن ترضى بالوجود المسيحي العقيم. فهو لا يريدك أن تدرك **"القوة التي تعمل فينا"**. (**أفسس** ٣: ٢٠).

يجب أن نتذكر أن القوى التي كانت تؤثر على اليهود في أيام بولس لكي تمنع

الناس من معرفة كل ما قدمه المسيح لأجلهم، تعمل اليوم أيضاً لكي تمنع الكنيسة من الإيمان الحقيقي. هذه القوى الشريرة تخشى بذرة الإيمان، ولذلك فإذا استطاعت أن تبقي على أفكار الديانة اللطيفة والتعاليم المسيحية الخالية من القوة في ذهنك، فيمكنها أن تمنعك من تدمير أراضيها. استمع إلى كلمات بولس من إحدى الترجمات الأخرى: "لا تتشبهوا بمعايير هذا العالم، بل اسمحوا لله أن يغيركم من الداخل يتغيير كامل لأذهانكم".

عندما يتوافق ذهننا مع كلمة الله، سوف يتوافق إيماننا الداخلي في النهاية معها أيضاً. يكتب بولس بجرأة إلى كنيسة أخرى قائلاً: "**وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق**". (**أفسس** ٤: ٢٣ ـ ٢٤). أنت وأنا خلقنا لنكون مثل الله. يجب أن نتمثل بالله (انظر أفسس ٥: ١)! وكل هذا يبدأ بالتفكير السليم، مع أنه لا يتوقف عند هذا الحد. تعتبر العملية كاملة عندما نفكر بما يتوافق مع كلمة الله، وعملية التفكير هذه تنغرس مثل البذرة في قلوبنا وتتأصل بعمق.

لهذا يجب أن "**تتجددوا بروح ذهنكم**". (**أفسس** ٤: ٢٣)!

تأملات لرحلة فوق العادة

ما الذي كان العدو يحاول أن يرسمه على شاشة مخيلتك؟
ما هي مجالات الحياة التي تحتاج فيها إلى الرجاء بأقصى صورة؟
كيف يمكنك أن تنال المزيد من بذار الله الصالحة (الكلمة) في قلبك؟

الفصل السادس عشر
الجسد

حتى هذه النقطة، لم أذكر سوى القليل جداً عن الجسد. وقد فعلت هذا عن قصد لأن كثيرين من المؤمنين سرعان ما يلجأون إلى لوم ضعف جسدهم على قلة الإيمان أو غياب التقوى، وهم يؤمنون كثيراً جداً بجسدهم. في هذا الفصل سوف نرى كم أن هذا التفكير مدمر بالنسبة للحياة التي تفوق العادة.

ولكي نبدأ، دعونا أولاً نناقش تكوين الشخصية. خُلق الناس على صورة الله. وإذا ناقشنا اللاهوت سنجد أن الله أولاً وقبل كل شيء واحد. يقول يسوع: "إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد". (مرقس ١٢: ٢٩). ويؤكد بولس على هذا قائلاً: "لأن الله واحد". (رومية٣: ٣٠)

ومع أن الله واحد، إلا أن هناك ثلاثة أقانيم متميزة في اللاهوت. فعند خلق الإنسان: "قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا". (تكوين ١: ٢٦). لاحظ ضمير الجمع في العبارة. يشهد بطرس أن "يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس" (أعمال ١٠: ٣٨). نرى هنا الآب والابن والروح القدس في تميز. وهذا يفسر ما حدث أثناء معمودية يسوع: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيا عليه، وصوت [الله الآب] من السماوات قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت»". (متى ٣: ١٦ ـ ١٧). هنا أيضاً نرى الآب والابن والروح القدس في تميز.

وفيما يتعلق بالوهية كل من هذه الأقانيم، فليس هناك شك في أن الله الآب هو الله. فهو يقول: "أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي". (إشعياء ٤٥: ٥).

ونحن نعرف أن يسوع المسيح هو الله، لأن بولس يقول: "الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم، أومن به في العالم، رُفع في المجد". (١تيموثاوس ٣: ١٦). ويوحنا أيضاً يقدم تأكيداً آخر على إلوهية يسوع فيقول: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله ... والكلمة صار جسداً وحل بيننا". (يوحنا ١: ١، ١٤).

وأخيراً نحن نعرف أن الروح القدس هو الله، لأنه "روح الله" (١ كورنثوس ٢: ١٤ والكثير من الشواهد الأخرى). والكتاب المقدس يقول: "روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتني". (أيوب ٣٣: ٤).

وبطريقة مشابهة ولكن ليست مماثلة، يعتبر البشر مثلثي الكيان. فمع أننا لسنا ثلاثة أشخاص متميزين في واحد، إلا أننا روح، ونمتلك نفساً، ونحيا في جسد مادي. وهذا نراه بوضوح في كلمات بولس:

"وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام. ولتُحفَظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح". (١ تسالونيكي ٥: ٢٣)

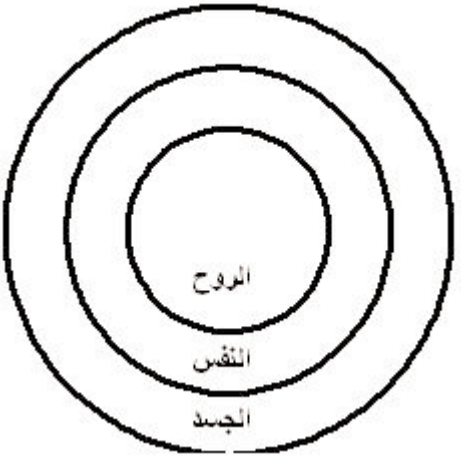

شكل توضيحي ١

يحدد بولس تكويننا الكامل على أنه روح ونفس وجسد. ولتبسيط هذا والمساعدة على الفهم، يمكننا أن نرى الإنسان على أنه ثلاث دوائر داخل بعضها البعض – دائرة خارجية، ووسطى، ومركزية. الطبقة الخارجية تمثل الجسد، والوسطى هي النفس، والداخلية هي الروح (انظر الشكل التوضيحي ١).

الدائرة الخارجية التي هي الجسد هي ذلك الجزء من كياننا الذي يتصل بالعالم الطبيعي من خلال الحواس الخمسة. الطبقة الوسطى تمثل النفس. حاول البعض تبسيط النفس بالقول إنها فقط الفكر والإرادة والمشاعر. ومع أن النفس تتكون من

هذه المكونات، إلا أنها أكثر تعقيداً من هذا؛ فنفس الإنسان هي ما يجعله فريداً، إنها جوهره المتميز.

الدائرة الداخلية تمثل الروح. وروحنا هي مصدر الحياة لكياننا. إذا انتزعت روح إنسان من جسده، سينهار الجسد. عندما خلق الله الإنسان، أخذ عناصر من الأرض، التي كان قد خلقها بالفعل، وشكل بها الجسد. وبمجرد أن اكتمل، "**نفخ** (الله) **في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفساً حيّة**". (**تكوين ٢**: ٧). إن روحنا، المتمثلة في الدائرة الداخلية، هي مركز الحياة لدينا.

النقطة المهمة التي توضحها هذه الدوائر الثلاثة هي أنه يمكن أن يؤثر الجسد (الخارجي) أو الروح (الداخلية) على النفس (الوسطى). وفهم هذه الحقيقة يعد أمراً حيوياً للحياة فوق العادية، لأن نفسنا تحدد الاتجاه الذي سنتبعه. وسوف أناقش هذا بعمق بعد قليل.

بالنسبة للشخص غير المخلَّص، فروحه ميتة. هذا لا يعني أنها غير موجودة، بل إن أنوارها مطفأة ولا يوجد اتصال لها مع الله، لأنها في حالة السقوط. ولهذا فإن غير المخلَّصين يقعون تحت التأثير الكامل والسيادة التامة للجسد وذهنهم متغرب عن الله. وطرق الله غريبة بالنسبة لهم، فهم حقاً في الظلمة.

لكن، بمجرد أن يولد الإنسان ثانية، تصبح روحه جديدة وحية تجاه الله. ويتدفق التواصل الإلهي عبر الروح. يقول الكتاب المقدس: "**نفس** (روح) **الإنسان سراج الرب**". (**أمثال ٢٠**: ٢٧). ونقرأ أيضاً: "**الإنسان الطبيعي لا يعرف ما لروح الله**". (**١ كورنثوس ٢**: ١٤). وقد جاءت في ترجمة الرسالة الإنجليزية هكذا: "روح الله لا يعرفه سوى روح الإنسان – فروح الله وأرواحنا في تواصل مفتوح". المؤمنون لهم اتصال مباشر بالله في أرواحهم، لكن نفسهم هي التي تقرر المدخلات التي يحتفظون بها – إما من جسدهم أو روحهم.

وبالرجوع إلى الفصل السابق، يكون السؤال المنطقي الذي يظهر الآن هو: وماذا عن القلب؟ أين يظهر على هذا الرسم ذي الدوائر الثلاثة؟ والإجابة على هذا سوف تجعل الشكل التوضيحي أكثر واقعية، لأن الدوائر تبالغ في تبسيط الحدود بين الروح والنفس. اقرأ بعناية الكلمات التالية:

"لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح ... ومميزة أفكار القلب ونياته". (عبرانيين ٤: ١٢)

يشير الكاتب إلى المنطقة التي تتقابل فيها النفس والروح مع القلب. إن النفس والروح مضفورتان معاً، لدرجة أن الأمر يلزم أن تخترق كلمة الله هذا الخط الفاصل. تقول الترجمة المنقحة للكتاب المقدس: "خارقة إلى الخط الفاصل ... [لأعمق أجزاء طبيعتنا]، حتى تكشف وتغربل وتحلل وتحكم على أفكار القلب ونياته".

بعد ساعات من التأمل في الكلمة المقدسة، أنا شخصياً أؤمن أن المنطقة التي تتكامل فيها النفس والروح هي القلب، ولهذا فقد اشتملت الآية على الاثنتين. فالنفس ترتبط بأعمق أفكارنا ومعتقداتنا ومقاصدنا ودوافعنا، والروح في بعض الجوانب هي ما يشير إليه البعض على أنه الحدس أو اللاوعي. فإذا أردنا رسم موقع القلب في شكل الدوائر، أعتقد أنه سيبدو كما يلي.

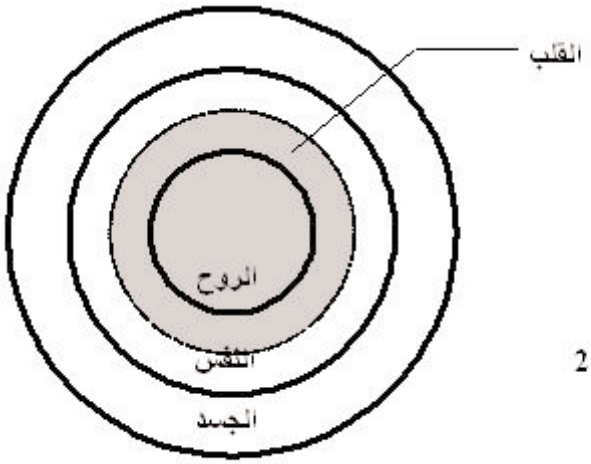

شكل توضيحي 2

كما هو واضح هنا، فإن الروح والنفس مشتملتان في المنطقة التي سميتها القلب. هنا تتضافران، ولا يمكن سوى لكلمة الله أن تميز إحداهما عن الأخرى. تقول ترجمة "وايماوث": "إنها تخترق حتى إلى الفاصل ما بين النفس والروح". وهناك فكرة أخرى داعمة لهذا الرابط وهي حقيقة الموت. فبمجرد أن يموت الجسد،

ترحل الروح، مع النفس، وتذهبان إلى بيت هذا الإنسان الأبدي. وبطريقة مشابهة زار بولس السماء، فقد قامت روحه ونفسه بالرحلة. لكن فيما يختص بالجسد، لم يكن بولس متأكداً. فهو بنفسه يقول: "أفي الجسد؟ لست أعلم أم خارج الجسد؟ لست أعلم". (٢ كورنثوس ١٢: ٢). كانت نفسه مضفورة مع روحه في هذا الاختبار، لكن ليس جسده.

خلاص الثلاثة

قبل أن نناقش كيف يتفاعل الجسد والنفس والروح، سيكون مفيداً أن نبين أولاً خطة الله لخلاص كل منها. دعونا نبدأ بالروح، وننتقل إلى النفس، ثم أخيراً نناقش الجسد.

كما قلت بتوسع من قبل في هذا الكتاب، فإن روح الإنسان تصبح خليقة جديدة تماماً في اللحظة التي يقبل فيها يسوع رباً له. إذ تُخلق روح الإنسان على الفور على صورته. وهذا يؤكده ما قاله يوحنا: "كما هو في هذا العالم، هكذا نحن أيضاً". (١ يوحنا ٤: ١٧). فهو يخاطب هؤلاء المؤمنين الذين كانوا هنا على الأرض وليس من رحلوا بالفعل لينالوا مجازاتهم. الشخص المولود حقاً بروح الله هو مكمّل في الروح، هنا والآن.

وفي اللحظة التي نصير فيها أولاداً لله، تبدأ عملية خلاص نفوسنا. والنفس تخلص، أو تتغير، بكلمة الله وبطاعتنا لها. يقول الرسول يعقوب:

> " إذاً يا إخوتي الأحباء ... اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر، فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلّص نفوسكم. ولكن كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط خادعين نفوسكم". (يعقوب ١: ١٩، ٢١ ـ ٢٢)

لابد أن نلاحظ أن يعقوب يتحدث إلى الإخوة فيما يتعلق بخلاص نفوسهم، وليس إلى غير المؤمنين. وكلماته تبين أن نفس المؤمنين لا تصير كاملة عند الولادة الثانية، كما هو الحال مع الروح. الأمر لا يحتاج إلى عبقرية في التفكير لفهم ذلك. لأنه إذا صارت نفوسنا كاملة، فلن تكون لدينا صعوبات في الكنيسة. لكننا لازلنا نواجه هذا الأمر!

يؤكد يعقوب على غرس الكلمة وطاعتها لأجل عملية خلاص النفس. إن نفسنا

هي الجزء الوحيد من كياننا الذي نقرر فيه معدل الخلاص. فنحن نتعاون عن طريق الاستماع والإيمان والطاعة، وهذا بدوره يسرع من العملية، والعكس يبطئ هذه العملية. فتغيير نفوسنا أمر حيوي للحياة التي تفوق العادة على الأرض، وأيضاً لإكمال السعي كمؤمنين. وكما هو الحال مع الروح، فقد ناقشنا هذا الجانب من الخلاص بتوسع، ولذلك سوف ننتقل إلى ما بعده.

الجانب الأخير من الخلاص هو جسدنا. اقرأ بعناية وصف بولس لهذا الأمر:
"لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدي. فإننا في هذه أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء. وإن كنا لابسين لا نوجد عراة". (٢ كورنثوس ٥: ١ ـ ٣)

هذه الكلمات تعطينا قوة ورجاء عظيمين. لاحظ أنه لا يذكر حقيقة أننا سننال أجساداً أبدية فحسب، بل يؤكد عليها أيضاً. وفي موضع آخر يقول بولس: **"لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت"**. (١ كورنثوس ١٥: ٥٣). لن يكون جسدنا مختلفاً عن جسد يسوع، لأن الكتاب المقدس يقول: **"نصير (متحدين) أيضاً بقيامته"**. (رومية ٦: ٥). وأيضاً: **"أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهِر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو"**. (١ يوحنا ٣: ٢).

يمكننا أن ننال لمحة عما سيكون عليه هذا الجسد من النظر إلى جسد يسوع بعد قيامته: أية خاصية مميزة كانت له سوف نتمتع نحن أيضاً بها في أجسادنا الجديدة. لذلك دعونا نلقي نظرة سريعة. بعد أن قام يسوع من القبر، ظهر للتلاميذ وقال:
"فقال لهم: «ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ انظروا يديّ ورجليّ: إني أنا هو! جسوني وانظروا، فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي". (لوقا ٢٤: ٣٨ ـ ٣٩)

كان له لحم وعظام! لكن لاحظ أنه لا يذكر شيئاً عن الدم؛ وهذا لأن دمه كان مرشوشاً على كرسي رحمة الله. ما كان يجري في عروقه الآن هو مجد الله. ونحن أيضاً سوف يكون لنا لحم وعظام، لكن مثل يسوع، أعتقد أن حياة جسدنا لن تكون في الدم، بل في مجد الله!

لم يكن شكل يسوع مختلفاً عن أي شخص عادي؛ فلم يكن يبدو مثل سكان

الفضاء الذين يظهرون في أفلام السينما. كثيرون ظنوه البستاني (انظر يوحنا ٢٠:١٤–١٥)، وتلميذا عمواس اعتقدا أنه مسافر عادي (انظر لوقا ٢٤:١٣–٣٥). كان له جسد مشابه جداً لأجسادنا، لكنه كامل وغير قابل للفساد.

كما كان باستطاعة يسوع أيضاً أن يتناول طعاماً ملموساً، فقد سأل التلاميذ قائلاً: "أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءاً من سمك مشوي، وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم". (لوقا ٢٤: ٤١–٤٣). ولم يأكل معهم في تلك المرة فقط بل في حادثتين أخريين أيضاً، إحداهما في بيت تلميذي عمواس والأخرى عندما أعد الإفطار للتلاميذ الأحد عشر عند البحر (انظر يوحنا ٢١: ١–١٤).

كان باستطاعة يسوع أن يتكلم ويغني ويمشي ويمسك بالأشياء وغير ذلك بينما كان في جسده الممجد، لكن كان بمقدوره أيضاً أن يمر عبر الجدران ويختفي في لحظة!

"ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع، وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف في الوسط، وقال لهم: سلام لكم".
(يوحنا ٢٠: ١٩)

في هذه المقابلة طلب يسوع من توما أن يضع أصابعه في يدي يسوع ويضع يده في جنبه. وهذا يؤكد مرة أخرى أنه كان له لحم وعظام. وكما ظهر يسوع بسرعة، اختفى أيضاً بسرعة. فبعد أن كسر الخبز مع التلميذين اللذين قابلهما في الطريق إلى عمواس، نقرأ:

"فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما". (لوقا ٢٤: ٣١)

في أجسادنا المقامة، نحن أيضاً ستكون لنا القدرة على الاختفاء من مكان ما والظهور مرة أخرى فجأة في مكان مختلف. وهذا يفسر كيف سنتمكن من السفر على مسافات بعيدة في السموات والأرض الجديدة. فكر في هذا – أورشليم الجديدة، موطننا السماوي، سوف يكون طولها وعرضها ألف وأربعمائة ميل. كيف سنتجول فيها؟ ليس بالقطار أو الطائرة. هل سنسافر عبر المجرات في سفن فضاء؟ كلا، فإن أجسادنا لن تكون محدودة بالزمان أو المسافات. يا لها من متعة!

بمجرد أن نرحل عن جسدنا الفاني، سوف يحدث الفداء الكامل لكياننا كله –

جسداً ونفساً وروحاً – ويصير كاملاً. عندها سوف نعبد الله على العرش، ولن نتعب، ولن نحتاج إلى الراحة، أو الأكل، أو النوم. سوف تكون لنا طاقة غير محدودة وقدرات مذهلة.

لكن أفضل شيء، هو أننا سنتمكن من أن نعاين الله. أجل، ما لم يحصل عليه موسى بسبب ضعف الجسد البشري الساقط سوف نختبره نحن بسهولة في أجسادنا الجديدة. مكتوب أننا "**سوف ننظر وجهه**" (رؤيا ٢٢: ٤)! لكن مجده لن يجعلنا نسقط كالأموات، كما حدث مع يوحنا على جزيرة بطمس، أو مع بولس في الطريق إلى دمشق. أمر مثير حقاً!

صانع القرار

لكن ماذا عن الجسد هنا والآن؟ واضح أن جسدنا الحالي لم ينل الفداء بعد بل لا زال فاسداً. لكننا لم نعد عبيداً للشهوات والرغبات والكبرياء والأنانية والصفات الأخرى المرتبطة بالجسد الساقط إلا إذا اخترنا نحن أن نكون هكذا. يمكننا الآن أن نتكل على قوة طبيعتنا الجديدة ونحيا بها بدلاً من أن نحيا بالجسد. والعامل المحدد لهذا هو النفس، لأنها هي صانع القرار. هذا هو الجزء الذي لا يفهمه الكثيرون.

انظر إلى الأمر بهذه الطريقة: تخيل أنك أسير حرب، وعشت لسنوات طويلة مقيداً في زنزانة، أسيراً للعدو. واسم زنزانتك هو "رغبات الجسد المعارضة للتقوى". ثم يمر الوقت وفي أحد الأيام يفوز ملكك في معركة تحريرك. ويصل أحد خدامه ويفتح باب زنزانتك. الآن لديك الاختيار: هل ستخرج إلى الحرية التي قدمها لك قائدك العظيم، أم ستبقى في المكان الذي اعتدت عليه بعد كل هذه السنوات؟ ملكك رجل لطيف، ولن يرغمك على أن تترك الزنزانة. فالقرار لك.

قبل أن ينفتح باب زنزانتك، لم يكن لك اختيار، ولم تكن تستطيع الحصول على الحرية. لكن الآن يمكنك أن تخرج من زنزانة "رغبات الجسد المعارضة للتقوى". إذا اخترت أن تبقى في الزنزانة، مع أن الملك قد كسب معركة تحريرك، فأنت لازلت في نفس مكان الأسر. النفس هي ذلك الجزء الذي يتخذ هذا القرار: هل سنخرج من السجن أم نظل مقيدين؟ هذا المثال التوضيحي يساعدنا على أن نفهم حزن الرجال والنساء الذين تمتعوا بالفداء لكنهم لازالوا يعيشون لأجل رغبات الجسد.

وفي ضوء هذا، دعونا نعود إلى شكل الدوائر التوضيحي. كما قلنا من قبل، فإن الدائرة الخارجية (الجسد) هي ذلك الجزء من كياننا الذي يتصل بالعالم الطبيعي، والدائرة الداخلية (الروح) هي الجزء الذي يتأثر بالروح القدس. يقول بولس: "**وأما من التصق بالرب فهو روح واحد**". (١ كو٦: ١٧). توقف وتأمل في هذه الكلمات – نحن واحد مع روح الله. ولهذا يقول لنا الكتاب المقدس: "**ليس أحد يقدر أن يقول «يسوع رب» إلا بالروح القدس**". (١ كو١٢: ٣). لا يمكننا أن نعيش حياة فوق العادة بعيداً عن الروح القدس. لكن ليست هذه مشكلة، لأننا لسنا منفصلين عنه، بل قد جُعلنا واحداً معه. وهذا هو الموضع الذي تأتي منه الطبيعة الإلهية المعطاة لنا، اتحادنا معه! أرجو أن تكون مدركاً لعظمة هذه الحقيقة. قال يسوع: "**ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا**". (يو١٧: ٢٠ ـ ٢١). كلمة "فينا" تشملك وتشملني أيضاً!

لم يكن يسوع مختلفاً عن هذا. استمع إلى ما قاله عن وحدته مع الروح القدس: "**لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً**" (يوحنا ٥: ١٩). ويشهد أيضاً قائلاً: "**لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه**" يو١٠: ٣٨. وأيضاً: "**الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال**." يو١٤: ١٠

لنسأل الآن: من هو الآب الحال في يسوع؟ ليس هو الله الآب، لأن يسوع نفسه صلى قائلاً: "**أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك**" (مت٦:٩). واضح أن الله الآب في السموات، وهكذا فإن يسوع يشير إلى الشخص الذي حُبل به منه، أي الروح القدس. تذكر كلمات الملاك ليوسف: "لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس" (مت١:٢٠). الله الآب "أرسل" يسوع وروح الله هو الأب الذي "حل" فيه. يقول يسوع: "أنا والآب واحد" (يو١٠:٣٠). وكما أن يسوع واحد مع الروح القدس، هكذا نحن لأن "من التصق بالرب فهو روح واحد" (كو٦:١٧).

ناموس كياننا الجديد

حان الوقت لمراجعة سريعة. فيما يختص بالدوائر، تقع النفس في الوسط لأنها يمكن أن تختار أن تتبع الجسد أو الروح. تذكر أن مدخلات الجسد تأتي من العالم الطبيعي، لكن الروح تتأثر بالروح القدس. والآن بعد أن ترسخت بداخلك هذه الحقيقة، دعنا نلتفت إلى الأصحاح المحوري الذي كتبه بولس إلى أهل رومية. فقد قال:

"**إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ... لأن ناموس روح الحياة [الذي] في المسيح يسوع [ناموس كياننا الجديد] قد أعتقني من ناموس الخطية والموت**". رو٨:١ ـ ٢

"ناموس كياننا الجديد" (طبيعتنا الجديدة) قد حررنا من ناموس طبيعة الخطية

التي حلَّت على البشرية نتيجة لتعدي آدم.لاحظ أن بولس يتحدث عن ناموسين أو قانونين مختلفين. وسأعطيك مثالاً توضيحياً لهذا الأمر.

هناك قانون طبيعي يشار إليه باسم "الجاذبية الأرضية". ويعني في مصطلحات العلمانيين القوة الجاذبة التي تبعثها الأرض إلى أي شيء على سطحها أو بالقرب منه. ولتبسيط الأمر أقول إنك إذا صعدت إلى قمة ناطحة سحاب مكونة من ستين طابقاً، ولم تنتبه لخطواتك ووقعت من على السطح، سوف تهبط إلى الأرض بسرعة عالية جداً وترتطم بالأرض الخرسانية بأسفل. هذا حقيقي بالنسبة للأشياء المادية؛ فكل البشر يخضعون لقيود هذا القانون.

لكن يوجد قانون آخر، اكشفه "دانييل بيرنولي" في القرن الثامن عشر، ويشار إليه بقانون الرفع. هذا القانون ببساطة يعطي الطائرات القدرة على الطيران. لذلك إذا صعدت على متن طائرة واستخدمت القوى الدافعة من خلال المحركات، على سرعة إقلاع عالية، سوف تتحرر من قانون الجاذبية وتطير عالياً في الهواء. وهكذا، سوف يحررك قانون الرفع من قانون الجاذبية!

وهذا يوضح ما فعله ناموس الروح (ناموس كياننا الجديد) لنا بشأن الخطية والموت. فقبل أن ننال طبيعتنا الجديدة، لم يكن لدينا طائرة نطير بها إلى السموات الصديقة ونتحرر بها من ناموس الخطية والموت. لكن بمجرد أن عرفنا الله، دخلنا إلى طائرة النعمة، ومن خلال قوة الإيمان الدافعة، طرنا نحو الحرية. والآن لم نعد مجبرين أن نحيا كما كنا نحيا من قبل، ممسوكين في فخ رغبات الجسد الجامحة غير التقية. بل صارت لنا الحرية أن نظل في طائرة طبيعتنا الجديدة ونحيا حياة تفوق ما هو عادي. دعني أقولها مرة أخرى – ليس علينا أن نحيا تبعاً للجسد بعد الآن. فنحن أحرار!

لكن لنفترض أنني قررت أن أطفئ محركات الطائرة على ارتفاع تسعة وثلاثين ألف قدم وأوقف بطريقة ما حركة الطائرة إلى الأمام. ماذا سيحدث؟ لازالت الجاذبية موجودة. سأصبح مرة أخرى تحت سيادتها وأسقط إلى الأرض بسرعة عالية جداً. الجاذبية لم تختفِ بينما كنت أتحرر منها. مبدأ "بيرنولي" لم ينزع الجاذبية، بل أزال فقط تأثيرها.

لا يختلف الأمر كثيراً فيما يتعلق بجسدنا؛ فإذا قررت نفس المؤمن أن تصغي مرة بعد الأخرى إلى الجسد بدلاً من أن تصغي للطبيعة الجديدة التي يؤثر عليها

الروح القدس، فلن يمر وقت طويل حتى يسود الجسد ولا يعود المؤمن بعد يرضي الله. استمع إلى كلمات بولس إلى المؤمنين في رومية:

"فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون، ولكن الذين حسب الروح فبما للروح [يهتمون]. لأن اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام".
(رومية ٨:٥ ـ ٦)

في ضوء هذا الجزء الكتابي، فكر مرة أخرى في شكل الدوائر التوضيحي. من ثبتوا أفكارهم – نفوسهم – على أمور الجسد سوف يعيشون تبعاً لذلك. سوف يخضعون لرغبات وشهوات ومشاعر هذا العالم الساقط لأن نفسهم تتغذى على المصدر الخطأ. لكن من ثبتوا فكرهم على قبول مدخلات من روحهم، سوف يعيشون في حياة وسلام.

"لأن اهتمام الجسد [بأفكاره ومقاصده العالمية] هو عداوة لله، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله، لأنه أيضاً لا يستطيع. فالذين هم في الجسد [يرضون رغبات الطبيعة الجسدية ونزواتها] لا يستطيعون أن يرضوا الله". (آية ٧ ـ ٨)

إذا كانت أذهاننا تتغذى على جسدنا بدلاً من روحنا، فلن يمكننا أن نحيا في نطاق ناموس روح الحياة لأننا لازلنا مربوطين بناموس الخطية والموت. ومع أننا قد نموت ونصل إلى السماء، فلازلنا تحت الناموس الذي كان يقيدنا عندما كنا غير مؤمنين، فقد ظللنا ماكثين، أو عدنا مرة أخرى، لزنزانتنا.

وهذا يفسر لماذا يعيش الكثيرون في الكنيسة بطريقة لا تختلف عن أهل العالم: فمعدل الطلاق لدينا مرتفع، ونحن نتعارك ونتشاجر ونعيش في خصام وعدم غفران مر، وننجذب إلى التحزبات، وندمن الصور الإباحية أو المخدرات، ونصم آذاننا عن صرخات الفقراء والأرامل والأيتام. وغير ذلك الكثير والكثير. أليس مثيراً أن يقول بولس إن من يستمدون مدخلاتهم من الجسد لا يمكنهم أن يرضوا الله ولازالوا تحت "ناموس الخطية"؟ ولهذا السبب يكمل بولس فيقول:

"فإذاً أيها الإخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون". (آية ١٢ ـ ١٣)

واضح جداً أن بولس لا يخاطب غير المؤمنين، بل المؤمنين المسيحيين، لأنه يستخدم كلمة الإخوة. ولهذا فإن سؤالي هو كيف يمكن للمؤمنين أن يقولوا بكل

وقاحة "آه لقد تصرفت بالجسد!" ليس هذا أمراً هيناً، لأن بولس يقول إننا إذا عشنا حسب الجسد فسوف نموت! قلت من قبل إنني سأترك لك مسألة البحث في معنى كلمة تموتون. لكن لا يوجد موضع في الكتاب المقدس كله قال الله فيه عن شخص ما إنه سوف يموت وكانت النهاية سعيدة. قال الله هذه الكلمات لآدم: "**لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت**". (**تكوين ٢: ١٧**). مات آدم جسدياً، لكن حدث هذا بعد سنوات كثيرة من عصيانه. لكن الله قال إن آدم سوف يموت يوم يأكل الثمرة. ما الذي حدث؟ ما هي طريقة الموت الذي أتى عليه في يوم تمرده؟

إحياء أجسادنا المائتة

السؤال الذي يظهر الآن هو: كيف نمتنع عن الانجذاب نحو الذهن الجسدي؟ كيف يمكننا أن نغلب الرغبة في اتباع تأثير الجسد؟ يعطينا بولس الإجابة، وهي ذات شقين: أولاً وقبل كل شيء، يجب أن نقاوم الجسدانية من خلال القوة الممنوحة لنا بالروح القدس في أرواحنا. وثانياً، يجب أن نستفيد من تأثير الروح القدس العجيب على أجسادنا المادية. يقول بولس:

> "**وإن كان المسيح فيكم [فمع أن] فالجسد [الطبيعي] ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر [الذي ينسبه لكم]. وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة (الفانية، التي تعيش لفترة قصيرة) أيضاً بروحه الساكن فيكم**". (**رومية ٨: ١٠ ـ ١١**)

يجدر أن تكون هذه العبارة من أروع عبارات التحرير التي قالها بولس في هذه الرسالة. استمع إلى كلماته من ترجمة الرسالة الإنجليزية: "بما أن روحه يسكن فيكم، فإن أجسادكم ستصير حية تماماً مثل جسد المسيح!" ومن ترجمة الحياة الجديدة: "سوف يمنح الحياة لجسدكم المائت بنفس الروح الذي يحيا بداخلكم". الروح القدس لا يعيد خلق روحنا البشرية وتمكينها فقط، بل إنه أيضاً يضخ الحياة في جسدنا المادي المائت أيضاً ! لماذا لا نعلن هذه الحقيقة أكثر؟

بعد أن نلت الخلاص، اكتشفت أن رغبات جسدي غير التقية قد ذبلت نتيجة طبيعة المسيح التي نقلت إلى روحي، وأيضاً بسبب تأثير الروح القدس على جسدي المادي. لقد فقدت الخطية جاذبيتها. كنت معتاداً من قبل على التكلم بلغة بذيئة، لكن بعد تجديدي بفترة قصيرة، أدركت أنني لم أعد أشتم وأحلف. قبل أن أعرف المسيح كنت أحب الحفلات والسُكْر. كنت أحضر الحفلات قبل عطلة نهاية الأسبوع

وخلالها مع أصدقائي أو في المعسكرات. لكن بعد هذا اختفت الرغبة في العربدة والسُكْر. كنت أمر بمكان تجمع أصدقائي أو أية حفلة ليلية وألاحظ الشبان وهم يتوددون إلى الفتيات، ويشربون حتى الثمالة، ويهينون أنفسهم. ووجدتني أقول لنفسي: «كيف كنت أستمتع بهذا، بل وأحبه وأعيش لأجله؟»

وصارت الحقيقة بعد أن أصبحت واحداً مع روح الله هي أنني إذا أخطأت، لم أكن أحب الخطية، مع أنني قبل الخلاص كنت أستمتع بها. كان هذا هو تأثير تمكين الروح القدس في روحي الجديدة، بالإضافة إلى ضخه للحياة في جسدي المائت. أصبح إنساني الباطن حياً. قبل الخلاص، كانت رغبات جسدي تتقوى بطبيعة الخطية التي في روحي. والآن لم تعد طبيعتي الجديدة تحتمل الخطية. أصبحت أحتقر ما اعتدت أن أشتاق إليه. كانت روحي تريد أن تتبع قيادة الروح القدس. أصبحت أتوق إلى الشركة معه وإلى طرقه وحكمته. ولهذا السبب يكمل بولس فيقول:

"لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: «يا أبا الآب»". (رومية ٨: ١٤ ـ ١٥)

إن الحياة في المسيح مليئة بالمغامرات والإثارة والتوقع. يمكن أن نقول في عبارة واحدة: إنها فوق العادة! لقد أصبحنا الآن أحراراً من ناموس الخطية والموت الذي كان يستعبدنا قبلاً. لم نعد مجبرين على اتباع رغبات الجسد الساقط. فقد تأثرت روحنا، مع جسدنا، بحياتنا الجديدة في المسيح. يا له من خلاص مدهش!

مدعوون لحياة الحرية

يتناول بولس هذه الحرية الرائعة من الجسد في رسالته إلى أهل غلاطية أيضاً. فقد كتب يقول: **"فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها".** (غلاطية ٥: ١) لقد تحررنا من ناموس الخطية والموت لأن روحنا جديدة وجسدنا مشحون بقوة روح الله. لنتمسك إذاً بما أُعطي لنا، ونحيا الحياة المرتفعة في طائرة النعمة، التي يحركها إيماننا، متحررين من القيود التي تقيد أبناء الظلمة. ويحذرنا بولس قائلاً:

"فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة. غير أنه لا تصيّروا الحرية فرصة للجسد". (آية ١٣)

يجب أن يتم التعليم بقوة عن هذه المعلومة في كنائسنا. يمكن تشبيه تحذير بولس هذا برجل اعتاد الجريمة. كان فقيراً واضطر إلى أن يسرق لكي يعيش. ونتيجة استمراره في السرقة، قضى سنوات في السجن – فقد احتجز خمس مرات

خلال عشرين عاماً، وكل مرة بتهمة السطو المسلح على أحد المتاجر. وبعد كل مرة بمجرد أن يتم إطلاق سراحه من السجن، كان يجد نفسه راجعاً للسجن مرة أخرى في غضون أسابيع نتيجة إدمانه للسرقة. ثم بسبب جرائمه المتكررة، حكم عليه بالسجن مدى الحياة.

وفي أحد الأيام، أتى طبيب بعقار ثوري يحرر هذا السجين من رغبته المعتادة في السرقة. وفي الوقت ذاته، عفا مسئول حكومي رفيع المستوى عن هذا الشخص وحصل له على حق اللجوء السياسي إلى دولة أخرى حتى يمكنه أن يبدأ بداية جديدة. في هذه الدولة الجديدة، قدم أحد التجار وظيفة جيدة لهذا الرجل، يمكنه من خلالها أن يجني ما يكفيه من المال لسداد إيجار سكنه ولشراء الطعام والثياب والضروريات الأخرى. بل إن هذا السجين السابق أصبح معه أيضاً مال يكفي لشراء بعض الكماليات. والآن صار حراً بالتمام، ليس فقط من عقوبة السجن مدى الحياة، بل أيضاً من الاحتياج الاضطراري للسرقة.

وسارت الأمور حسناً لبضع سنوات. لكن أحد أصدقائه القدامى في النصب علم بأخباره، وسافر إلى تلك الدولة الجديدة، وبدأ يحرضه. قال له زعيم العصابة: "لقد اكتشفت أنا وزميلي طريقة نقتحم بها مصرفاً رئيسياً في مدينتك الجديدة ونأخذ منه أموالاً طائلة. سوف نستقر ونعيش في رفاهية ومتعة حتى نموت! هل تشترك معنا؟"

أعجبته فكرة الحياة المرفهة بدون الاضطرار إلى العمل للحصول عليها. ففكر قائلاً: "يا لها من طريقة رائعة أقضي بها بقية عمري". وهكذا انضم إلى العصابة.

بعد بضعة أسابيع، قاموا بالمهمة، ولكن في اليوم التالي أُلقي القبض عليهم كلهم وحكم عليهم بالسجن مدى الحياة. صديقنا هذا كان قد تحرر تماماً لكنه استخدم حريته للعودة إلى سلوكه السابق، وبالتالي كلفه هذا الأمر حريته. استمع مرة أخرى إلى كلمات بولس: "فلا تصيروا الحرية فرصة للجسد". يعد هذا وصفاً دقيقاً لما فعله ذلك الرجل. كما يصف أيضاً ما يفعله بعض المؤمنين والسبب الذي يجعلهم لا يعيشون الحياة التي تفوق العادة. فهم يستعبدون مرة أخرى لأجسادهم. ولهذا السبب يوصينا بولس بشدة قائلاً: "**بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً**". (آية١٣).

عندما نحيا بالمحبة، لا يمكننا أن ننجذب بعيداً عن التقوى. فنحن في نطاق الله، الذي هو محبة، نتعاون مع روحه، وتنمو حريتنا. وبدون تأثير الروح القدس، سوف ينحرف جسدنا نحو الأنانية، وحفظ الذات، ومحبة الذات، وشرور أخرى. ولهذا السبب يكمل بولس فيقول:

"وإنما أقول: اسلكوا [باستمرار] بالروح [القدس، تجاوبوا مع الروح واسمحوا له أن يسودكم ويقودكم] فلا تكملوا شهوة الجسد (الطبيعة البشرية التي بدون الله). لأن الجسد يشتهي ضد الروح [القدس] والروح [يشتهي] ضد الجسد (الطبيعة البشرية التي بلا إله)". (آية ١٦ ـ ١٧)

عندما نقبل المدخلات من روحنا، المتأثرة بالروح القدس، عندئذ لن نكمل شهوات ورغبات "الطبيعة البشرية التي بلا إله". لكن انظر مرة أخرى إلى الجزء الكتابي السابق: هذه "الطبيعة البشرية التي بلا إله" تسمى أيضاً "الطبيعة البشرية التي بدون الله". لكننا لسنا بدون الله لأنه يحيا فينا! دعني أكرر إعلان بولس لأهل رومية: عندما نهتم بما للروح – أي نقبل المدخلات من روحنا – عندها سوف "يحيي الروح القدس أجسادنا المائتة". سوف يضخ الحياة في جسدنا! وهذا سيناريو مختلف عما يحدث للشخص الذي "بدون الله" ويسود عليه جسده.

عند هذه النقطة، اسمح لي أن أعود إلى العبارة الافتتاحية لهذا الفصل: كثيرون جداً من المؤمنين يؤمنون كثيراً جداً بجسدهم. والسبب الوحيد هو أنهم لم يفحصوا الكتاب المقدس جيداً لكي يكتشفوا ويزرعوا بعمق في كيانهم هذه الحقائق التي يكشفها كتاب العهد الجديد. لقد فشلوا في إدراك أن روح الله قد ضخ الحياة في جسدهم المائت، وأعطاهم القدرة على أن يسلكوا في حرية تامة.

أعود مرة أخرى إلى الإيمان. إذا آمنا أن جسدنا هو صاحب السيادة، والمستبد، والقوي ونحن تحت رحمته، سوف نحصد ما يتوافق مع هذا. لكن إذا آمنا بكلمة الله، وأن روح الله يضخ الحياة في جسدنا وأننا لم نعد خاضعين له، سوف يكون لنا بحسب إيماننا! مرة أخرى نرى لماذا يقول الكتاب المقدس: **"بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه".** (عبرانيين ١١: ٦). يجب أن نتذكر دائماً أن الإيمان الصحيح ينتج حياة صحيحة. والعكس أيضاً صحيح، فالإيمان الخاطئ يؤدي إلى حياة خاطئة. يقول بولس في النهاية:

"إن كنا نعيش بالروح، فلنسلك أيضاً بحسب الروح". (غلاطية ٥: ٢٥)

الكلام واضح، فهو يلخص ما تمت مناقشته في الفصلين السابقين. لا يمكننا أن نحيا حياة فوق العادة باعتبار كلمة الله مثالية فقط، أو حملها في قلوبنا عاطفياً. لن نصل إلى هذه الحياة بدون الإيمان. وهذه هي العقبة التي يصارع الكثيرون معها، لكن الأمر في غاية البساطة – بسيط لدرجة أن أي طفل يمكن أن يفهمه.

في الآية السابقة قال بولس: "**ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات**". (غلاطية ٥: ٢٤). فمن خلال قوة الروح القدس نصلب الرغبات غير التقية. ويرجع المجد لله، وليس لنا. وهذا يلقي ضوءاً أكبر على كلمات بولس: "**مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في. فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله**". (غلاطية ٢: ٢٠). لاحظ هذه الكلمات "أحياه في الإيمان إيمان ابن الله". إن الإيمان بروح المسيح الحي الذي يحيا فينا هو الذي يدخل إلى النعمة ويشحن جسدنا. لم نعد تحت قيود الجسد بعيداً عن حياة الله. بل أصبحنا الآن نعيش بالإيمان في قوة الله الذي يحيا فينا. نحن أحرار ويمكننا أن نعيش حياة فوق العادة!

اسلكوا بالروح

يجب أن نعيش في فعالية، وليس في سلبية. الحياة التي تفوق العادة تفيض من عقلية هجومية وليست دفاعية. استمع إلى كلمات بولس مرة أخرى: "**إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون**". (رومية ٨: ١٣). كلماته فاعلة. إذا اقتربنا من روحنا، وتأثرنا بالروح القدس، فسوف لا ننجذب –تلقائياً – إلى هذه الرغبات غير التقية. وسوف نصبح متيمين بالحياة الحقيقية لدرجة أن الموت سيفقد إغراءه.

يمكن توضيح هذا بمثال رجل يحمي أفكاره واتجاهاته ومحبته نحو زوجته، ولا يسمح لأية فكرة سلبية أو ناقدة أن تدخل إلى ذهنه. والنتيجة هي أنه يؤمن بقوة بأنه متزوج من أكثر النساء جاذبية وحكمة ووداً وجمالاً على وجه الأرض. إذا كان متيماً بزوجته بهذا الشكل، فإذا أتت امرأة أخرى وحاولت أن تغريه، سوف يضحك بداخله ويقول: "لا أريد أن أرتكب الزنا معكِ، فأنا متزوج من أفضل امرأة". هذه هي الحياة الهجومية.

الديانة أو الناموسية هي العكس تماماً؛ فهي تركز على ما لا يمكنك أن تناله بدلاً من أن تركز على الحقيقة المذهلة لما لديك. فأفضل حياة متاحة لك مجاناً، ومع

هذا فإن الناموسية تضع تركيزك على التراب الذي أتيت منه. وهي تقول للشخص باستمرار: "يجدر بك ألا تخطئ. يجب أن تبقى بعيداً عن كل الأشياء غير التقية التي فعلتها قبل أن تخلص".

وللأسف أصبحنا محكومين بأوامر ونواهي قوانين المسيحية الناموسية التي لا تعتبر مسيحية حقيقية على الإطلاق. إذا انجذبنا مرة أخرى للنواميس المقيدة، فنحن بذلك نقوي الجسد، لأن الناموس يزيد من رغبة جسدنا أن يعود للحياة بما يتعارض مع الله! ويحذرنا بولس قائلاً: "قوة الخطية هي الناموس". (١ كورنثوس ١٥: ٥٦).

اسمح لي أن أشرح هذا الأمر. ظللت لمدة ثلاث سنوات أعمل كمدرب محترف لرياضة التنس في نادٍ خاص للسباحة وكرة المضرب. كنت أقضي خمساً وعشرين ساعة في الأسبوع في الملاعب أدرب الشباب والكبار. واكتشفت شيئاً مشوقاً أثناء تعليم المئات من لاعبي التنس، وهو أنني إذا قلت لمتدرب ما أكثر من مرة ألا يفعل شيئاً ما، فكل ما يؤدي إليه هذا هو أن يقوي ميله نحو الاستمرار في فعله. على سبيل المثال، عادة ما يكون لاعب التنس المبتدئ له ميل طبيعي أن ينحني للخلف ويركز كل ثقله على القدم الخلفية، خاصة وهو يتلقى ضربات قوية. عدم الخبرة يقول إن هذا التكتيك يمنح وقتاً أطول للتكيف. لكن هذا التوجه سوف يؤدي دائماً إلى ضربة ضعيفة، مما يتسبب عادة في خسارة النقاط، خاصة في المستوى المتوسط للتنس المتقدم. واكتشفت أنني إذا قلت أكثر من مرة لتلاميذي بعد تسديد ضربة ضعيفة: "لا تستند على قدمك الخلفية"، كانوا بالتأكيد يستمرون في فعل هذا.

لكن إذا قلت لهم: "حسناً، أريدك أن تكوّن صورة في ذهنك عن مهاجمة الكرة. تحرك بعنف نحوها، ولا تدعها تأتيك، بل اذهب أنت إليها". بعد أن أقول هذا لعدة مرات، كنت أبسط توجيهاتي في تشجيع بسيط وهو: "تحرك إليها" أو "هاجمها!" والمذهل في الأمر أنهم كانوا يكفون عن الاستناد على القدم الخلفية ويبدأون في التحرك نحو الكرة، ويسددون ضربات هجومية.

في ضوء هذا المثال، استمع مرة أخرى إلى كلمات بولس:
"وإنما أقول: اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد". (غلاطية ٥: ١٦)

يمكنك أن ترى هذه الكلمات على أنها فاعلة؛ فنحن نميت شهوات الخطية عن طريق الاستمرار في استقبال مدخلاتنا من الروح، التي يؤثر عليها روح الله، وهكذا نثبت في ناموس الحياة. هذا يحركنا ويبقينا في نطاق ما هو فوق العادة.

بعد أن قلت هذا، دعني أؤكد على نقطة مهمة. عندما كنت مدرباً لكرة التنس كنت أقول لتلاميذي سبب عدم جدوى الاستناد على قدمهم الخلفية. كنت أحذرهم من أن هذا سيؤدي إلى تسديدات ضعيفة يمكن أن تكلفهم النقاط. كنت أفعل هذا حتى يفهموا. كنت عادة أقول هذا مرة واحدة أو اثنتين فقط. لكنني كنت أؤكد مراراً على التصرف الفاعل – "تحرك نحو الكرة وهاجمها". فهذه هي الصورة التي كنت أريد أن أطبعها في أذهانهم.

قام بولس والكتاب الآخرون في العهد الجديد بتقديم التحذيرات عن عواقب العودة مرة أخرى إلى الجسد. وفعلوا هذا حتى يمكننا أن نفهم، لأن مخافة الله هي رأس الحكمة والفهم. لكن هؤلاء الكتاب أنفسهم كان تأكيدهم الأساسي في الكلمة المقدسة على الحياة الفاعلة. استمع مرة أخرى إلى هذه الكلمات الفاعلة: "**لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله**". (رومية ٨: ١٤).

تلخيص بولس

بعد أن تناول الرسول بولس بتوسع الأوجه المختلفة للخلاص، أي الروح والنفس والجسد، لخص الأمر كله بهذه الطريقة:

"**فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم [لله] ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية. ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة**". (رومية ١٢: ١ ــ ٢)

لاحظ أنني أكدت على عبارتين: "تقدموا أجسادكم [لله]" و "تجديد أذهانكم" إذ تغطي كل منهما ما تمت مناقشته في الفصلين السابقين. لقد فعل يسوع كل شيء، وأكمل العمل، ودفع الثمن كاملاً لتحريرنا. والآن ما هو دورنا؟ في الحقيقة يتلخص الأمر في هاتين العبارتين.

أولاً، كيف يمكننا عملياً أن "نقدم أجسادنا [لله] ذبيحة حية مقدسة"؟ عندما تُقدَّم ذبيحة لله، تكون مخصصة بالكامل له. أي أنه بمجرد أن قدمنا هذه الذبيحة،

لا يمكن أن نستردها لأنها لم تعد من حقنا. إذا قدمت تقدمة مالية لله، لا يمكنني أن أجروَ على الاتصال بالكنيسة أو الخدمة وطلب إعادة المال لأنه لم يعد ملكاً لي. وهذا ما يجب أن نفعله بجسدنا، أن نقدمه كذبيحة. لكن ذبيحتنا هذه ليست ذبيحة ميتة، مثل المال. بل إنها حية، وبما أن هناك ثمناً كبيراً قد دفع في مقابل حريتنا، فهل هذا الطلب كثير؟ يجب ألا ننظر إلى الجسد الذي نعيش فيه على أنه ملكنا بل ملك الله. وهذا يعني أننا الآن وكلاء على ما يخص شخصاً آخر، ونستخدم ما يخصه لتحقيق مشيئته هو. لكن كيف نعلم مشيئته؟ والإجابة هي: "ولا تشاكلوا هذا الدهر. بل تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله". كيف نفعل إرادة الله إذا لم نصغِ إلى ما تقوله كلمته ونؤمن به؟ كيف يمكننا أن نثبت في نطاق الروح إذا كانت أذهاننا لا زالت خاضعة للطرق التي يفكر بها الإنسان الطبيعي؟ كيف يمكننا أن نهتم بما للروح إذا كنا لا زلنا نفكر بالطريقة التي كنا نفكر بها قبل أن نخلص؟

لابد أن يحدث تغيير كلي في الطريقة التي نفكر بها ونرى بها الحياة. لابد أن ندرس كلمة الله لكي نحصل على وجهة نظره هو، وإلا فسنظل نسبح مع تيار هذا العالم.

لقد تعلمت عن اختبار أنني عندما أقرأ الكتاب المقدس بذهن وقلب صافيين، فهذا يفتح المجال لتأثير روحي على نفسي. وكأن الممر الموصل من روحي إلى جسدي قد تم إخلاؤه حتى يمكنني أن أسمع توجيهات الروح القدس. وقد اكتشفت أنني أرى بصورة أوضح، وأفكر بشكل أفضل، ويبدو أن جسدي به المزيد من الحياة والتمكين. إذا لم أسمع كلمة الله، سواء من قراءة كلمة الله أو الصلاة أو الإصغاء إلى رسائل الروح القدس، أو قراءة كتب ممسوحة، وغيرها، فسوف يزحف إليّ تأثير العالم، وأجد نفسي أشاكل عادات وطرق هذا العالم أكثر فأكثر.

أقول بصراحة إننا كثيراً ما نقلل من أهمية سماع كلمة الله، والحرص على ألا نتمسك فقط بفكرة في أذهاننا أو مشاعر في قلوبنا، بل أن نطبق تأثيراتها في كل تفصيلة من تفصيلات حياتنا. (انظر غلاطية ٥: ٢٥). وعندما تجاهلنا هذا بدأنا نتساءل: "لماذا لا يمكنني أن أحيا حياة مسيحية ناجحة؟ لماذا لا يمكنني الوصول إلى ما هو فوق العادة؟ لماذا يسود الجسد عليّ هكذا؟ لماذا لا أستطيع أن أفعل الشيء الذي أشتاق أن أفعله؟ لماذا كان المؤمنون في سفر أعمال الرسل يعيشون

بشكل مختلف تماماً عني؟" والكتاب المقدس يقول لنا السبب: "لأنه كما شعر في نفسه هكذا هو". (أمثال ٢٣: ٧). يحرضنا بولس بشدة قائلاً:

"أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق".
(أفسس ٤: ٢٢ ـ ٢٤)

يمكننا أن نخلع طرقنا العتيقة عن طريق تجديد أذهاننا، روح أذهاننا. فإن أكثر شخص مبدع وخلاق وقوي وحكيم في الكون كله مرتبط بنا الآن. هذه الحقيقة يجب أن تكون واقعية بالنسبة لنا أكثر من الأرض التي نسير عليها أو المياه التي نشربها. ليست هذه مجرد موافقة عقلية على ما يعلنه الله عنا، بل تعني أن ندخل إلى الطريقة التي يفكر بها الله بكل ما تعنيه هذه العبارة. فنرى أنفسنا كما يرانا هو. ولا نعود نحيا في قدراتنا الذاتية، بل نعلم تمام العلم أن الروح القدس يحيا من خلالنا. يجب أن نؤمن بهذا في أعماق كياننا. يجب أن "نلبس الإنسان الجديد".

بعد أن تفعل هذا، لن تهمك الظروف، ولا العالم، ولا الأصدقاء ذوي النوايا الحسنة، ولا الأشخاص غير المخلّصين الذين تتعامل معهم. بل ستعرف بدون شك أنك الآن شخص فوق العادة ويتمجد الله في حياتك.

تأملات لرحلة فوق العادة

النفس – التي تتأثر بالروح أو الجسد – هي "صانع القرار" في الطريقة التي نحيا بها. ما هو الوضع الحالي لصانع القرار لديك؟ هل تميل إلى أمور الله أم إلى طرق العالم؟

في أي المناطق من حياتك تصارع للهروب من قيود الخطية واختبار حرية الله؟

ما هي بعض الطرق التي يمكنك بها أن تكون هجومياً في حياتك ؟ أن تكون فاعلاً في روح الله؟

الفصل السابع عشر
حكم الله الملكي

في هذا الفصل الأخير، دعونا نرجع مرة أخرى إلى هذه الكلمات المعروفة من الصلاة الربانية:

"فصلّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض". (متى ٦: ٩ ــ ١٠)

في أحد الأيام انتبهت إلى أن يسوع كان يتكلم كثيراً عن الملكوت. وعندما أقرأ الأناجيل بهذا الفكر، أندهش من عدد المرات التي ذكر فيها المسيح الملكوت. في الحقيقة تظهر هذه العبارة في أكثر من مائة آية في الأناجيل.

وكما ذكرت في الفصل العاشر، فإن يسوع عندما يتحدث عن ملكوت الله، فهو في الحقيقة يشير إلى "سيادة الله". والكلمات اليونانية التي تستخدم في الأناجيل للإشارة إلى ملكوت الله هي basileia tou Theos. كلمة Theos تعني الله، بينما basileia تعرَّف على أنها "الملكية، السيادة، الملك". كلمة basileia مشتقة من الكلمة اليونانية التي تعني "الأساس". بعض الدارسين يفضلون هذا التعريف الذي يشير إلى أصل الكلمة ويرون أن أفضل ترجمة هي "حكم الله الملَكي" أو "سيادة الله".

أحب كلمة "الملَكي". أحد تعريفاتها هو "القوة الفائقة". وتشتمل مرادفاتها على الضخم، المهوب، الجليل، العظيم، الفخم. فكر في هذه المرادفات كلما رأيت كلمة ملَكي.

قال يسوع: "أبانا الذي في السموات، يا الله القدير، ليأت حكمك الملكي، لتكن مشيئتك على الأرض تماماً كما هي في السماء". لقد أتى ملكوت الله! ليس مادياً على الأرض بعد كما تنبأ إشعياء أنه في المستقبل سوف يملك يسوع إلى أبد الآبدين ويزول تأثير إبليس بالتمام. بل الملكوت بداخلنا، نحن شعب الله، ويجب علينا أن ننشر سيادته أينما كنا. في ضوء هذا، دعونا ننظر مرة أخرى إلى كلمات بولس لأهل رومية:

"الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح".
(رومية٥:١٧)

هذا الفهم المتزايد لما جاء في الصلاة الربانية عن "حكم الله الملكي" ينقل كلمات بولس "يملكون في الحياة" إلى مستوى آخر. يقول الكتاب المقدس إننا سنملك كملوك وملكات!

كيف يتفاعل هذان الجزءان الكتابيان؟ يجب أن نتذكر أن "للرب الأرض" (مزمور٢٤: ١)، لكنه فوض سلطان حكمها إلى البشر. يقول كاتب المزمور: "السماوات سماوات للرب، أما الأرض فأعطاها لبني آدم" (مزمور ١١٥: ١٦). أخطأ آدم، فسلم السيادة لإبليس. لكن يسوع، كالإنسان، استردها مرة أخرى. والآن عاد السلطان الأخير إلى ما قصده الله منذ البداية، أي في يد رجال ونساء الله. لكن الأمر متروك لنا أن ننفذ هذا السلطان. إذا لم ننفذه، فسنظل تحت حكم الشرير.

توجد هنا حقيقة واقعية، وهي أن رجال ونساء الله يقررون ما إذا كانت مشيئة الله سوف تتم على الأرض أم لا! كل قصص الكتاب المقدس توضح هذا الحق. واسمح لي أن أذكر واحدة منها فقط. في بحيرة الجليل كان يجب على يسوع، الإنسان، أن يقف في السفينة وينتهر عاصفة كادت تعصف بحياة الجميع. لم يكن الله يريد ليسوع والرجال الآخرين أن يموتوا، لكنه لم يهدئ العاصفة بشكل فائق للطبيعة بينما كان يسوع نائماً. كان يحتاج إلى أن يقف يسوع، الإنسان، ويتولى السيادة عليها.

وهناك أمثلة لهذا في العهد القديم. على سبيل المثال، قال أليشع لملك إسرائيل أن يضرب الأرض بالسهام ليدلل على تحرير الله لهم من آرام. ضرب الملك الأرض ثلاث مرات فقط. فغضب أليشع ووبخ الملك قائلاً: "**لو ضربت خمس أو ست مرّات، حينئذ ضربت آرام إلى الفناء. وأما الآن فإنك إنما تضرب آرام ثلاث مرات**". (٢ملوك ١٣: ١٩). كان الله يريد لإسرائيل أن يفنوا آرام، لكن رغبته لم تكتمل لأن هناك إنساناً وضع الحدود له.

نقرأ أيضاً كيف أن إسرائيل "**عنّوا (حدّوا) قدوس إسرائيل**" (مزمور ٧٨: ٤١). هذا أمر

غريب، لكن استقامة الله تجعله يضع حدوداً لما سوف يفعله لأنه لا يريد أن يسحب السلطان الذي قام بتفويضه. وهناك أمثلة لا حصر لها على ذلك.

"**إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سرّه لعبيده الأنبياء**". (**عاموس** ٣: ٧)

لاحظ عبارة" لا يصنع أمراً". في أيام العهد القديم، بمجرد أن يعلن الله خطته، ماذا كان يحدث بعد هذا؟ كان النبي، أو أي شخص كلفه النبي بالمسئولية، يتكلم بالأمر أو ينفذ مشيئة الله. تذكر أن الأنبياء في تلك الأيام كانوا هم من يعلن الله لهم عن مشيئته. لكن في زمن العهد الجديد، قال يسوع إن يوحنا المعمدان كان أعظم نبي حتى ذلك الوقت. ثم أكمل بعبارة صادمة فقال إن الأصغر في ملكوت السموات أعظم من يوحنا (انظر متى ١١: ١١)! كيف يمكن هذا؟ لأننا الآن لنا الملكوت في داخلنا! فبما أننا أولاد وبنات الله، يستطيع كل منا أن يسمع خطط الله لكي ينفذ مشيئته على الأرض. نحن أشخاص غير عاديين سوف نملك في الحياة مع المسيح يسوع.

لكي نفهم كل هذا جيداً، يمكننا الآن أن نقرأ الصلاة الربانية هكذا: "أبانا الذي في السموات، يا الله القدير، ليأت حكمك الملكي، لتتحقق سيادتك على الأرض، ليتأسس سلطان ملكوتك من خلال قديسيك الذين يملكون بفيض نعمتك". هذا بالحقيقة فوق العادة!

إعلان سيادة السماء

دعونا نراجع باختصار رحلتنا. إن أسمى هدف لنا هو أن نرضي الله، لكننا لا نمتلك القدرة على فعل هذا بقوتنا الذاتية. لكن كما ناقشنا بصورة شاملة، فإن المسيحيين لا يجب أن يعتمدوا على قدرتهم الشخصية لأننا قد نلنا فيض نعمة الله. النعمة ليست مجرد غفران الخطايا، بل تشمل أكثر من هذا بكثير. لقد حررتنا من أسر طبيعتنا الخاطئة الميتة وجعلتنا نولد من جديد، ونمتلك طبيعة يسوع المسيح نفسها. والنتيجة هي أننا لا يمكننا أن نحيا حياة الطهارة والتقوى فحسب، بل يمكننا أيضاً أن نثمر هذه الثمار ذاتها التي أثمرها يسوع ؟ فنجلب حكم السماء الملكي إلى هذا العالم المظلم.

إن يسوع يملك في الحياة، ويجب علينا أن نكون مثله!

هل أدهشك التأثير الكامل لهذه الحقيقة أم ليس بعد؟ لقد استرد يسوع المسيح، بصفته إنساناً، ما تخلى عنه آدم في الجنة لإبليس. وسيكتمل هذا في النهاية عندما تسترد الأرض وكل ما فيها لحالة الكمال. لكن قبل أن يحدث هذا، فالملكوت موجود بالفعل بكاملٍ قوته في قلوب وحياة شعب الله. كل ما علينا أن نفعله هو أن نسمع ونؤمن ونفعل نعمة الله، وبهذا نرسخ سيادته.

وكما جلب يسوع حكم السماء الملكي إلى كل مجالات الحياة، هكذا يجب علينا نحن أيضاً أن نفعل نفس الشيء. وإليك بعض الأمثلة القليلة:

- كان سمعان يعاني في عمله التجاري في صيد الأسماك، لكن مقابلة واحدة مع يسوع في يوم فشله، حولت ذلك اليوم إلى أعظم صيد له في تاريخه المهني.
- كان عرس قانا الجليل على وشك الانهيار، ولم ينقذ يسوع الحفل فقط بل رفع أيضاً من مستواه.
- لم يعد على الدولة أن تقلق بشأن امرأة عاجزة في نايين بعد أن أقام يسوع ابنها الوحيد من الموت. فحفظ كرامتها، وأبقى عائلتها.
- بمجرد أن تقابل زكا مع يسوع، أصبح المجتمع أكثر أمناً ورخاء. وتخلص المجتمع من السرقة والفقر لأن هذا اللص السابق كف عن سرقة عملائه فيما بعد. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل قد رد ٤٠٠ بالمائة لمن تم النصب عليهم، مما أدى إلى تنشيط الاقتصاد.
- في حادثة أخرى، تم إنقاذ رجل مجنون من الهلاك في منفاه المعزول، بل أصبح أيضاً يعلن الأخبار المجيدة، وينشر سيادة الملكوت في عشر مدن، ويعيش حياة مثمرة.

ويمكننا أن نستمر ونستمر، إلى قصص لم ترد أيضاً في الأناجيل، لأن يوحنا يقول إن كتب العالم لا يمكن أن تحوي كل الأعمال غير العادية التي حققها يسوع. فقد أعلن خطة الله للإتيان بسيادة السماء إلى هذه الأرض. وأرانا كيف نملك في الحياة.

ليس هذا مجرد نموذج نحتذي به، بل هو تكليف. لسنا كلنا رعاة أو معلمين لأننا كلنا لدينا مواهب ودعوات مختلفة. لكن حيثما كنا في الحياة، يجب علينا أن نظهر ما هو فوق العادة. يجب أن ينمو عملنا التجاري، حتى عندما يعاني الآخرون. يجب أن تكون مجتمعاتنا أكثر أمناً وسعادة ورخاء. يجب أن تزدهر أماكن أعمالنا. يجب

أن تكون موسيقانا جديدة وأصيلة بحيث يحاكيها الموسيقيون العالميون. كما يجب أن ينطبق هذا على تصميمات الصور والمعمار. يجب أن تحفز إبداعاتنا الآخرين وتجعلهم يسعون وراءها. يجب أن يكون أداؤنا، سواء في الرياضة أو الترفيه أو الفنون أو الإعلام أو أي مجال آخر، متميزاً. يجب أن تزدهر مدننا وولاياتنا وبلادنا عندما يحكمها الأبرار. يجب أن تتفوق مدارسنا عندما يعلّم فيها الأبرار. خلاصة القول هي أنه عندما يكون هناك شخص فوق العادة، فيجب أن يكون هناك فيض من الإبداع والإنتاج والهدوء والحساسية والابتكار. كل ما هو موجود في السماء يجب أن يستعلن على الأرض. يجب أن نكون حقاً نوراً في هذا العالم المظلم.

نرى لمحات عن هذا في العهد القديم، لكن بالطبع على نطاق أضيق بكثير. اجتاز يوسف محنة كبيرة نتيجة كراهية إخوته له. لكننا نعرف الكثير عنه حتى وهو عبد:

"وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً، وكان في بيت سيده المصري. ورأى سيده أن الرب معه، وأن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده ... فوكله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له. وكان من حين وكله على بيته، وعلى كل ما كان له، أن الرب بارك بيت المصري بسبب يوسف. وكانت بركة الرب على كل ما كان له في البيت وفي الحقل".
(تكوين ٣٩: ٢ ـ ٥)

ازداد فوطيفار بطريقة عظيمة لمجرد أن يوسف كان يعمل لديه، ليس كموظف رفيع المستوى، بل كعبد!

وحتى بعد الاتهام الكاذب الذي أدى إلى إلقاء يوسف في السجن، لم يظل يوسف مباركاً فقط، بل ازدهرت البيئة التي من حوله أيضاً. وفي النهاية أصبح مسئولاً عن بقية المساجين، ونقرأ أنه: **"لم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئاً البتة مّما في يده، لأن الرب كان معه، ومهما صنع كان الرب ينجحه"**. (آية ٢٣).

مثال آخر من العهد القديم هو دانيال وأصدقاؤه. تم تعيينهم للعمل لدى حكومة بابل، وهي أقوى أمة في العالم آنذاك. كانوا فتياناً غرباء ولم يتلقوا تدريبات رسمية. لكن عند مقابلة كل منهم، أدرك المسئولون أنهم كانوا "عشرة أضعاف فوق" كل مستشاري الملك الآخرين (انظر دانيال ١: ٢٠). لقد وضعوا أساليب وإجراءات تشغيلية جديدة سرعان ما تبناها الجميع. كانوا أشخاصاً فوق العادة.

ويمكنني أن أذكر أمثلة أخرى، مثل داود ويعقوب وراعوث وأستير وإرميا وغيرهم. وإذا كان هذا يحدث على نطاق محدود في العهد القديم لمن كانوا فقط قريبين من الملكوت، فكم بالأحرى يجب أن يكون هذا هو السمة العادية لحياة من بداخلهم الملكوت؟ نحن رجاء العالم، وملح الأرض. يجب أن نملك في الحياة من خلال فيض النعمة. يجب أن نعيش حياة فوق العادة!

القوة الحاجزة

ربما تتساءل قائلاً: "هل يتوقع الله منا فعلياً أن نسود على العالم بشكل حرفي – أي على أنظمة الحكومات، والتعليم، والترفيه، والماليات، والإعلام، والتجارة – حتى يأتي يسوع مرة أخرى لما أعددناه له؟" كلا، ليس هذا هو ما يعلمنا إياه الكتاب المقدس. فالعهد الجديد يصور بوضوح أنه قبل عودة يسوع ستكون أنظمة العالم في الظلمة، وغارقة في الإثم. وهذا ما كتبه بولس إلى كنيسة تسالونيكي عن المجيء الثاني للمسيح:

"لا يخدعنكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً، ويُستَعْلَن إنسان الخطية، ابن الهلاك، المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلَهاً أو معبوداً، حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله، مظهراً نفسه أنه إله. أما تذكرون أني وأنا بعد عندكم، كنت أقول لكم هذا؟ والآن تعلمون ما يَحْجِز حتى يُستعلَن في وقته". (٢تسالونيكي ٢: ٣ـ٦)

يبين هذا الجزء الكتابي، مع غيره، أن نظام العالم سيكون في تدهور قبل عودة يسوع مباشرة، وبعدها سوف يذبح أعداء الله ويبدأ ملكه المادي على الأرض (انظر رؤيا ١٩: ١١ – ٢٠: ٦). لكننا نلاحظ أن هناك شيئاً "يحجز" هذا الإنسان الذي يمثل كمال التمرد على الله. بل إذا واصلنا القراءة سنجد أن ضد المسيح ليس هو فقط الذي سيتم حجزه، بل ستعاق الخطية والإثم بوجه عام:

"لأن سرّ الإثم (المبدأ الخفي للتمرد على السلطان الشرعي) الآن يعمل فقط (لكنه محجوز) إلى أن يرفع من الوسط الذي يحجز الآن". (٢تسالونكي٢:٧)

لا تشير كلمات بولس فقط إلى زمن ضد المسيح بل إلى كل أيام العهد الجديد، والتي تشمل بالتأكيد أيامنا الحالية. لذلك سواء ظهر ضد المسيح هذا العام أو بعد خمسين عاماً من اليوم، فهذه الكلمات بكل تأكيد تنطبق على وقتنا الآن. هناك من يحجز الإثم، لكن من هو؟

الافتراض المنطقي الأول سيكون هو الروح القدس. لكن لا يمكن أن يكون هو، لأنه أثناء سيادة "إنسان الخطية" سوف يكون هناك الكثيرون الذين يسلمون حياتهم للمسيح، والكتاب المقدس يبين لنا أنه لا يستطيع أحد أن يأتي إلى يسوع بدون إقناع الروح القدس، أو يقول إن "يسوع رب إلا بالروح القدس". (١ كورنثوس١٢:٣). ولهذا فإن "الذي يحجز" لا يمكن أن يكون الروح القدس.

هناك احتمال واحد آخر، وهو ليس إلا جسد المسيح. فبعد أن يأتي الرب ليخطف المؤمنين الحقيقيين – الكنيسة (انظر ١تسالونيكي٤:١٦–١٧ و١كورنثوس١٥:٥١–٥٢) – سيكون ما يحجز قد رُفع. لاحظ أن كلمة "يحجز" تأتي في صيغة المذكر. لم تتم الإشارة إلى يسوع المسيح بصيغة المؤنث أبداً، فإنه بالتأكيد رجل. وإذا كنا نناقش "جسده" الذي سيملك، فلابد أن يشار إليه أيضاً بصيغة المذكر. من ناحية أخرى، ففيما يتعلق بعلاقتنا بيسوع، نحن "عروس المسيح" (انظر أفسس٥:٢٥–٣٢)، وهكذا يشار إلينا بالمؤنث. لكن فيما يختص بالسلطان، يشار إلى "جسد المسيح" بصيغة المذكر.

إن جسد المسيح الذي سيملك يمكنه أن يحجز الإثم تماماً كما فعل يسوع من خلال مُلكه في الحياة. قال ربنا: "ما دمت في العالم فأنا نور العالم" (يوحنا٩:٥). هل لازال يسوع المسيح في العالم؟ والإجابة هي نعم، لكن ليس رأسه، بل جسده – وهذا نحن. لا يوجد موضع في الكتاب المقدس يقال لنا فيه إن الروح القدس هو نور العالم. يقول يسوع: "أنا هو نور العالم". (يوحنا٨: ١٢)، لكنه يقول لنا أيضاً: "أنتم نور العالم". (متى٥: ١٤). نحن كلنا واحد – هو الرأس، ونحن جسده. وكما كان يسوع هو نور العالم، فنحن أيضاً نور العالم.

النور يحجز الظلمة، وليس العكس. لم نسمع أبداً عن "مصباح ظلمة" بل نسمع فقط عن مصباح نور، لأن الظلمة لا تستطيع أن تغلب النور، بل النور يحجز الظلمة. إذا كانت أمامي قاعة مليئة بالناس وأعطيت كلاً منهم مصباحاً به لمبة قوتها ستون وات، سوف تتلألأ القاعة بالأنوار. ولكن إذا لم يكن هذا المصباح سوى مع القليلين ستكون الإضاءة ضعيفة في القاعة. ومع أن الظلمة لا يمكن أن تحجز النور، فقد يضعف النوربسبب نقص حضوره.

بنفس الطريقة، إذا لم يدرك سوى القليلين من جسد المسيح من هم في المسيح

يسوع ويسلكوا في قوة النعمة، عندها سيصبح النور ضعيفاً في العالم. وقد كان هذا هو الحال لوقت طويل – فقد أنرنا العالم بنور ضعيف. لكن لا يجب أن يبقى الحال هكذا! لدي حلم! أحلم بجسد المسيح الممتلئ بالنور، الذي يتألف من كل الأعمار ويشمل الرجال والنساء معاً، وهو يستيقظ على ما أودعه الله داخله وينهض بمجد الله وقوته. هؤلاء المؤمنون سوف يعيشون بطريقة فوق العادة لدرجة أن الآلاف سوف ينجذبون إلى ملكوت الله، ليس فقط من خلال ما يعظون به، بل أيضاً من خلال الاستعلان الرائع للكيفية التي يعيشون بها والطريقة التي يجرون بها أعمالاً بطولية مدهشة. أؤمن أن هذا الحلم هو من الله، لأن إشعياء تنبأ قائلاً:

"قومي استنيري
لأنه قد جاء نورك،
ومجد الرب أشرق عليك.
لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض،
والظلام الدامس الأمم.
أما عليك فيشرق الرب،
ومجده عليك يُرى.
فتسير الأمم [الهالكون] في نورك،
والملوك في ضياء إشراقك". (إشعياء ٦٠: ١ ـ ٣)

لاحظ أن العالم سوف يكون في الظلمة، والناس سيكونون في ظلام دامس – ومع ذلك سوف يأتي النور! فكر في مثال القاعة وهي تتحول من النور الضعيف إلى النور البراق، إذ يضيء المزيد والمزيد من الناس مصابيحهم.

لاحظ كيف تنبأ إشعياء عن مجد الرب أنه سوف يشرق، ولن ينزل علينا. كثيرون من المسيحيين يبحثون عن انسكاب مثير لروح الله على الكنيسة، ويكون هذا بداية نهضة عظيمة. كلا، أنا أؤمن أن الله ينتظرنا أن نقوم وندرك ما خلقنا لنكون عليه ونفعِّل القوة الموضوعة فينا. عندما نفعل هذه الأمور ونؤمن حقاً، سوف نشرق بصورة فائقة ونضيء قاعة العالم المظلمة. سوف ينجذب غير المؤمنين إلى حياتنا غير العادية. يا لها من أيام مثيرة تلك التي نعيش فيها!

وماذا عن التجارب؟

ما هو موقف التجارب والضيقات في هذا السيناريو الذي وصفته؟ نعلم أننا

سنواجه مقاومة – لأن الكتاب المقدس يقول هذا. هل يمكن اعتبار المقاومة قوة معطلة للحياة التي فوق العادة؟ كلا. فليست هذه هي الطريقة التي يجب أن ينظر بها الشخص فوق العادي إلى الضيقات. بل يجب أن يراها على أنها فرصة. كانت ضيقة يوسف هي الطريق الذي أوصله إلى دعوته العظيمة. وكانت خبرة موسى في رعاية الغنم في الصحراء هي التي أعدته أن يرعى شعب إسرائيل. لقد تعلم مهارات القيادة القوية كابن لفرعون، لكن قيادة هذا الشعب المكون من عبيد أذلاء كانت تحتاج أيضاً إلى قلب الراعي. ضيقات داود أعدته هو وقادته للمستقبل المحدد له. وغيرهم الكثير والكثير.

قال بولس للكنيسة الأولى إنه "**بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله**". (أعمال١٤:٢٢). دعونا نقرأ هذه الكلمات مرة أخرى مستخدمين التعريفات التي تعلمناها في هذا الفصل: "بضيقات كثيرة يجب أن نقوم ونأتي إلى حكم الله الملكي". أي أننا لن نصل إلى الملك في هذه الحياة – الحياة فوق العادة – بدون مقاومة.

إذا لم تكن هناك معركة، فلن يوجد انتصار. إذا لم تكن هناك مقاومة، فلن توجد أراضٍ جديدة للامتلاك. في وقت من الأوقات كان بولس ينظر بطريقة غير صحيحة لهذا الأمر. فقد أتى إليه رسول من إبليس لكي يضربه، وتضرع بولس إلى الرب ثلاث مرات لكي يرفع عنه هذه المشكلة. وكان رد الرب عليه هو "**تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تكمل**". (٢ كورنثوس ١٢: ٩). كان ضعف بولس هو عدم قدرة جسده على التغلب على مقاومة إبليس. ولكن الله قال ببساطة: "ألا تدرك أن ما هو فوق العادة يبدأ عندما لا تقوى القدرة البشرية على إتمام العمل؟ هنا يمكن لنعمتي [قوتي] أن تملأ الثغرة. فلماذا إذاً أزيل المقاومة؟ يجب أن تغلبها وتهدمها، من خلال نعمتي!"

وعندما اتضح هذا لبولس، قال فيما بعد:
"**فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي [عدم قدرتي]، لكي تحل علي قوة [نعمة] المسيح. لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأني حينما أنا ضعيف [في قدرتي البشرية] فحينئذ أنا قوي [في نعمة الله]**". (٢ كورنثوس ١٢: ٩ ـ ١٠)

يا له من تغيير في التوجه. لقد انتقل من "أرجوك ارفعها عني" إلى "الآن أسر بهذه المقاومة". لقد اكتشف قوة النعمة!

ولهذا فبعد سنوات قليلة، كتب بولس يقول: "**من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟ ... ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا**" (رومية ٨: ٣٥، ٣٧). إننا لسنا منتصرين فحسب، بل أعظم من منتصرين! هذا يعني أن كل مقاومة تتحول إلى فرصة في نظر ذلك الشخص الذي يملك في الحياة.

كلمة أخيرة

أود أن أترك معك كلمة تحذير أخيرة ووصية. كتب بولس إلى أهل كورنثوس قائلاً: "**وإن كانت لي نبوة، وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة، فلست شيئاً**". (١ كورنثوس ١٣: ٢). إذا اكتشفنا من نحن في نعمة الله والعظمة الفائقة للقوة التي تسكن فينا ولكن لم نتحرك بدافع التحنن والمحبة الصادقة، فلن نصلح لشيء، ليس فقط لأنفسنا، بل لمن حولنا أيضاً.

كان يسوع يتحنن، كانت هذه هي القوة المحركة وراء إيمانه ونعمته. وأنا أدعوك أن تقوم ببحث عن كلمة التحنن في الأناجيل وترى كم مرة تحرك يسوع بدافعها. يقول الكتاب المقدس بلغة غاية في الوضوح: "**لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة**". (غلاطية ٥: ٦). كان بولس في هذه الرسالة يناقش مسألة الختان مقابل عدم الختان، أو الحياة في ظل الناموس في مقابل الحياة في الروح. وللقصد الذي ننشده، يمكننا أن نصيغ كلماته هكذا:

"لأنه في المسيح يسوع، لا الحياة العادية ولا التي هي فوق العادة تنفع شيئاً بدون المحبة، بل ما له أكبر فائدة هو الإيمان العامل بالمحبة".

إذا حاولنا أن نتمم عمل الله بقدراتنا الذاتية، فهذه حماقة، وهذا ما توضحه الكلمة المقدسة بشدة. ومع هذا فقد حاول الكثيرون منا أن يرضوا الله بالقوة البشرية فقط، بعيداً عن الإيمان.

ومن الناحية الأخرى، إذا فهمت جيداً كل الإعلان الذي وضع أمامك في رحلتنا وحاولت أن تحيا حياة فوق العادة بعيداً عن المحبة، فهذه أيضاً حماقة. لكن الحياة بقدرة النعمة، من خلال الإيمان، وبدافع التحنن والمحبة الصادقة، لها قيمة

كبيرة في نظر الله والناس. ليتك تكون أحد الأشخاص الذين فوق العادة في جيلنا! نحن نحتاج إليك أن تقوم وتشرق وتعلن حكم الله الملكي وسيادته المجيدة.

"والقادر أن يحفظكم غير عاثرين،
ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج،
الإله الحكيم الوحيد مخلّصنا،
له المجد والعظمة
والقدرة والسلطان،
الآن وإلى كل الدهور.
آمين". (يهوذا ١: ٢٤ ـ ٢٥)

تأملات لرحلة فوق العادة

فكر في هذه العبارة: "رجال ونساء الله يقررون ما إذا كانت مشيئة الله ستتم على هذه الأرض أم لا!" اذكر أمثلة تبين كيف لاحظت هذا وهو يحدث.

ما هي مناطق حياتك التي تريد الآن أن "تملك في الحياة مع المسيح" فيها؟

ما الذي يمنعك من أن تكون فوق العادة؟

ما هي الطرق التي سوف تدخل بها إلى الحياة التي تفوق العادة؟

ملحق
صلاة لبدء حياة فوق العادة

كيف تبدأ الحياة التي فوق العادة؟ أولاً وقبل كل شيء، إنها لا تعتمد أبداً عليك، بل على ما فعله يسوع المسيح لأجلك. لقد قدم حياته الملكية في براءة كاملة لك لكي يعيدك مرة أخرى إلى خالقك، الله الآب. وكان موته على الصليب هو الثمن الوحيد القادر أن يشتري حياتك الأبدية.

أياً كان نوعك أو سنك أو طبقتك الاجتماعية أو جنسيتك أو خلفيتك أو ديانتك أو أي شيء آخر محبب أو غير محبب في نظر الناس، فمن حقك أن تصبح ابناً لله. إنه يريدك ويشتاق أن تنضم إلى عائلته. وهذا يحدث ببساطة عندما تتخلى عن خطية الحياة بالاستقلال عنه وتسلم حياتك لسيادة يسوع المسيح. وعندما تفعل هذا، سوف تولد من جديد ولن تكون عبداً للظلمة فيما بعد. فسوف تولد ثانية من جديد كابن أو ابنة لله. يقول الكتاب المقدس:

"لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص". (رومية ١٠: ٩ ـ ١٠)

لهذا فإذا كنت قد آمنت أن يسوع المسيح قد مات لأجلك وكنت على استعداد أن تسلمه حياتك – ولا تعيش فيما بعد لنفسك – فردد هذه الصلاة من قلب صادق، وسوف تصير ابناً لله:

يا إلهنا السماوي، أعترف أنني خاطئ ولا أرقى لمستوى برك. أنا أستحق الدينونة الأبدية على خطيتي. أشكرك لأنك لم تتركني في هذه الحالة، لأنني أؤمن أنك أرسلت يسوع المسيح، ابنك الوحيد، الذي ولد من العذراء مريم، لكي يموت عني ويحمل دينونتي على الصليب. أؤمن أنه قام من بين الأموات في اليوم الثالث، وهو الآن جالس عن يمينك بصفته ربي ومخلصي. ولهذا فأنا اليوم ---------- أقدم حياتي بالكامل لسيادة يسوع.

يا يسوع، أعترف بك ربي ومخلصي وملكي. تعال إلى حياتي بروحك وغيرني

لأصير ابناً لله. أنا أتخلى عن أمور الظلمة التي كنت أتمسك بها قبلاً، ومن هذا اليوم فصاعداً لن أحيا لذاتي بل لك، يا من أعطيتني ذاتك حتى أحيا إلى الأبد.

أشكرك يا رب، حياتي الآن بالكامل بين يديك. وكما قالت كلمتك، فإنني لن أخزى إلى الأبد. في اسم يسوع أصلي. آمين.

والآن وقد خلُصت، فقد صرت ابناً لله! كل السماء تفرح بك في هذه اللحظة. مرحباً بك في العائلة! وأود أن أقترح عليك ثلاث خطوات مفيدة تتخذها على الفور:

١– شارك مؤمناً آخر بما فعلته. الكتاب المقدس يقول إن إحدى الطرق التي نغلب بها الظلمة هي شهادتنا (انظر رؤيا ١٢: ١١). أدعوك أن تتصل بخدمتنا، "ماسنجر الدولية" على موقع messengerinternational.org. سوف يسعدنا أن نسمع أخبارك.

٢– انضم إلى كنيسة جيدة تعلِّم كلمة الله. كن عضواً واشترك في الكنيسة. الآباء والأمهات لا يلقون بأطفالهم في الشارع يوم يولدون ويقولون لهم "عيشوا!" وأنت أيضاً طفل في المسيح، وقد هيأ لك الله أبوك عائلة لكي تساعدك أن تنمو. واسمها كنيسة العهد الجديد.

٣– اعتمد بالماء. فمع أنك ابن لله فعلياً، إلا أن المعمودية هي اعتراف علني للعالم الروحي والطبيعي أيضاً أنك قد سلمت حياتك لله بالمسيح يسوع. كما أنها أيضاً فعل طاعة، لأن يسوع يقول إننا يجب أن نعمد المؤمنين الجدد "**باسم الآب والابن والروح القدس**". (متى ٢٨: ١٩).

كل أمنياتي الطيبة لك في حياتك الجديدة في المسيح. سوف تصلي خدمتنا لأجلك بانتظام. مرحباً بك في بداية الحياة التي تفوق العادة!

اشبع رغبتك الفطرية في أن تتخطى ما هو عادي

أليس صحيحاً أننا نتوق إلى أن نرى ونختبر ونفعل ما هو فوق العادي؟ ومع هذا كثيراً ما نرضى بالمستوى المتوسط. في حين أن العظمة في متناول أيدينا.

لماذا ننجذب إلى قصص الانتصارات البطولية على الظروف التي تبدو مستحيلة؟ هل يمكن أن يكون انبهارنا بأفلام المغامرات. والأبطال الخارقين. وقصص الأعمال البطولية الإنسانية المذهلة. إعلاناً عن رغبة متأصلة داخلنا لشيء أكبر وأعظم في الحياة؟ ربما يكون هذا الأمر الذي نظنه احتياجاً للهرب أو التسلية. هو في حقيقته اشتياق وضعه الله بداخلنا ... لما هو فوق العادة.

يكشف لنا جون بيفير. صاحب أفضل المبيعات في الكتب. كيف أننا جميعنا قد «خُلِقنا للمزيد». لقد خلقنا بصورة فوق العادة والمفترض بنا أن نعيش حياة غير عادية على الإطلاق. هذا الكتاب هو خارطة طريق لرحلة تغييرك. لقد خلقت لحياة تفوق التعريفات المعتادة للنجاح أو الإشباع بكثير.

ألم يحن الوقت لكي تسعى وراء حياتك التي تفوق العادي؟

جون بيفير هو من خدام الرب الممسوحين على مستوى العالم. لقد أسس جون مع زوجته ليزا خدمة خاصة بهما عام ١٩٩٠ وقد نمت خدمتهما منذ ذلك الحين واتسعت لتصل إلى المؤمنين في أنحاء العالم. ويتضمن ذلك برنامج تليفزيوني يذاع لهما أسبوعيا تحت اسم الرسول «Messenger». وقد كتب جون بيفير العديد من الكتب الأكثر مبيعًا في العالم. منها: «فخ إبليس». «إغلق باب إبليس». «الانتصار في البرية». وغيرها. يعيش جون وليزا بيفير مع أبنائهما الأربعة في «كولورادو».

Prepare The Way
Translators & Publishers